

الشاعر و النص و المتلقي

عند حازم القرطاجني

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي
تخصص : نقد عربي قديم

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الله العشي

إعداد الطالبة:
نصيرة مخربش

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الاصلية	الهيئة
محمد زرمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
عبد الله العشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
إسماعيل زردومي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
يوسف و غليسي	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1426 هـ / 1427 هـ الموافق لـ:
2006/2005 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ

صِدْقٍ

وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَصِيْرًا]

سورة الإسراء الآية : 80

>> اعلم أن خير الشعر ما صدر عن فكر ولع بالفن و الغرض الذي
القول فيه، مرتاح للجهة و المنحى الذي وجه إليه كلامه لإقباله بكليته على
ما يقوله و توفير نشاط خاطر و حدّته بالانصباب معه في شعبه و الميل
معه حيث مال به هواه ، ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن سجيته نفس
شجية وقريحة قريحة>>

منهاج البلغاء و سراج الأدباء :343 .

مقدمة

تعددت الدراسات التي تناولت كتاب منهاج البلغاء و سراج الأدباء لـ " أبي الحسن

حازم القرطاجني " بالبحث و الدراسة، و لعل أبرزها:

- 1 - كتاب مفهوم الشعر، و الصور الفنية لجابر عصفور.
- 2 - كتاب نظرية المعنى عند حازم القرطاجني لفاطمة عبد الله الوهبي.
- 3- كتاب القصيدة العربية في ضوء النقد الحديث ليوسف حسين بكار .
- 4- كتاب " الأخضر جمعي " الموسوم بـ << اللفظ و المعنى في التفكير الفني و البلاغي عند العرب بالإضافة إلى مقالات نقدية كثيرة لعدد من النقاد و الدارسين مثل .
- 5- مفهوم الشعر عند حازم القرطاجني لنوال الابراهيم .
- 6- تكوين الشعر عند حازم القرطاجني لحسن البنداري .

وغيرها من المراجع المختلفة التي حاول فيها أصحابها إبراز جماليات المؤلف.

و بعد الإطلاع على هذه المصنفات وجدت أن هذه الدراسات قد حاولت الولوج لنص

" القرطاجني " و إبراز قيمة الكتاب فتميزت بمايلي :

1. كثرة الدراسات المهمة بـ " حازم القرطاجني " و كلها تجمع بأن المؤلف ضخم بحيث اعتبر << قمة من قمم النقد في العربية >>¹ مقارنة ببقية النقاد .
2. تكرار بعض المواضيع المدروسة و المستتزة في المنهاج كالمحاكاة و التخيل، و الصدق و الكذب، و المعاني، وكذا التأثير اليوناني في فكر " القرطاجني " و كذا قضيته الصدق و الكذب بالإضافة إلى تناول التأثير اليوناني في نقد " القرطاجني "² .

¹ شكري عياد، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية للنقد و البلاغة، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة، تونس، د ط ، دت: 35 .

² عباس أرحيلة، حازم القرطاجني و مسألة التأثير الأرسطي في النقد العربي القديم، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، مجلد: 32 ، أكتوبر - ديسمبر 2003 : 201-207 .

3. بعض النقاد تناولوا القضايا النقدية منفصلة - رغم لومهم لـ "حازم"، تفريعه للقضايا والآراء - و هو ما جعل طرحها غير خارج عن أسلوب السرد النقدي مثل طراد الكبيسي الذي تناول فيه قضايا الشعرية بالعودة إلى التراث النقدي.
4. كما وظف البعض الآخر معطيات الدرس المعاصر و آراءه النقدية لمقاربة الفكر النقدي عند " حازم"، لإثبات القرابة النقدية بينهما.

و رغم كثرة الدراسات النقدية إلا أن مؤلف " حازم " بقي متجاوزا لكل ما قيل ؛ فقد بقيت بعض النصوص صامتا و قد يكون ذلك إما:

- 1 - لغموض الأفكار الذي أنتج نصا متشابك الأطراف.
- 2 - قصور نقدي قد يكون راجعا إلى عدم قدرة المنهجيات النقدية .

و بناء على كل هذا كانت بداية، مسيرة البحث مع " حازم القرطاجي " و كتابه النقدي الفريد " منهاج البغاء و سراج الأدباء " من خلال عنوان المذكرة الموسوم بـ :

الشاعر و النص و المتلقي عند حازم القرطاجني

و اهتمام " حازم " بالكون الشعري ، إبداعا و نصا و طريقة في التقبل، جعل إبراز جماليات ، ذلك من خلال الكشف عن بعض ما لم يقله الدارسون أمرا ضروريا خاصة و أن كل الدراسات تقر على أن المؤلف معين لا ينضب ، مع اختلافها في كيفية إثبات ذلك و هو ذلك بعض ما سنتركز عليه هذه المذكرة.

و قد اقتضى ذلك صياغة إشكالية على النحو التالي:

- ما هو تصور الناقد للمبدع كقوة منتجة للنص ، قوة و استعدادا، و تعاملنا مع الواقع من جهة و مع الصورة النموذجية التي يمثلها النص الافتراضي من جهة أخرى؟

- كيف تتشكل المعاني في القصيدة، و تتضافر مع نظمها و أسلوبها و كل محتوياتها بعيدا عما يضيفه لها المتلقي؟.

- و هل مازالت القراءة مع " حازم " تفسيرية شارحة أم أنها أخذت بعدا آخر؟ و إذا كانت قد تحولت ، فعلام ترتكز؟

- ما علاقة كل من المبدع و المتلقي بالنص الافتراضي من جهة و بالمنهاج من جهة أخرى؟
و قد تفرّعت عن هذه الإشكالية أسئلة و تساؤلات كثيرة احتواها بقية البحث الذي كان مخططه بمقدمة، و ثلاثة فصول.

اهتم الفصل الأول بالشاعر إذ احتوى العناصر التالية: المهيآت - الرواية/ الثقافة- الأدوات- بواعث الكتابة- القوى الناظمة- زمن الكتابة- تمنع القصيدة- طبقات الشعراء- الارتجال و التروي.

أما الفصل الثاني و الموسوم بالنص فكانت عناصره كالتالي: النص الافتراضي- شكل المعنى - الأغراض الشعرية- البناء الفني للقصيدة- السرقات الفنية/ حوار النصوص - التصرف في المنازع الشعرية - أنواع المخاطبات.

كان الفصل الثالث الخاص بالمتلقي محتويا العناصر التالية: مقدمة- مفهوم الشعر في ضوء علاقته بالمتلقي - المعاني الجمهورية- المحاكاة و المتلقي- التخيل و التعجيب- المتلقي و القوى الإبداعية- الغموض و التلقي- القراءة بين الترميز و التأويل.

أ
و قد خصصت لكل فصل خاتمة جزئية تحمل ما يحتويه كل فصل. كما ختمت البحث بخاتمة عامة تضمنت أبرز ما تم التوصل إليه.

و لإثراء الموضوع استعنت بعدة مراجع من أهمها :

1. معجم مصطلحات النقد العربي القديم لأحمد مطلوب.

2. كتاب مفهوم الشعر و الصورة الفنية لجابر عصفور.

هذا بالإضافة للكتب النقدية القديمة كـ:

ج

3. كتاب العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق.

4. نقد الشعر لقدامة بن جعفر.

5. المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لابن الأثير.

6. الصناعتين، الشعر و الكتابة لأبي هلال العسكري.

7. و مراجع أخرى مختلفة.

أما الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث فكان الزمن أجلها فقد كان عامل الزمن هو الحاجز الوحيد الذي منعني من إعطاء الموضوع حقه خاصة و أن البحث في مؤلف كالمناهج و مع ناقد ك " القرطاجي " يفترض ردحا من الزمن، و هو ما لم يتمتع به هذا البحث مما أدى إلى تكرار تأجيل الأفكار المثمرة أحيانا و استدعائها أحيانا أو إلغائها في أحيين كثيرة.

و لم يكن لهذا البحث أن يمتلك عوامل كينونته لولا رعاية الله عز و جل و رعاية الأستاذ المشرف: الدكتور عبد الله العشي ، الذي استفدت من خبرته الشعرية الجمالية من جهة و النقدية العلمية من جهة أخرى و هو ما أضفى على البحث لمسات فنية و دعما نقديا خاصا، و لذلك فإنه تعامل معي بأسلوب الناقد تارة و الشاعر في تارات كثيرة، و أمام هذا كله تعجز أبجديات الشكر و تفقد عبارات الامتنان قيمتها، فلا أملك إلى أن أتمنى له المزيد من الألق العلمي أنشاء الله.

كما أشكر كل أساتذتي الذين يحتوي هذا البحث بعض ملاحظاتهم و نصائحهم، و كذا كل من أعانني و لو بهمسة حب صادقة، و خاصة والدِّي الحبيبين، و كذا أفراد أسرتي الصغيرة و الكبيرة ، الذين تحمّلوا معي بصدق تبعات الحياة العلمية الصعبة.

* و الله المستعان *

الفصل الأول:

السلامة

يحتوي هذا الفصل على:

أولاً: المهينات.

ثانياً: الرواية/الثقافة.

ثالثاً: الأدوات.

رابعاً: بواعث الكتابة الإبداعية.

خامساً: القوى الناظمة.

سادساً: زمن الكتابة .

سابعاً: تمنع القصيدة .

ثامناً: طبقات الشعراء .

تاسعاً: الارتجال و التروي .

1 - المهينات:

لمّا كانت القصيدة ميلادا جديدا لحالة خاصة نمت و ربت في جو خاص، وفق شروط متميزة، أضحي الاهتمام بهذه الأجواء و تبعاتها حاجة ملحة و هو ما سنعرض له في هذا المقام في إطار ما يسمى بالنسق الثقافي رغم تباين المصطلحات و اختلاف صياغتها بين القديم و الحديث إلا أن الهم واحد و هو الولوج - و لو كان زائفا - إلى كون المبدع.

كيف لهذا المبدع أن تتفتح عبقريته، و أية بيئة ستفجر هذا الكامن؟ هل تكفي الموهبة وحدها لتجسيد التفرد، و هل يقاس هذا التفرد بمرجعيات المبدع؟
هل النص كبنية مبتكرة انعكاس لبيئة المبدع أم هو تجاوز **ايجابي** له؟
هل النسق الثقافي حالة افتراضية يحاول المبدع الانحراف عن سلطتها أم هو النموذج الذي يفترض الاحتذاء به؟

لقد اهتم نقادنا القدماء بالبيئة المشكلة لتفكير الشاعر اهتماما كبيرا لما في ذلك من تأثير على تشكيل الخطاب الإبداعي و إخراجة بصفة جيدة، و لم يخالف "حازم القرطاجني" أسلافه في ذلك و ما يحسب له في هذا المجال أنه منهج آراءهم و صاغها تبعا لمصطلحات خاصة، و أول مصطلح سنتطرق له هو المهيبات و يقسمها إلى قسمين:

أولاً: >> النشء في بقعة معتدلة الهواء، حسنة الوضع، طيبة المطاعم، أنيقة المناظر، ممتعة من كل ما للأغراض الإنسانية به علة<<³ ؛ فالشاعر الموهوب إذا تربى في بيئة رعدة صفا ذهنه و صقلت موهبته، كما أن ايجابية الحياة تنعكس على نفسية الفنان فيبدع بأصالة، و قد اعتبر "حازم" هذا المهيب كإطار عام للتهذيب لكونه >> موجها طبع الناشئ إلى الكمال في صحة اعتبار الكلام و حسن الروية في تفصيله و تقديره و مطابقة ما خارج الذهن به <<⁴.

و تركيز الناقد على هذه الفترة من العمر مقصود فالطفولة و ما تلاها مراحل خصبة، تغذي النص رغم عدم وضوحها ، إذ تقترن بصور ضبابية كالحلم، فيصبح صدى أصيلا لها ؛ فالمبدع يكتب من لا وعيه الذي تصوغه الذاكرة ، و لنا نماذج كثيرة من المبدعين انعكست طفولتهم في أشعارهم قديما أو حديثا سواء أكان الانعكاس إيجابا أم سلبا؛ >> فعملية الإنشاء تنطوي على تقليب الصور المخزونة في الذاكرة <<⁵.

و "حازم" في هذا الاعتبار متأثر ببيئته التي ألقت بتبعاتها على مبدعيها **فخببت** قرائحهم و ساءت طبائعهم ، أما إذا توفرت وسائل الراحة المادية و المعنوية فإن ذلك سيتجلى لا محالة في الخطاب بحيث يناسب المبدع بين الواقع المعيش >> و إيقاع كل جزء منه في كل نحو ينحى به أحسن مواقعه و أعدلها حتى يكون حسن نشء

³ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء:27.

⁴ المصدر نفسه: 40

⁵ يقدم الدكتور جابر عصفور تحليلا وافيا عن علاقة الرواية بالتخيّل و الذاكرة، أنظر الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي لبنان ، المغرب، الطبعة 3، 1992: 85-97.

الكلام مشتبهها بحسن نشء المتكلم به <<6، و هو الرأي الذي تبناه كل النقاد العرب منذ " **بشر بن المعتمر** " و أكثر من ركز على ذلك " ابن رشيق القيرواني " ذلك أن الشاعر إذا **انهمك** في الجهد و الكد و تحصيل الرزق شغله ذلك عن إحكام الصنعة ف << الفقر آفة الشعر و إنما ذلك لأن الشاعر إذا صنع القصيدة و هو في غنى و **وسعة نقحها** و أنعم النظر فيها على مهل (...) و إذا كان فقيرا مضطرا رضي بعفو كلامه و أخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره و لم يتسع في بلوغ مراده <<7 كما يمكن اعتماد أسلوب آخر في التكوين >> و ذلك بان تستجد **الأهوية** للناشئ و ترتاد له مواقع **المزن** و مواضع **الكلإ** و النبات الغض <<8 .

فالذات المبدعة لها ميل أصيل للتغيير الايجابي بغية تجديد النفس و استجلاب الخيالات لأن >> الطباع الناشئة أيضا على هذا الحال، و إن لم تكن في الأقاليم المعتدلة، جارية مجرى تلك في سداد خاطر و التنبه لما يحسن في هيئات الألفاظ المؤلفة و المعاني و ما لا يحسن <<9 .

و تبعا لهذا فإن صفاء الخواطر من صفاء الحواضر و تطورها، و اهتمام النقاد بالتنشئة النموذجية للمبدع مؤسس؛ إذ تنمو ملكة الخيال و تتسع المدارك و **ينقى المزاج** من الشوائب >> **و لو اتفق** النشء على هذه الحال من **استجداد الأهوية** و ارتياد الأماكن أزمنة شبابها لأمة تكون أرضهم التي يترددون فيها أحسن الأرض بقعة و أمتعها و أعد لها هواء و كانت دواعيهم تتوفر على جعل الكلام عدة لما يراد من استثارة الأفعال الجمهورية أو كفكفتها بالإقناعات و التخاييل المستعملة فيه نحو توفر دواعي

6 حازم القرطاجني، منهاج البلاغ:41.

7 ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق د/ عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001-1422 م، ج 1: 192.

8 حازم القرطاجني، المصدر نفسه:41.

9 حازم القرطاجني، المصدر نفسه:41.

العرب إلى ذلك لكانت هذه الأمة أجدر أمة أن تحوز قصبات السبق في الفصاحة و أن تستولي على الأمر الأقصى في ذلك >>¹⁰ .

"حازم" في قوله هذا متأثر بالشعر القديم كتجربة نموذجية و من ثم كان إبتاعهم أمرا محمودا؛ فاهتمام النقد بالحالة المادية للشاعر خوفا من اتجاهه صوب التكبسب و لأجل ذلك قيل الشعر أدنى مرؤة السري و أسرى دناءة الدنى¹¹ .

و مع أن العيش الرغد يتيح المجال – أحيانا - للتأمل و التفكير و تلك عوامل >> تؤثر في الشاعر الناشئ جسميا و نفسيا، بأن تدركها حواسه، و تعيها نفسه و يختزنها طبعه صوراً واضحة المعالم و تكون قابلة للاستخدام و التوظيف حين يستدعيها حال صوغ الشعر في المستقبل >>¹² ، إلا أن هذا الوضع نسبي جدا و لا ينطبق على كل التجارب الشعرية إن قديما أو حديثا، فليس كل الشعراء أمراء أصحاب نفوذ كـ "أمرؤ القيس" أو "أحمد شوقي" ، و لنا في شعر الصعاليك أحسن صورة؛ فلو كانت قصائدهم انعكاسا مباشرا لحياتهم لما وصلنا شيء منها، فكل كتب الأخبار تروي أن حياتهم لم تكن إلا رحلة عذابات و بحث دائم عن هوية مسلوبة، في صراع مستمر مع المجتمع من جهة و مع الطبيعة من جهة أخرى، و أكثر من هذا أن قساوة واقعهم وصلتنا متجسدة في أشعار رائعة السبك جيدة النظم.

و هو ما تؤكد عليه نظرية التحدي و الاستجابة **لتويمبي**، حيث يصبح المبدع في صراع دائم مع واقعه المؤلف الذي يرفضه مهما كان **ملائما** لأن بداخله عالما جماليا آخر يرغب في تحقيقه من خلال مشروع الكتابة الذي يتأسس على تحدي المؤلف ، و الاستجابة تكون بمحاولة خرق و تجاوز هذه العادية، و بقدر سلبية المجتمع يكون التحدي أكبر و ذلك هو ناموس الفن و الجمال..

¹⁰ حازم القرطاجني ، المصدر السابق:41.
¹¹ أنظر احسان عباس، تاريخ النقد العربي القديم: 399 .
¹² حسن البنداري تكوين النص الشعري عند حازم القرطاجني، مجلة دراسات عربية إسلامية، تصدرها كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ع 2 / 1982 : 191.

و إذا اعتبرنا أن القصيدة صورة منقولة للبيئة مهما كانت متناسقة و بديعة، فأين يتجلى الابتكار، و الفن لا يمكن أن يكون على أنقاض الواقع المنهار تجاوزا و انحرافا؟ و << الشعر هو تسجيل ردود فعل الإنسان في مواجهة الحياة >>¹³.

و جملة القول عن علاقة البيئة بالمبدع أن لكل تجربة خصوصية تجعلنا نتحفظ في مواطن كثيرة و مع اختلاف بيئات الشعراء تختلف طرائفهم التعبيرية، كما أن انتماء المبدع لبيئته أمر مفروض، فهو لا يختار و إنما يتجاوز هذا المفروض بانتقاء المستحيل و هو الكتابة..

أما السبيل الثاني و هو الانتقال إلى مواطن الحضرة فمرتبط بسابقه، و المحمود فيه هو فكرة التغيير، و تركيز النقد على الأماكن النضرة مبالغ فيه لأن أروع ما **وصلنا** من أشعار، إنما قيل في مواقع خالية و أبرز نموذج هو المقدمات **الطللية** التي لم يقف فيها الشاعر على عيون جارية و خضرة دائمة بل كانت مجرد **فلاة** لا تحوي إلا بقايا **أناف** و أنوية و دمن دارسة .

و نوجز حديثنا عن النشأة و علاقتها بالمبدع بأن البيئة المتعلقة بالشاعر ليست في أغلب حالاتها مناسبة لتطوره ، و مهما كانت بالنسبة للأشخاص العاديين إيجابية فإنها عند المبدع غير ذلك لأنه يشعر بتفرد و يرى بحواس خاصة ، و أعظم القصائد ما صدر عن موقف مأساوي لأن الشعر لا يحوي أفكاراً أحادية كالخير و الحب و الحرية... الخ بل أن الخطاب الأصيل يتشكل من ثنائيات وجودية كالخير و الشر، الحب و الكراهية، الموت و الحياة و هي المواقف الأكثر صدقا و ملامسة لأحاسيس المتلقين و أذواقهم و هو ما قصده " حازم " بقوله << ما فطرت النفوس على استلذاذها أو التألم منها >>¹⁴.

¹³ محمد الربيعي، في النقد الأدبي و ما إليه، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001 : 80 .

¹⁴ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 20.

ثانياً: أما الجهة الثانية التي تحصل بها **المهينات** فهي:

<< التزعرع بين الفصحاء الألسنة المستعملين للأناشيد المقيمين للأوزان >>¹⁵.

فقد عمدت العرب منذ القدم إلى إرسال طلابها و أبنائها إلى البوادي بغية تعلم القوانين اللغوية لحفظ لغتهم من الفساد، و قد اعتبر " القرطاحني " أن منادمة ذوي الباع في البلاغة و الفصاحة و المهتمين بالأناشيد سبيل لصقل موهبة المبدع الناشء و << حفظ الكلام الفصيح و تحصيل المواد اللفظية و المعرفة بإقامة الأوزان >>¹⁶.

و الربط بين الإنشاد و الحفظ ذكي، إذ يصبح التحصيل عن طريق الحفظ تلقائياً عند اعتماده على الإنشاد¹⁷ لأن المتعلم قد ألف استحضر الألحان و تكرارها، كما أن وقوع الألفة بين الشاعر و الأوزان يجعله يعي أهميتها فالوزن هو أحد الفوارق التي تفصل بين الشعر والنثر وتضافر الوزن مع القافية بمنح الشعر قيمته الفنية ؛ إذ يدخل في تكوين الموسيقى الداخلية للقائد ، و الحفظ كمصطلح يحيلنا مباشرة إلي الرواية.

¹⁵ المصدر نفسه: 40.

¹⁶ المصدر نفسه: 41.

¹⁷ و هي الطريقة المعتمدة في الكتابيب و الزوايا القرآنية.

2 - الرواية/ الثقافة:

تعتبر الرواية عاملاً رئيسياً في بناء شخصية المبدع على جميع الأصعدة، فاطلاعه على >> فنون الآداب، و المعرفة بأيام الناس و أنسابهم (...) و الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر و التصرف في معانيه <<¹⁸ يوسع مداركه و يجعل افقه أكثر اتساعاً، كما يمنحه خاصية التمييز بين الأعمال الأدبية ، و من اجل هذا >> عد نقل أخبار السابقين و علمهم (...) من مقومات الشعر عند العرب <<¹⁹ و كان تأكيد النقاد على ضرورة التزود بها يزداد مع تقدم القرون لأن ذلك يجعل الشاعر يكتب في إطار النسق الثقافي و لذلك قيل >> فلان شاعر رواية يريدون أنه إذا كان رواية عرف المقاصد و سهل عليه مأخذ الكلام و لم يضق به المذهب <<²⁰ .

و قد أدرك " حازم " هذه الأهمية و التي عدها من أبرز العوامل المؤدية إلى فساد الذائقة العامة و هوان الشعر؛ لأن الشاعر القديم كان يفتخر برواية أشعار غيره حيث >> كان لكل شاعر رواية خاصة، و هو تقليد ظل مستمرا إلى عهد " جرير " و " الفرزدق " في العصر الأموي، و هذا الراوي إما أن يكون مجرد راو و إما أن يكون راويا و شاعرا في الوقت نفسه <<²¹ .

و أيام العرب لا تكتسي صفة واحدة فهي >> تتنوع و تتشعب، فمنها أيام فخار، و منها أيام محاربة، و منها أيام منافرة و غير ذلك <<²² .

و هو تنوع يساهم في ثراء التجربة الشعرية من جهة كما يعد دليلاً على انفتاحها على الماضي و المستقبل باعتبار تشابك التجارب الشعورية.

¹⁸ ابن طباطبا، عيار الشعر:44.

¹⁹ د/أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد العربي القديم:242.

²⁰ ابن رشيق، العمدة، ج 1 : 197 .

²¹ رجاء عيد، القول الشعري منظورات معاصرة، دار رجاء عيد، منشأة المعارف الاسكندرية:60.

²² ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق د/أحمد الحوفي و د/يدوي بطانة مكتبة نهضة مصر و مطبعتها القاهرة، ج 1 ، ط1، 1379هـ/1959: 63.

إن الحديث عما مضى من أيام و حوادث سواء أكانت ايجابية أو سلبية يجعلنا نتحدث عن تاريخ الأمم و هو رافد مهم في تكوين أفق المبدع المعرفي و كونه تاريخا لا ينفى استيعابه لما جد من الحوادث و الآراء و الأخبار، و مخيلة المبدع مهياة لحفظ ما تميز منها و هو ما لا يرتبط بالاجابية قدر ارتباطه بالتناسب الحاصل بين الحدث نفسه و المبدع.

كما عرف الشعراء المبتدئون بمصاحبة المتمكنين من الشعراء ف >> لا تجد شاعرا مجيدا منهم إلا و قد لزم شاعرا آخر المدة الطويلة، و تعلم منه قوانين النظم، و استفاد عنه **الدربة في أنحاء التصاريف** البلاغية >>²³ لأن التجارب الشعرية تعبر - على اختلافها - عن فضاء لغوي و شكلي واحد، و الشاعر يبقى رغم براعته بحاجة إلى البحث الدائم عن الجديد، >> و كيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب، و هي البحر الذي لم يصل احد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها ! و إنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه >>²⁴ و هو رأي حكيم من " القرطاجني " باعتباره صاحب خبرة و تجربة فيقول: >> ألا ترى أن كثيرا من العلوم قد نفذ فيها قوم في أزمنة لا تستغرق إلا جزءا يسيرا من العمر؟ >>²⁵ جاعلا الرواية مع الدربة منهل الشاعر الأصيل الذي يبقى بحاجة إلى تعلم مهما سطع نجمه، >> و هذا أبو الطيب المتنبي، و هو إمام في الشعر، لم يستقم شعره إلا من مزاوله الصناعة عشرين سنة، ثم زاولها بعد ذلك زمنا طويلا، و توفي و هو يصيب فيها و يخطئ ؛ و هذا ليس مختصا به وحده، بل كان كل إمام ناظم أو ناثر هذه غايته >>²⁶ و الشاعر في تعلمه و بحثه هذا إنما يبحث عن القيم الجمالية التي لا يمكن إدراكها و بلوغها بصفة مطلقة و يزداد تعطشه لهذه المعرفة كلما ازداد إطلاعه في هذا المجال خاصة و أن تدرجه في مراتب التجربة يجعله أكثر خبرة و **مرانا**، مما يفسح الآفاق أمامه رحبة و >> إذا كانت هذه

²³ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 27.

²⁴ المصدر نفسه: 88.

²⁵ المصدر نفسه: 88.

²⁶ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 88.

الصناعة تتشعب وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى - كثرة فقلما يتأتى تحصيلها بأسرها و العلم بجميع قوانينها لذلك - و سائرهما من العلوم ممكن أن يتحصل كله أو جله <<27 و هو أمر نسبي مع تفاوت هذه النسبية من علم لآخر و هذه المقابلة بين الفن و البلاغة من جهة و بين علوم أخرى يمكن بلوغ **الأرب** فيها بطريقة أو بأخرى و بدرجة أقل من النسبية من جهة أخرى، هي إحساس باطني من " حازم " باختلاف العلوم الإنسانية من حيث بلوغ القصد فيها عن بقية العلوم الأخرى، و من ناحية أخرى - و هي الأهم - فإن شعور المبدع بأنه لم يجسد ما أراد في كل كتاباته يجعل الإبداع بصفة عامة سجلا من الاحتمالات و القراءات المتكررة التي لا تنتهي **بأقول** لحظة الكتابة بل ذلك متواصل إلى غاية استنزاف آخر لحظات العمر ..

و هو ما أنكره الشعراء في عصر " حازم " واعتبروه انتقاصا لمكانتهم و تقزيمًا لشاعريتهم ، و عد الواحد منهم << وصمة على نفسه أن يحتاج مع طبعه إلى تعليم معلم أو تبصير مبصر >>28 ، و لا يعني أن تزود المبدع بمختلف العلوم و الثقافات يخضع لمنهج أكاديمي معين ؛ ذلك أن المعرفة الحقة هي ما يستلته الشاعر بذكاء و حنكة من الحياة، بالإضافة لكون << خبرة الفنان بالعالم، لا تخضع لخطة أو نظام، بل انه يجمع مادته التجريبية بطريقة عرضية كلما مر به شيء من سمات الحياة و معطياتها ويحمل هذه المادة معه ، و يدعها تنمو و تنضج حتى يستخلص يوما ما من هذه المواد **المختزنة** كنوزا لم يحلم بها أحد >>29 وهي مناهل تدعم المبدع إذ << تغذي موهبته الأدبية (...) و تضاعف مقدرتها حتى يتكامل نموها فيتم نضجها >>30 و هو ما ينعكس على النصوص الإبداعية و << بقدر خصوبة الروافد المعرفية تكون خصوبة

27 المصدر نفسه: 88.

28 المصدر نفسه: 27.

29 أنورلد هاووزر، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة 2، ج 2: 1981/2: 329 .

30 علي الجندي ، تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، 1998: 144.

القصيدة و لذلك جاءت دعوة النقاد بضرورة أن يتزود الشاعر بالمعرفة الواسعة فبقدر اتساع المعرفة يتسع الأفق و تشف الروح فتسهل عملية الكتابة >>³¹.

و قد شبه " القرطاجني " المبدع الذي يكتفي بطبعه و موهبته دون تعلم **أو مران** ب >> أعمى أنس قوما يلقتون **درا في** موضع تشبهه حصابؤه الدر في المقدار و الهيئة و الملمس، فوقع بيده بعض ما يلقتون (...) فجعل يعني نفسه في لقط الحصباء على أنها در، و لم يدر أن ميزة الجوهر و شرفه إنما هو بصفة أخرى غير التي أدرك >>³².

إن اكتساب المعرفة قد اختلف كثيرا عما كان عليه في أولى **ارهاصات** نقدنا القديم، و بينما كان التعلم يتم عن طريق السماع و المشافهة فإنه لا محالة **سيتفترن** في عصر " حازم " بالكتابة و القراءة خاصة إذا أضفنا إلى ذلك العنصر الوافد*، و إذا ما ارتبطت الرواية بالقراءة فإنها ستصير معرفة و >> هي ما يكتسب عن طريق القراءة >>³³ و هنا نتساءل: هل القراءة وحدها تساهم في اتساع أفق المبدع و بالتالي ثراء النص؟ فالممارسة الإبداعية توحى لنا بأن القصيدة تبوح بأكثر من لسان؛ إذ >> يلتئم شمل عدد كبير من التجارب الجزئية التي لا تربطها أصلا أية صلة، بعض مشاهدات الشاعر و أفكاره و مطالعته العاطفية، تتجمع على نهج يفقد لكل منها ذاتيتها و انعزالها و جزئيتها و يستوعبها ككل بنية مركبة تعطيها معنى >>³⁴ يستجيب لمقتضى السياق الذي استدعاها فتصبح بمثابة >> مواد لطبع الشاعر و يزوب لسانه بألفاظها >>³⁵ فتزيد ثقته بقدرته على التجاوز و الاختراق و منه تأثيره في **متلقيه**.

و اهتمام " حازم " بهذه المعارف تابع لاهتمامه بالمعاني الجمهورية؛ لأن أصالة الفكرة تتحدد بمقدار انفتاحها على المعرفة التي **توازيها** نصيا و قد اعتبر الناقد القصص

³¹ عبد الله العشي، نظرية الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين، رسالة دكتوراه مخطوطة، 1992/1991: 133.

³² حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص: 27 - 28.

* أنظر عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999: 129.

³³ عبد الله العشي، المرجع السابق: 133.

³⁴ سيسيل دي لويس، ما الشعر الحديث (مقال)، مجلة الشعر / س 1، العدد 10، 1964: 60.

³⁵ عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم: 125.

التاريخي نموذجاً حياً لذلك؛ فالإحالة كتقنية فنية في الكتابة تستمد مادتها من ذاكرة الشاعر الذي يترتب عليه أن يناسب بين المعرفة و السياق، **الأنبي** للكتابة و هو ما يمنح هذه المعرفة حياة جديدة في إطار السياق الجديد الذي ينفخ فيها روحه، فتنبض معلنة انتماءها له >> ففي حالة الإبداع الشعري تطفح مخزونات الشاعر من محفوظه و علومه التي استوعبها لتعينه في التعبير عن خواطره و أفكاره <<³⁶.

و من ناحية أخرى فإن إطلاع الشاعر على نتاج أقرانه من المبدعين قديماً أو آتياً، يرسخ قوته على التشبه و **ينميها إذ يرتقي بمنزعه** الشعري³⁷ و يوجد أسلوبه، كما يؤصل قوته على التميز فيستطيع أن ينتقي و يستحضر ما ينسجم و لحظة الكتابة. و لحظات الكتابة تحيلنا مباشرة إلى أدوات الكتابة كجزء لا يتجزأ من خبرة الفنان.

³⁶ عدنان قاسم، الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة نقدية في أصالة الشعر، المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع و الإعلان، ط 1، 1980: 305.

³⁷ أنظر حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 365-366.

3 - الأدوات :

ينبغي على الشاعر إذا ما اجتاحتها القصيدة و حضرتة الأفكار أن يكون مستعدا لاحتضان التجربة، و مثلما لا يستغني أي مشروع تأسيسي عن أدوات، فإن الكتابة كنبوءة تتطلب أدوات* تمنح لها الكينونة، و قد قسم ناقدنا هذه الأدوات إلى قسمين >> العلوم المتعلقة بالألفاظ و العلوم المتعلقة بالمعاني <<³⁸.

فأما العلوم الخاصة بالألفاظ فهي التي تخرج النص في شكل بديع، و علم البديع واحد من علوم البلاغة الذي يهتم بالصورة الشعرية و بالأخص البيان أي التشبيهات و الاستعارات... الخ فمعرفة هذه الأساليب يجعلها عند الشاعر سهلة المأخذ، كما تأخذ >> الألفاظ الدقة و السلامة، و الإحكام، فيستمد منها الوصف الملائم، و التشبيه المناسب، و المعلومة الصائبة - وتمده بدورها - بالقدرة على " التمييز بين المتشابهات " من القضايا و الأشياء **فتنجز** صيغه الشعرية من الخلط و الاضطراب <<³⁹ خاصة و أن القول الشعري يعتمد على المحاكاة الجيدة و هو ما لا يتأتى إلا بالاستيعاب الجيد لأصولها.

أما علم المعاني فهو >> تتبع خواص تراكيب الكلام كالإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره **ليحترز** بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره <<⁴⁰.

و الشاعر لا يدرك قيمة هذه المعارف إلا إذا همّ بالكتابة فإن كان متمكنا **متبحرا** في مختلف العلوم ساعده ذلك بالإضافة إلى طبعه و موهبته، أما إذا كان هزيل المعرفة ظهر ذلك في كتاباته و كثرت زلاته بما يعيقه عن الاستمرار في الكتابة.

* مصطلح أدوات مطروق في النقد العربي قبل حازم، انظر عيار الشعر: 40 .

1 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 41 .

³⁹ حسن البنداري، تكوين النص الشعري عند حازم، مجلة دراسات عربية و إسلامية، كلية دار العلوم، القاهرة، العدد: 2/

1982 : 194-195 .

⁴⁰ السكاكي أبو يعقوب يوسف 0، مفتاح العلوم، لقاهرة ، 1356 - 1937 : 77.

ينبغي **على الشاعر** إذن إن يطلع على علم العروض >> و ما يجوز فيه من الزحافات و مالا يجوز، فإن الشاعر محتاج إليه >>⁴¹ لكي لا تصعب عليه الأوزان و لا القوافي و ليعلم ما يجوز له من ضرورات ليستثمرها في خطابه، لأن >> الذوق **قد ينبو** عن بعض الزحافات و يكون ذلك جائزا في العروض، و قد ورد للعرب مثله >>⁴²

و إن مادة الشعر هي اللغة و التعامل معها يعني معرفة مختلف مستوياتها، معجميا و دلاليا و صرفيا و كل مستوى منها يتطلب منحى خاصا و **منهجاً** معيناً للدراسة، و يرجع " حازم " التفوق في كل علم خاص بالشعر إلى منبعه >> فقلما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة، و لا في الألفاظ من لم ينشأ بين أمة فصيحة، و لا في جودة النظم من لم يحمله على مصابرة الخواطر في أعمال الروية (...) و لا في رقة أسلوب النسيب من لم تشط به عن **أحبائه رحلة** و لا شاهد موقف فرقة >>⁴³ .

إن الشاعر من منظور " حازم " لا بد أن يكون ضليعا بمختلف العلوم و الفنون لكي لا يكون لديه أي عقبة لحظة **اختمار** الأفكار في ذهنه و لا يكابد مع العروض و النحو قدر ما يعاني في إيجاد طريقة مثلى لإخراج هذا **الجاثم** داخله و **يهديه** ذلك على نشوئة على الفترة السليمة و الذوق السوي، هذا بالإضافة إلى معايشة التجارب الحية خاصة ما يتعلق منها بالأمور الإنسانية، لأنها تنمي لديه الإحساس بالقيم الجميلة و من ثم البحث عنها.

إن الأدوات لا يمكن أن تكون فعالة إلا إذا تضافرت مع العوامل الأخرى، فالنحو و الصرف و العروض كأدوات أولية لا تصنع القصيدة، لكن الشاعر يتدخل >> بخياله ليصوغ منها لغة شعرية تجاوز حقائق اللغة العادية إلى آفاق مبتكرة جديدة، إيقاعية و

⁴¹ ابن الأثير، المثل السائر، ج 1: 72.

⁴² المرجع السابق، ج 1 : 73.

⁴³ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 42

تصويرية >>⁴⁴ إلا أن هذه العناصر متكاملة فيما بينها، و إذا كانت الموهبة قارة فإنها تستمد تفردھا من العوامل المكتسبة، و من اجل ذلك اهتم نقادنا كثيرا بالجانب المعرفي للشاعر و رأوا بأن لا يكتفي بعلوم اللغة و الأدب فقط بل عليه أن يعرف >> الحساب، و علم المساحة، و المعرفة بالأزمنة و بالشهور و الأهلة >>⁴⁵ و أن يعينه كل هذا في تشكيل حاسته الجمالية و صقل ذوقه الفني، >> بحيث لا تصبح الثقافة مجرد تراكم لمعلومات مخزنة في الذهن بل تصبح " فلسفة " تفسر الحياة و تحدد الموقف مما يحدث فيها >>⁴⁶ بوعي.

⁴⁴ نوال الابراهيم، مفهوم الشعر عند حازم القرطاجني: 87.

⁴⁵ أبو هلال العسكري، سر الصنائع: 154 .

⁴⁶ عبد الله العنّي، نظرية الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين : 209 .

4 - بواعث الكتابة :

إن حديث " حازم " عن دواعي أو بواعث الشعر ذو شجون؛ فهو يقسمها >> إلى إطراب و إلى آمال <<⁴⁷ و هو في ذلك متأثر بـ " ابن قتيبة " حين قال >> و للشعر دواع تحت البطئ و تبعث المتكلف منها: الطمع، و منها الشوق، و منها الشراب، و منها الطرب و منها الغضب <<⁴⁸ و قد تحدثت الكتب النقدية أيضا عن قول النقاد >> النابغة إذا رهب، و زهيرا إذا رغب و جرير إذا غضب <<⁴⁹ ، و هي الصفات أو بالأحرى الحالات التي جمعها " حازم " في الآمال و الإطراب، >> و كان كثير من الإطراب إنما يعتري أهل الرحل بالحنين إلى ما عهدوه و من فارقوه، و لآمال إنما تعلق بخدام الدور النافعة <<⁵⁰ و هي كلها تنبئ عن التحول المقبل في تشكل انفعالات نفسية تحتويها >> الحالات الوجدانية: الشرب باعتبار نتائجه حيث ينقل صاحبه إلى حالة وجدانية مغايرة لحالته العادية، و الطرب في معانيه: الفرح، و الغضب و كلها - كما هو واضح - حالات انفعالية تحول الشاعر من وضعه العادي إلى و وضعه الإبداعي <<⁵¹ فالنص في أرقى حالاته ينشأ عن انفعال يتضخم في ذات المبدع فيتطور معلنا بدء القصيدة.

و بالإضافة إلى هذه البواعث فإن " القرطاجني " يرى بأن هناك عوامل أخرى هي أيضا باعثة على قول الشعر و هي القوة على التشبه على السجية، فالشاعر إذا تشبه ببعض ما قرأه لا شعوريا فإن ذلك سيتحول إلى باعث على الكتابة، و كلما تضاعفت هذه القوة فيه كانت كافية لتكون داعيا للإبداع فهذا الصنف من الشعراء >> لا تحتاج فيهم تلك القوة إلى معاونة من أمر خارج عن الذهن من الأمور الباعثة على قول الشعر،

⁴⁷ حازم القرطاجني، منهج البلغاء و سراج الأدباء: 41.

⁴⁸ ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، عالم الكتب، بيروت، ط3/ 1484/1404: 8 .

⁴⁹ ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد الزين و أحمد أمين و إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الجزء الخامس، د ط: 1983: 251 .

⁵⁰ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 41-42 .

⁵¹ عبد الله العشي، نظرية الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين : 39-40 .

لتوفير تلك القوة فيهم على كل حال <<52 لأن القوة على التشبه تتحول بدورها إلى باعث أساسي على قول الشعر و ذلك ربما ما قصده " حازم " بقوله >> يجب على من أراد التصرف في المعاني و حسن المذهب في اجتلابها و الحذق بتأليف بعضها إلى بعض أن يعرف أن للشعراء أغراضا أول هي الباعثة على قول الشعر، و هي أمور تحدث عنها تأثيرات و انفعالات للنفوس <<53 .

كما يمكن أن نعتبر بأن القوة على التشبه من الأغراض الأولى المساعدة على خلق الحدث الإبداعي و المساندة للبواعث الأصلية التي تنشأ عن تجاوب مع حالات احتكت معها النفس >> لكون تلك الأمور مما يناسبها و يبسطها أو ينافرها و يقبضها أو لاجتماع القبض و البسط و المناسبة و المنافرة في الأمر من وجهين، فالأمر قد يبسط النفس و يؤنسها بالمسرة و الرجاء، و يقبضها بالكآبة و الخوف، و قد يبسطها بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع، و قد يقبضها و **يوحشها** بضرورة الأمر من مبدأ سار إلى مأل غير سار <<54 .

إن هذه الشبكة المعقدة للانفعالات النفسية دليل على صعوبة إدراك هذه العملية الخفية لأنها تابعة لخبايا النفس المجهولة، و قد كان " حازم " في حديثه عن بواعث الشعر متقدما كثيرا عن سبقه خاصة عندما ربط بين الصور التي تختزنها ذاكرة المبدع و كيف تتحول إلى باعث على الكتابة لأن الذاكرة تنتقيها لجودتها، هذه الجودة التي تستفز القوة النازمة للمبدع لمجاراتها و إذا ما بلغت الفكرة النصاب تحول الهاجس إلى داع ملح للكتابة و معه تتفتق الخلايا النصية و تتكاثر.

52 حازم القرطاجني، منهج البلغاء و سراج الأدباء: 347.

53 المصدر نفسه: 11.

54 المصدر نفسه: 11.

5 - زمن الكتابة:

قبل أن يبيّن لنا " القرطاجي " رأيه في هذه القضية أحالنا مباشرة على وصية " أبي تمام " ترى لماذا " أبو تمام " ؟ و لماذا " البحرني " ؟ لماذا لم يوجهنا إلى صحيفة " بشر بن المعتمر " مباشرة و هي السابقة زمننا على الأقل ؟ فالمطلع على الصحيفة و على الوصية لا يلمس فروقا كثيرة، أم سبب ذلك أن " حازما " انتقى " أبا تمام " كصاحب تجربة، >> و الشعر لا يفهمه حق الفهم إلا من خبره عن قرب، أي خبره و عانى تعب التجربة <<⁵⁵، لأن الإحساس بقضية ما يولد الإيمان بها كما أن >> الشاعر ليست له مرجعية سوى ذاته، فهو يمتح من النبع مباشرة على خلاف الناقد <<⁵⁶ الذي تتحكم فيه عدة مرجعيات يصدر من خلالها . و كما يقال فإننا >> في ميدان الشعر بحاجة إلى رائد ثقة، رحل و استبان ثم عاد، و لن يكون هذا الرائد إلا شاعرا أما النقاد فهم كمن يضع خرائط لجبال العالم الذي (يريدونه) (...) غير أنهم هم أنفسهم لم يتسلقوا تلك الجبال قط <<⁵⁷.

إن الشاعر إذا تكلم عن تجربته الشعرية يحترم كل زاوية من زوايا الإبداع **يعي** قدسيّتها و أهميتها و هو ما يضعنا جنبا إلى جنب مع التجربة الصوفية، و هو الأمر الذي قد لا يلاحظه الناقد و هذا عائد >> إلى غموض هذه العملية و صعوبة احتوائها في لغة عادية و بعبارة خالية من النبض و الحرارة كما يحسها الشاعر <<⁵⁸ ، ولذلك فإن أكثر و أكبر أسرار العملية الإبداعية باح بها المبدعون على اختلاف مجالات فنهم.

و تعاملنا مع تجربة " أبي تمام " يجعلنا نتساءل:

⁵⁵ نبيل فرج، مملكة الشعراء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1988: 188.

⁵⁶ عبد الله العشي، المرجع السابق: 24.

⁵⁷ أرشيبالد ماكليش، الشعر و التجربة، ترجمة سلمى الخضراء الحويسي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1963: 12.

⁵⁸ عبد الله العشي، المرجع السابق: 26.

هل كون الشعر صنعة يجعله قابلاً للتعلم؟ و هل كان " البحتري " بحاجة إليه و هو صاحب طبع، متى تصبح كتابة الشعر عسيرة و هل فعلاً قلع ضرر أهون من قول بيت شعر في كل الحالات و في كل الأوقات..؟
كيف سنستفيد من تجربة " أبي تمام "؟ هل سنحاول تقمص الدور و إحياء الطقوس لنبدع؟ أم أننا سننتقي ما يناسب تركيبتنا الفكرية و النفسية؟

و بداية يقول " حازم " >> يجب على الشاعر إذا أراد نظم الشعر _ و كان الزمان له منفسحاً و الحال مساعدة - أن يأخذ نفسه بوصية " أبي تمام الطائي " لـ " أبي عبادة البحتري " في ذلك و يأتيه به، فإنها تضمنت جملاً مفيدة لما يحتاج إلى معرفته و العمل بحسبه صاحب هذه الصناعة <<⁵⁹ .

إن المبدع لا يعيش زمن التجربة النموذج بل يستدعيها بعد أن تصبح جزءاً من اللاشعور؛ فالزمن تابع لخصوصية العملية الإبداعية و فرادتها و كذلك الحال، سواء أكان الحال النفسية أو الإطار العام و كلاهما ملك لتلك الخصوصية، فلكل مبدع أبعديته في الكتابة كما تستقل كل قصيدة بفضاء خاص، و الزمن هو العامل الأول الذي نبه إليه " أبو تمام " ، فما مشكلة الزمن عند " البحتري " .. ؟

يتحدث " البحتري " عن أوقات يصبح فيها قرص الشعر أمراً مستعصياً و ذلك أمر منطقي لأن ذلك غير متاح في كل وقت و إلا لأصبح الإبداع فعلاً مشاعاً و إرادياً. و الشاعر هنا لا يشكو من عدم تمكنه من الكتابة مطلقاً لأنه صاحب طبع بل يقصد فترة معينة يمتنع فيها عن ممارسة إبداعه إذ يقول: >> كنت في حدثاتي أروم الشعر و كنت أرجع فيه إلى طبع. و لم أكن أقف على تسهيل مأخذه و وجوه **اقتضائه** حتى قصدت أبا تمام و انقطعت فيه إليه و اتكلت في تعريفه عليه <<⁶⁰ .

⁵⁹ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 202.

⁶⁰ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 203 .

إن الزمن هو العامل الأول الذي يشير له " أبو تمام " بقوله: >> تخير الأوقات و أنت قليل الهموم صفر من الغموم، و اعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر، و ذلك لأن النفس قد أخذت حظها و قسطها من النوم <<⁶¹ ماذا يقصد " أبو تمام " بقليل الهموم صفر الغموم؟، فإذا عدنا للهموم و الغموم بصفة عامة وجدناها مادية **فيزيولوجية** أو معنوية أي ذهنية و نفسية، و إذا كان بإمكان المرء أن يتخلص من إرهاقه الجسدي في زمن معلوم، فإن تحقيق الراحة النفسية خاصة و نحن نتحدث عن ذات لها من الحساسية ما يجعلها مثقلة بثتى أنواع الأوجاع أمر عسير و ونسبي، و مع أن الهموم بقسميها تشغل البال فإن انعكاس ذلك على المبدع مختلف، فهو إن كان مجهدا جسما فإنه لن يبدع إذا لم يكن مستعدا نفسيا، بينما إذا كان همّه داخليا فإن تضخم هذه الحال يؤدي في بعض الحالات إلى الكتابة.

و هنا نربط بين صفر الغموم و قلة الهموم و بين النشء الجيد الذي يفترض - حسب القرطاجني - أن يعيشه المبدع؛ بحيث قد يكون قليل الهموم إن عاش في مجتمع **يلبّي** له كل متطلباته، فالتفكير النقدي العربي مادي في بعض أفكاره حتى بين طرفي التشبيه، فكيف لا نتوقع أن يكون الهم أو الحزن ماديين، بدليل أن " القرطاجني " عندما ذكر عوادي النظم و عوائقه ذكر الكسل و الخمول ، و من جهة أخرى لو لم يكن الداء ماديا لما كان الدواء ماديا أيضا فالنوم و الراحة هما علاج الجهد و التعب .

>> أما الوقت الذي تبدأ فيه الكتابة فهو نسبي و قد أشار " ابن قتيبة " أن للشعر أوقات يسرع فيه أتية و يسمح فيه أبيه، منها أول الليل قبل تغشي الكري و منها صدر النهار قبل الغداء ،منها يوم شرب الدواء و منها الخلوة في الحبس و المسير <<⁶²، و كل وقت منها يبعث على قول معين لأنه ينم عن حالة نفسية مختلفة . و إذا كان " أبو تمام " قد اكتفى بالسحر فان ذلك لا ينطبق على جل الشعراء، >> و قد يكون الليل مناسباً لما يوفره من شروط التأمل كالهدهوء و العزلة و خلو الذهن من انشغالات

⁶¹ المصدر نفسه: 203 .
⁶² ابن قتيبة الشعر و الشعراء: 81

النهار >>⁶³ و " أبو تمام " ربط هذا الجو بالتأليف ، و الحفظ المقترن بالرواية لأن الحواس في هذا الوقت تكون يقظة و الذاكرة حيوية أما الشعر فيحتاج للحظة خاصة و زمن مختلف عن الزمن المألوف هو زمن الشعر لا أكثر ..

إن المبدع لا يختار لحظة الكتابة لأنها تفاجئه فيصبح أسيرها ف >> الشعر يأتي على غير انتظار >>⁶⁴ ليمتزج الزمان بالمكان مثلما تلتئم أجزاء القصيدة و تتظافر فيما بينها .

أما بقية الوصية فخاصة بمناسبة المقال للمقام التي دعا إليها الجاحظ.

أما إذا أصيبت العملية الإبداعية بنوع من الفتور وهو احتمال و ارد أثناء الكتابة فلا يفترض الإجهاد المضني للفكر؛ ف >> أية محاولة لاستحضارها قصرا، هي عملية إلغاء لها ، أو تشويشها على الأقل >>⁶⁵ بل تترك المبادرة للقصيدة كما قال " أبو تمام " >> و اجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلي حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين >>⁶⁶ . و فراغ القول في قوله مرتبط بقلة الهموم و يحاول " القرطاجني " أن يتحدث عن العملية الإبداعية حديث الشاعر بعيدا عن الأحكام المنطقية و المرجعيات المرتبطة بالموروث الفلسفي فيقول : >> اعلم أن خير الشعر ما صدر عن فكر و لع بالفن و العرض الذي القول فيه ، مرتاح للجهة و المنحي الذي وجه إليه كلامه لإقباله بكليته على ما يقوله و توفير نشاط خاطر و حدته بالانصباب معه في شعبه و الميل معه حيث مال به هواه ، ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن سجيته نفس شجية **وقريحة قريحة⁶⁷** و كذلك الاخوانيات و المراثي وما جرى هذا المجرى >>⁶⁸ .

1 عبد الله العشي نظرية الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين : 58

⁶⁴ البياني . الوطن العربي ع 387 س 8-1984 : 56.

⁶⁵ د/ عبد الله العشي ، المرجع السابق : 57

⁶⁶ حازم القرطاجني المصدر السابق : 203

⁶⁷ القريحة: ما خرج من الطبيعة ، و منه فلان جيد القريحة ، أنظر أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، مصححة و مقابلة على عدة مخطوطات و نسخ معتمدة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دائرة الأفاق الجديدة ، بيروت، لبنان ، الطبعة الخامسة، 1403 هـ - 1983 م : 78 .

⁶⁸ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 341 .

يظهر المبدع في هذه الفقرة مفعولا فيه فكيف له أن يختار الزمن أو المكان و الرابط بين القصيدة و الشاعر هو الولوج الذي يضعنا مباشرة أمام ثنائيات الحضور و الغياب ، الممانعة و الإمكان و قد تحدث " القرطاجي " عن أسباب تمنع الشعر عن قائله ⁶⁹ و عن كيفية استغلال هذا الحضور لحصول ما سماه بتكاثر المعاني ⁷⁰ ، و إذ تصبح القصيدة **مجالا** لتكاثر الدلالات يحضر معها كل شيء >> و هي أشبه ما تكون بكرة الثلج المتدرجة التي يزداد حجمها بالتدرج <<⁷¹ و يتفاعل المبدع مع القصيدة كمن يشهد على ميلاد جديد دونما كلل أو إحساس بالزمن الآني ، و الانصباب الذي ذكره " القرطاجي " سمة التلقائية التي تواكب الانسيابية ، فلا يحس المبدع إلا و البناء يتأسس ، إن القصيدة ضيف يزورنا بغير دعوة ، إذا زارنا أحضر كل ما يحتاج بما يجعلنا نحس أننا نحن الضيوف ، >> الشعر يضع نفسه بنفسه و ينسج ثوبه بيده وراء ستار النفس حتى إذا تمت له أسباب الوجود و اكتسى رداء النعم ارتجف أحرفا على الورق <<⁷² . وهنا نلاحظ أن تجارب الشعراء تتقاطع ، فكل الشعراء قدماء كانوا أو معاصرين يعانون في إخراج قصائدهم فهي >> تولد بعد مرحلة حمل عسيرة ، تظل تنمو عبر فترات هذه المرحلة نماء معرفيا و وجدانيا و موسيقيا و نفسيا <<⁷³ ، و إذ تختلف العذابات من شاعر لآخر يكون الميلاد واحدا في انتظار مصير واحد .

إن استيعاب العملية الإبداعية و نظرة " القرطاجي " وغيره من النقاد القدماء لا بد أن يكون في إطار بسياقها الثقافي لأن ذلك يوقعنا في سوء الفهم و التقدير ، و الحديث عن مراحل عملية الإبداع شيء صعب مازال البحث فيه جاريا حد التسليم بلا جدواه (البحث) لأن الشعر كالحب و الخير، قيم إذا حاولنا إحكام القبض عليها في قوانين منطقية و قوالب جاهزة فسدت، وإذا عرفناه بلغة رمزية بحيث تحافظ على هلاميتها و شفافتها زدناها غموضا .

⁶⁹ انظر المصدر نفسه من : 208 الي 211

⁷⁰ انظر المصدر نفسه : 206

⁷¹ عبد الله العشي المرجع السابق : 125

⁷² نزار قباني طفولة نهد منشورات نزار قباني . ط 13 / 194 : ي .

⁷³ عبد الله العشي المرجع السابق : 59

و مثلما لا يؤطر الشعر فهو لا يحتاج إلى عالم يصدر أوامره ونواهيه و العملية الإبداعية في حدوثها لا تحتاج لطرف ثالث ولا لفترة زمنية محددة فالشاعر >> لا يستطيع أن يؤلف شعره في ساعات عمل محددة <<⁷⁴ و لا أن يخضع خطابه لسياق معين فالقصيدة تجتاح صاحبها على حين غرة في شكل شظايا بلورية يسارع المبدع إلى لملمة أحزانها فتساعده على التكوين فيحدث الانبثاق ..

⁷⁴ ستيفن سبيندر، الحياة و الشاعر: 124

6 - القوي الناظمة:

يمكننا أن نتلمس بعضا من سمات المبدع الذي يقصده " القرطاجي " في مؤلفه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، فهو شخص مبتكر للأشكال التعبيرية اللغوية، ذواق أصيل بفضل ما أوتي من **خبرات** وإمكانيات فإنه رأى بأن الشاعر لابد أن تؤسس طبعه قوى عشر هي المسؤولة عن عملية الصناعة كما سماها، صناعة يفترض أن تطهر فيها عبقرية صاحبها و سنحاول في هذا المقام أن نلج إلى صميم هذه القوى، منطلقين في البداية من هذه الأسئلة.

- ما صيغة هذه القوى؟ و ما علاقتها بالإدراك و من ثم علاقاتها بالرؤية الفنية للمبدع؟ - كيف تتفاعل هذه القوى في صوغ العمل الإبداعي؟ و لماذا اعتبرها " القرطاجي " عند حديثه عن المكونات الفطرية و المكتسبة ثلاثا بينما فصل فيها أثناء حديثه عن الطبع و جعلها عشرا؟ وما نوع الوشيجة التي تربط بينها في المقامين؟

أ - قوة التشبيه:

إن القائل إذ يعلن انتماءه لتجربته الشعرية يستحضر كل ثقله التاريخي و النفسي و المعرفي بالإضافة إلى ملكات و معطيات أخرى تؤسس القول أكثر هي ما سماه بالقوى ف >> لا يكمل لشاعر القول على الوجه المختار إلا بأن تكون له قوة حافظة و قوة مائزة و قوة صائغة <<⁷⁵.

و كلما امتلكت الذات المبدعة هذا الطبع المؤسس >> قويت علي صوغ الكلام بحسبه عملاً <<⁷⁶ ، و كان تذوقها للمكون الفني تذوقاً فنياً صائباً ، وكل هذا عائد لـ >> قوي فكرية و اهداءات خاطرية <<⁷⁷ تتبع >> النفوذ إلى مقاصد النظم و أغراضه و حسن التصرف في مذاهبه و أنحائه <<⁷⁸.

و تشكل هذه القوى مجتمعة عامل فطري لأنه من الطبع و السجية بالإضافة إلى المهيئات والأدوات و البواعث السابقة الذكر، و هو ما يضع أمامنا أفقا معرفيا و جماليا مؤسسا، تفعله الممارسة الإبداعية ليصبح أكثر ديناميكية و تجليا في الخطاب الشعري.* و سيكون البدء من القوى العشر باستحضار الثلاث، وأدل قوة و جب ألا يستغني عنها الطبع هي >> القوة علي التشبيه فيما لا يجري **علي** السجية و لا يصدر عن قريحة بما يجري علي السجية و يصدر عن قريحة <<⁷⁹ إلا أن حديثنا في هذا المقام سيكون عن قوة التشبيه لا التشبيه و هذا مؤسس علي قول الباحثة فاطمة عبد الله الوهبي إذ تقول:

⁷⁵ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء :42.

⁷⁶ المصدر نفسه :199.

⁷⁷ المصدر نفسه :199.

⁷⁸ المصدر نفسه :199.

* لم تبين بعض الكتب النقدية كيف تصبح القوى الناظمة طرفا في تشكيل الخطاب و الكتب التي نعينها هي كتابي / جابر عصفور مفهوم الشعر و الصورة الفنية ، كتاب نظرية المعني عند حازم لفاطمة عبد اللون الوهبي المذكور أنفا ، و كتاب مفهوم **الشعرية** لطراد الكبسي ولذلك فان كل ما سنعتمد عليه في تعاملنا مع هذه القوى النظرية اجتهاد خاص.

⁷⁹ حازم القرطاجني، المصدر السابق :200.

>> و أحسب أن تصحيفا لحق الكلمة، لاسيما أن حازما لا يلبث بعد قليل و في مواضع متفرقة من كتابه أن يشير إلى ما يسميه ' قوة التشبه ' 80 .

و هذا اعتقاد يكون قد أوحى به الدكتور جابر عصفور الذي أدرك سابقا أن المقصود بهذه القوة هو التشبه ، فالتشبيه فن بلاغي عكس التشبه الذي يتحدث عن >> فعل من أفعال " التعاطف " و " التقمص " << 81 و مع أنه جمع بين قول " حازم " في التشبه كقوة و بين قوله عن التشبيه كحاكاة لتجارب شعرية أخرى إلا أنه لم يفرق بين المصطلحين ، بل اعتبر الحديث في المعرضين خاصا بمدى قوة الشاعر بالإقتداء بمن أجاد من الشعراء .

إن إدراج واقعين: **طبيعي** مألوف و**خيالي مستغرب** هذه القوة في الطبع دليل على أن وجودها و توظيفها خاضع **لسليقة** الشاعر. إذن نحن أمام واقعين أحدهما طبيعي مألوف والآخر فني **متخيل** تمثله الصورة الافتراضية للقصيد قبل انجازها ، ولما كانت قراءات المبدع هي التي تنضج تجاربه فان هذه القراءات تنجلي في ذهنه بشكل صور نموذجية و عليه فيما بعد أن يملك القوة علي التشبه بها ولا يعني التشبه التقليد الكلي بل هو ذلك الذي تظهر البراعة فيه و سنتطرق في مقام آخر إلى عمل هذه القوة في كيفية التصرف في المنازع الشعرية .

و إذا تمكن الشعر من تحقيق هذا التجاوز الفني الذكي فان وقع ذلك سيكون ايجابيا على المتلقي والذي يحاول بدوره أن يعيش التجربة ، تجربة الكينونة و الميلاد ، فقوة التشبه تجعل باستطاعة >> الشاعر أن يحاكي المشاعر (...) أي التشبه بأحاسيس و مشاعر يتقمصها و يحاكيها كأنه عاشها << 82 .

وهو ما يحدث للكثير من القصائد التي تحتوي تجارب كثيرة لا تخص الشاعر بالضرورة، و نعني بالتجارب هنا المصادفات اليومية 83 لا التجارب الشعرية .

80 بنظر إشارته إلى هذه القوة قوة التشبه لا التشبيه: 341-342 .
81 جابر عصفور مفهوم الشعر دراسات في التراث النقدي المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر ، بيروت لبنان، الدار البيضاء ط-3-1983: 187

82 فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى: 217.

83 انظر مصطفى سوييف الأسس النفسية للإبداع الفني: 273 الي 280

فالفكرة التي تثير انتباه و اهتمام الشاعر قد تكون هي القصيدة المشروع و هو ما يدخل في نشوء الحميمية و التقرب بين المبدع و الفكرة فيحدث الاتحاد الناجم عن المماثلة و من جهة أخرى فان الموضوع الذي تحفظه الذاكرة المبدعة يلزم المبدع فيحدث التمثل الذي >> هو حصول صورة الشيء في الذهن ،أو إدراك المضمون المشخص <<⁸⁴ للترجمة الحاصلة في الواقع.

و رغم ما يبدو في هذه العملية من بساطة باعتبار أننا نتساوى إذ نتاح لنا الظروف الحياتية التي تنتج التجارب بصورة واحدة، إلا أن تخمّرها في اللاشعور أولاً ثم استحضارها أثناء الكتابة غير متاح للجميع و أكثر من هذا فإن الشعراء أنفسهم يتفاوتون في ذلك.

و قد ذكر " القرطاجني " أن القوة على التشبه غير **متاحة** إلا للصفوة و هم البلغاء؛ ف >> بعض النفوس (لها) قوة تتشبه بها في ما جرت فيه من **نسيب** و غير ذلك على غير السجية بما جرى فيه على السجية من ذلك، فلا تكاد تفرق بينهما النفوس و لا يماز المطبوع فيها من المتطبع، فإذا اتفق مع هذا حسن النظم تناصر الحسن في النظام و المنحى و اعتم فلم يكن فيه مقدح <<⁸⁵ .

فقدرة الشاعر على تقمص التجربة و معايشة الفكرة تجعله يخرج خطابه إخراجاً بديعاً بما يحجب بعض زلاته كالتكلف الناجم عن التقرب المفرط من الفكرة الجميلة. و قد شبه " حازم " النص الذي تتجلي فيه قدرة صاحبه من خلال قوته على التشبه على السجية بالقلادة >> لأن الألفاظ و المعاني كالألي، و الوزن كالسلك، و المنحى الذي هو مناط الكلام و به اعتلاقه كالجيد له، كما أن الحلي يزداد حسنه في الجيد الحسن فكذلك النظم إنما يظهر حسنه في المنحى الحسن، فلذلك و جب أن يكون من له قوة التشبه المذكورة أكمل في هذه الصناعة ممن ليست له تلك القوة <<⁸⁶ .

⁸⁴ جميل صليبا المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية و اللاتينية .ج1 الشركة العالمية للكتاب 1994/

1414 بيروت لبنان: 342

⁸⁵ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 341.

⁸⁶ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 342.

إن اهتمام الناقد بمقدرة المبدع على التقمص الشعوري كباعث على القول، قاعدة أسس عليها نظريته للكتابة الإبداعية باعتبارها حلقة مهمة موصولة بحلقات سابقة تمثلها تجارب شعورية أو شعرية و نقصد بالشعورية المشاهد التي يصادفها المبدع فتؤثر فيه فتتحول إلى محفزات للكتابة، كما حدث للشاعر الجاهلي الذي مر على **الدمن** فحركت بداخله ذكريات و تجارب ماضية جعلته يبديع.

أما ما نعنيه بالتجربة الشعرية فهي التي تنجم عن القراءات العديدة التي تفرز نوعا من الملامسة لبعض الأساليب الشعرية الخاصة بشعراء آخرين **فيتشبه** الشاعر بما جاد من الطرق و المنازع التي ميزت بعض المبدعين، و هنا تتقاطع الحلقات إذ تتشابه الخطابات الإبداعية⁸⁷ و إذا كانت هذه القوة في مقدمة القوى فذلك لكون النص الشعري مجالا رحبا لكتابات سابقة مهما برزت فيه خصوصية التجربة **الأنية** ، و أن القصيدة عند " حازم " تقطع تأشيرة ميلادها بقراءة أول بيت شعري للآخرين و هو ما يجعل الطريقة التي يتم بها هذا التشبه وليدة لحظة الكتابة الإبداعية التي تستدعي الثابت و المتحول ، ليتحول المؤلف إلي مستغرب ، والنموذج الذي يقدمه " القرطاجني " هو مجارة أرباب الصناعة الشعرية بـ >> أن يلتفت إلى بعض مناحي شكاة الهوة في / أشعارهم الجارين علي سجايهم مما لطف أسلوبه و ظرف منزعه ، و إن وقع ما كان بهذا الوصف تقاربي في تلك الأشعار ، فيحضر ما كان بهذا الوصف في خاطره ، و يسلط الفكر و التصور على استبانة الطرق التي من أجلها حسن الكلام في منحاه وأسلوبه و منزعه>>⁸⁸ .

و قد ربط " حازم " بين التشبه المعتمد على التمثل و بين التصور ف >> تمثل الشيء تصور مثاله>>⁸⁹ وهو مربوط كذلك بفكرة التداعي، فالموضوع إذ يتشظى و تتجزأ عناصره و مكوناته فتستدعي إحداها فكرة أخرى كانت قد خزنتها القوة الحافظة ذلك أن >> الأحوال النفسية المتشابهة يدعو بعضها بعضا >>⁹⁰ . فإذا تمكن المبدع من

⁸⁷ سنتعرض لهذه الفكرة عند حديثنا عن السرقات الشعرية في الفصل الثاني: .

⁸⁸ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 342.

⁸⁹ جميل صليبا المعجم الفلسفي ج 1 : 342.

⁹⁰ المرجع نفسه: 279.

فرز الصور المتعاقبة بالاعتماد على القوة المائزّة و >> إذا استبان تلك الطرق علي ما بها علي الخفاء على كثير من الأفكار استظهر بالقوة التشبيهية على انتهاج مثل تلك الطرق في كلامه ، ونصب ما قام بخاطره من تصور لها تمثالا يصوغ كلامه بحسبه ومنوالا ينسج نظامه عليه ، جاء كأنه هو <<⁹¹.

و فكرة التشابه في المنازع الشعرية ليست وليدة الفكر " القرطاجني " ، و ذلك أننا نطالع في كتب النقد القديمة بأن " ابن سلام " مثلا أشار في مؤلفه أن الجامع بين الشعراء المصنّفين في طبقة واحدة هو تشابههم⁹² ، إلا انه لم يضبط مقاييس هذا التشابه و هو ما اعتبره الدارسون خطأ منهجيا ف " ابن سلام " كان يدرك أن روابط خفية لا يمكن ملامستها مطلقا، هي التي جعلت شاعرا يتفوق على آخر، و هي التي ترتبط مباشرة بالنبوغ و العبقرية و التفرد.

فإذا كان بين الشعراء المتمكنين رباط يجمع بينهم رغم تفاوتهم، فعلى الشاعر المبتدئ أن يتشبه بهم على السجية لا التكلف و بذلك تصبح هذه القابلية على التشبه فعالة في النصوص الإبداعية و هو مكون فطري بحت و لا يمنع العامل الفطري من تنميته بعوامل أخرى مكتسبة >> تحصل بحفظ الكثير مما حسن منحاها و أسلوبه و منزعه ، و ريّ الذكر من ذلك ، و تحليل النفس به أبدا، و مطارحتها القول على نحو من ذلك و الترامي بالخاطر أبدا إلى جهات من المعارضة لذلك، دربة يوصل بها أيضا إلى التشبه <<⁹³.

⁹¹ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 342.
⁹² أنظر ابن سلام الجمحي، الطبقات طبقات فحول الشعراء، مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل و دراسة طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العامة، بيروت، لبنان.

* نقصد بالدارسين رجاء عيد في التراث النقدي نصوص و دراسة، منشأة المعارف الإسكندرية، د ط، رقم الإيداع 1983/5497.

⁹³ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 44.

فاجتماع المكون الفطري بنظيره المكتسب يؤسس الذوق الشعري >> و لا سيما إذا نُفِّهَ ما قلته في الوجوه التي بها تحسين الأساليب و المنازع، فكانت تلك الوجوه متحصلة في دهنه <<⁹⁴ ، و لا يعني الاهتمام بالدربة و المران إمكانية اكتساب القوة على التشبّه بالتعلم ف >> من لم يتوصل إلى التشبّه إلا بالدربة من غير أن تكون له القوة التي ذكرت فربما وقع له ما يعده ذو القوة البصير بطرق النقد متكلفا أو فاترا، و إن خفي ذلك على أكثر الناس <<⁹⁵ .

و فكرة تحسين الأساليب و المنازع الشعرية تنفي كون عملية التشبّه محاكاة فعلية، بل إن المبدع يتجاوز المنزع الخاص بغيره بناء على لمساته الفنية، التي تؤسسها الرؤية الشعرية الرائدة و من خلال هذا التجاوز الأنّي يتم تجاوز كل النصوص المروية و المكتوبة و بناء على ذلك تتحدد معالم عبقرية المبدع.

و مثلما تختلف قدرات الشعراء على التشبّه فيما بينهم فإن هذا التفاوت يسري كذلك في تكوين الشاعر الواحد؛ بمعنى أن قوته على التشبّه تتفاوت نسبة تجليها في الخطاب ، و تبعا لهذا اختلف الشعراء >> فمنهم من له قوة على التشبّه في جميع كلامه <<⁹⁶ و هو المطلوب من الشاعر الحقيقي حسب " حازم القرطاجني " و امتلاك هذه القوة حسبه ليس بالأمر الصعب و لا الهين إنما هي خاضعة لظروف خاصة على الشاعر أن يحسن التعامل معها لأنها (القوة) >> لا تدرك بحرص و لا تنال بجهد بل قد يمنعها الحريص و يمنحها غير الحريص <<⁹⁷ .

و إذا ما تأصلت هذه القوة في طبع المبدع أصبح من الشعراء >> الذين لا تحتاج فيهم تلك القوة إلى معاونة من أمر خارج الذهن من الأمور الباعثة على قول الشعر، لتوفير تلك القوة فيهم على كل حال، و من أيّمه هذا الصنف: الشريف و مهيار و ابن

⁹⁴ المصدر نفسه : 344.

⁹⁵ المصدر نفسه : 344.

⁹⁶ المصدر السابق : 343.

⁹⁷ المصدر نفسه : 343.

خفاجة >>⁹⁸ بمعنى أن قوة التشبه تتحول بفعل صور مترسبة في الذهن إلى محفز للإبداع بالدرجة الأولى شرط اعتماد ذلك على الطبع و السجية فيما لا يجري على السجية أي ما يحدث من تجارب شعرية و شعورية.

أما القسم الثاني من الشعراء فهم >> من لا ينسحب تأثير تلك القوة التشبيهية إلا على الأقل من كلامه >>⁹⁹ لأن نفسه الشعري لا يستمر في تشبيهه و إنما يمر بفترات فتور فكري ناجم عن ضعف الصياغة أو التوظيف و في هذه الحالة لا يمكن أن يشكّل هذا الموقف محفزا لعملية الكتابة أو داعيا لها . و هذا الصنف من الشعراء >> تحتاج تلك القوة فيهم إلى معاونة بالأمور الباعثة على قول الشعر >>¹⁰⁰ و هي التي سماها " القرطاجني " الأمل و الإطراب ، عوامل لا ترتبط بزمان و مكان معينين ف >> قد توجد تلك البواعث و قد لا توجد، و قد تتوفر في وقت و قد تقل >>¹⁰¹ هذه النقطة التي تطرح أمامنا عدة أسئلة و ملاحظات منها أن " القرطاجني " جعل الشاعر الذي لديه القوة على التشبه في كل كلامه فرصا عديدة للكتابة أو بالأحرى فرصتين فرصة تؤسسها البواعث الطبيعية على الإبداع و أخرى تحققها القوة الحادة في التشبه فإذا اجتمعت القوة مع البواعث أمكن للمبدع أن يكتب، أما إذا لم تكن لديه القوة فعليه أن ينتظر البواعث ، و الانتظار مطلوب لأن البواعث لا تقترن بزمن معين، فهل يمكن الإبداع إذن فقط بقوة التشبه..؟

⁹⁸ المصدر نفسه : 343.

⁹⁹ المصدر نفسه : 343.

¹⁰⁰ المصدر نفسه : 343.

¹⁰¹ المصدر السابق : 343.

ب - القوة على تصور الكليات:

من مزايا قوة التشبّه أنها تسهل عملية إنتاج المعاني و الصور كما تمكن المبدع من >> تصور كليات الشعر و المقاصد الواقعة فيها و المعاني الواقعة في تلك المقاصد ليتوصل بهذا إلى اختيار ما يجب من القوافي و لبناء فصول القصائد علي ما يجب <<102 .

فبعد أن يتقمص المبدع التجربة الشعورية التي يتشبه بها ، >> تتوالد في العقل صور و نسخ لهذه المحسوسات بعد أن يتلاشي المنبه الخارجي <<103 .
و نتيجة لأن قوة المبدع تنهياً للبداية، يتحفز الذهن لابتكار الصور التي تنتقيها القوة المائزة للشاعر ف>> يحضر مقصده في خياله و ذهنه المعاني التي هي عمدة له بالنسبة إلى غرضه و مقصده <<104 .

و القوة الحافظة للخيالات هي التي تؤسس هذه الرؤية الجديدة بالموازاة مع العقل الذي ينتج التصورات . وإذا كان قد ربط بين الخيال و التصور من جهة و بين التصور و العقل من جهة أخرى؛ فذلك لأن >> الربط بين التصور و الخيال يحيلنا مباشرة إلى العمليات العقلية التي ينطوي عليها الخلق الفني <<105 . أما علاقة العقل بالتصور فذلك أمر منطقي باعتبار أن >> التصور: حصول صورة الشيء في العقل <<106 . فالشاعر بعد تصور أولي للمقاصد يستحضر معانيه >> و يتخيلها تتبعا بالفكر في عبارات بدد <<107 .

ولأن المقاصد الشعرية الجيدة عند حازم ترتكز علي ما ألف من المعاني، فإنه جعل هذه المدارك المألوفة عمدة النص قياساً إلى الغرض و المقصد * و قد قسم الناقد

102 حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدياء: 200
103 عاطف جودة نصر الخيال مفهومه و وظائفه. دراسات أدبية الهيئة المصرية العامة للكتاب: 17.
104 حازم القرطاجني المصدر نفسه: 204.
105 د/ عبد الواحد لؤلؤة (ترجمة) موسوعة المصطلح النقدي المؤسسة العربية للدراسات و النشر مجلد (2) ط (1) بيروت لبنان: 187.
106 الجرحاني التعريفات تحقيق و تعليق الدكتور عبد الرحمان عميرة عالم الكتاب ط 1 بيروت لبنان 1407 هـ
1987م: 87.
107 حازم القرطاجني، المصدر نفسه: 207 .

المعاني التي تشكل المقاصد الشعرية إلي معان أول و ثوان >> فالأول هي التي يكون مقصد الكلام / و أسلوب الشعر يقتضيان ذكرها و بنية الكلام عليها . و الثواني هي التي لا يقتضي مقصد الكلام و أسلوب الشعر بينية الكلام عليها <<¹⁰⁸ . المعاني الأوائل إذا هي التي تعتمد الخطاب عليها و بناء على عراقتها يتشكل، أما الثواني فهي مكملة للمقصد الشعري .

و المقاصد الشعرية تتفاوت في احتوائها المعاني الأول و الثواني فمنها ما >> تصلح أن توردها فيها أوائل و ثواني، و منها ما يليق بها و لا يصلح فيها أن توردها أوائل و لكن توردها ثواني <<¹⁰⁹ .

و المقاصد هي البنية الثابتة في الخطاب الشعري؛ لأنها تجذب إليها المعاني التي تناسبها (أي المقاصد) دون إغفال المتلقي ، الذي لابد من تناسب المعاني توقعه من؟ وفق توقعه ، تناسب لا يمكن توقعه في العرف " القرطاجني " ، إلا إذا كان مما ألف التعامل معه ، ونشير هنا إلى أن مصطلح الألفة لا يقصد منها الألفة العادية ، و إنما هو جوهر في أفق ترقب المتلقي بالإضافة إلى مكونات أخرى تحول دون تكشف هذه **البنية** و هي المحاكاة و التخيل .

وقياسا علي هذا تكون الاستجابة لمحتوى الخطاب ، فالمقاصد التي تضم معاني أول و آخر ثواني >> هي ما تعلق المتصور فيه بشيء معروف عند الجمهور من شأنهم أن يرتاحوا إليه أو يكثرثوا له <<¹¹⁰ . و هو ما يصطلح عليه بالمعاني العريضة أو الأصلية و التي يهتدي إليها المبدع ، و يكتشفها المتلقي بطبعه كذلك، اثر تفكيك هذا المعطي اللغوي و بأسلوب أدق >> فان للشاعر أن يبني كلامه على تخيل شيء شيء من الموجودات ليبسط النفوس له أو يقبضها عنه ، و لا يكون في ذلك معيبا إذا كان الغرض مبنيا على ذلك . فأما إذا لم يكن قصده بنية الكلام علي تخيل ما لا يعرفه

¹⁰⁸ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء :24.

* **سنو قف** بالدراسة عند مصطلحي الغرض و المقصد و غيرهما في مقام أكثر مناسبة

¹⁰⁹ حازم القرطاجني، المصدر نفسه :24.

¹¹⁰ المصدر نفسه :24.

الجمهور و لا تتأكد علقته بالأغراض ، ولكن يورد ذلك على سبيل التبعية علي جهة من المحاكاة أو غير ذلك ،فان ذلك غير أصيل في الشعر ،ويكون الكلام معيبا في ذلك <<111

و هنا >> يبدو القصد أمرا محوريا معتمدا في القول الشعري، و هو هدف تواصلية واع يستحضره المتلقي أثناء الإبداع >>¹¹². و هو ما يؤكد أن الخطاب الشعري الأصيل عند " حازم " >> هو الذي يربط حلقات تواصله كثيرة بين المبدع و المتلقي >>¹¹³ و بالمقابل نجد أن الخطاب الذي لا تتضمن مقاصده معاني >>أولَ و ثواني هي ما تعلق التصور فيها بحقيقة شيء لا تعم معرفته بجميع الجمهور>>¹¹⁴ و هو ما يصطلح عليه بالمعاني الداخلية مما لم يفطر المتلقون على التأثر به >> فالدخيل لا يأتلف منه كلام عال في البلاغة أصلا إذ من شروط البلاغة و الفصاحة حسن الموقف من نفوس الجمهور و ذلك غير موجود في هذا الصنف من المعاني و أيضا فانه لا يقع في أغراض الشعر المألوفة إلا **ثانيا** و تابعا] >>¹¹⁵.

و الطبع شرط متأصل في عملية التصور؛ فإذا ما تعمد الشاعر إظهار براعته في الصناعة من خلال وضع المعاني بـ >> أن يظهر انه مقتدر على المناسبة بين المتباعدين وأن يغطي بحسن تأليفه ووضعه علي ما بينهما من التباين بعض التغطية، فإنه يكد خاطره فيما لا تظهر فيه صناعته ظهورها في غيره >>¹¹⁶ و الطابع الذي نقصده هنا هو الطبع الذي تضافر مع العوامل المكتسبة ،هو >> الطبع المهذب الذي صقله الأدب و التجارب ولذلك يحتاج إلي ثقافة و معرفة واطلاع ليتهذب و يسمو>>¹¹⁷.

¹¹¹ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء سراج الأدباء :23.

¹¹² فاطمة عبر الله الوهبيي نظرية المعاني عند حازم القرطاجني :194.

¹¹³ المرجع نفسه : 194 .

¹¹⁴ حازم القرطاجني ، المصدر السابق :24.

¹¹⁵ حازم القرطاجني ، المصدر نفسه :25.

¹¹⁶ حازم القرطاجني ، المصدر نفسه : 31.

¹¹⁷ أحمد مطلوب .معجم مصطلحات النقد العربي القديم.عربي عربي .مكتبة لبنان ناشرون ط 1، 2001 : 283 .

و إذا انعدمت هذه العوامل فإن التكلف سيتغلغل شيئاً فشيئاً إلى الأسلوب ف >> لا يتوصل بعد ذلك إلى الغرض المقصود بالشعر من تحريك النفوس، فأولى بمن هذه صفة أن يجعل موضوع صنعة ما يتضح فيه حسن صنعة و يكون له تأثير في النفوس وتحريك لها وحسن موقع منها من أن يجعل موضوع صنعة ما لا يدل ، مع كونه لا يحرك الجمهور و لا يتضح فيه إبداع الصناعة << 118

و إذ يتصور الشاعر مقصده في خياله يستحضر ذهنه ما يناسب المقصد من قواف و التي تتماشى و بنية فصول القصيدة فيما بعد ، قياساً على الأعراب ذلك لما لهذه الأخيرة من >> اعتبار من جهة ما يليق به من أنماط النظم << 119 . فإذا انتقى مثلاً >> المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجو و الاكتئاب، فقد تليق بها الأعراب التي فيها حنان ورقة / وقلما يخلو الكلام [الرقيق] من ضعف مع ذلك << 120 .

ولايتناقص المقصد مع بناء القصيدة العروضي ؛ >> لأن المقصود بحسب هذا الغرض أن تحاكي الحال الشاجية بما يناسبها من لفظ و نمط تأليف و وزن ، فكانت الأعراب التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض ، و ذلك نحو المديد و الرمل << 121 ؛ فالتناسب هو الذي يجمع و يؤلف بين المصطلحات و هو المقياس بينها.

118 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء سراج الأدباء: 31

119 المصدر نفسه: 205.

120 المصدر نفسه: 205.

121 المصدر نفسه: 205.

ج - القوة على تصور صورة للقصيدة:

و مصطلح التصور عند حازم يأخذ معناه من خلال قوتين يمتلكهما المبدع تعملان جنباً إلى جنب في الصناعة اللفظية؛ فتصور المقاصد المتضمنة في الخطاب الشعري مع المناسبة بين المعاني و القوافي يعتمد على قوة أخرى بـ >> تصور صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن وكيف يكون إنشاؤها أفضل من جهة وضع بعض المعاني والأبيات و الفصول من بعض بالنظر إلي صدر القصيدة ومنعطفها من نسيب إلى مدح، و بالنظر إلي ما يجعل خاتمتها أن كانت محتاجة إلى شيء معين من ذلك >>¹²² . وبناء على هذا يتعين >> على كل شاعر و أديب له مخطط بياني ، يتولى تعيين وجهة التناسق المجازي و تساوقه في نصه (...)[ف] ما من ازدهار شعري بدون تساوق معين، من منظومات الصور و التقنيات الجمالية >>¹²³ .

إن المبدع يتصور حالة جمالية وسطى بين المعطى الطبيعي الذي تقدمه الطبيعة و تؤطره المعاني المألوفة كبنية جوهرية ثابتة ، و الصور الافتراضية التي تبدعها القوة المخيلة بوساطة فعل تجاوزي لكل ما هو مألوف في سبيل تحقيق الصورة الافتراضية و >> القصيدة تعد بهذا تجلياً متغيراً لهذه البنية الثابتة و حركة الشعر تفاعل خلاق و إبداع مستمر فوق سطح هذه البنية ، و التعامل مع المتجدد المتغير لا بد أن يبدأ من الثابت الذي يعد معياراً >>¹²⁴ .

و الواقع أن الصورة النموذجية التي يبدعها خيال القائل هي المحفز الخفي و المحرك للكتابة الإبداعية؛ ذلك أن كون الصورة افتراضية، بالإضافة إلى كونها مستحيلة التحقيق لأن اللغة تأسرها، يجعل مشروع الكتابة مستمراً في سبيل تحقيق القصيدة الحلم، و لأن الحلم لا سبيل لتجسيده تبقى الكتابة مجرد احتمال و معها تغدو القراءة كذلك احتمالاً آخر..

¹²² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 200.

¹²³ د/ محمد حماسة عبد اللطيف الإبداع الموازي. التحليل النصي للشعر، دار غريب للطباعة و النشر القاهرة 2001

.11:

¹²⁴ د/ محمد حماسة عبد اللطيف. المرجع السابق: 11.

و إذا ولجنا إلى صميم عملية الإبداع، و جدنا المبدع سواء أكان ناظما أو ناثرا يحاول دائما تحقيق هذا النموذج و بتحريض منه أيضا يمارس عمليات الإثبات، و الحذف و التغيير و الشطب استجابة لتأثير تلك الصورة، و رغم أن إنجاز العمل الفني يحقق نوعا من الانتشاء الروحي إلا انه لا يدوم لأن المبدع يحس أن النموذج الأعلى أكبر من أن يصاغ في هذه القصيدة أو القصة، أو اللوحة لأن الحلم يبقى أسير مادته الأولية..

فالإبداع محاولات حثيثة لتحقيق وضعية مستحيلة إذ لا يمكن أن تتطابق صورتان. فكيف لنا أن نجمع بين الحقيقة و الخيال...؟! و نوازي بين الممكن و المستحيل؟ و تبعا لذلك تستمر محاولات التأسيس و ذلك **ديدن** الإبداع .

و إذا سلمنا بأن القصيدة تولد باجتماع عوامل داخلية و أخرى خارجية فإن ذلك ينتج إحساسا عارما بالتغيير >> و هنا يتقدم الانفعال بقوته الدافعة فيدفع هذا التخطيط نحو التحقيق الواقعي فيحاول أن يملأه بالصور أو الأصوات أو بالأحداث >>¹²⁵ .

فما نلمسه في الخطاب من تشابك نصي و تشعب كبير للأفكار و انفتاح للدلالة هو صورة مصغرة لما هو حاصل في ذهن المبدع ف >> ما يميز الصور التي **يفتقها** الخيال المبدع، ما تنطوي عليه من لا نهائية و انقسام >>¹²⁶ .

تفتق حاصل من الاعتماد على جوهر الطبعة الجميل بالإضافة إلى تأسيس الفكرة المبتكرة للأنساق و الصور، و هي الفكرة التي دعا إليها كولردج¹²⁷ .

و إذا كان " القرطاجي " قد جعل تصور شكل القصيدة و الصورة التي تكون بها أفضل في إطار تصور كليات و مقاصد الشعر فذلك إيمانا منه بأن الصورة المحتملة للقصيدة تستند على مدى أصالة تلك المقاصد، و مصداقيتها من خلال تلقيها جماليا. و

¹²⁵ مصطفى سوييف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة : 210.

¹²⁶ عاطف جودة ، نصر الخيال مفهومه نظرياته ووظائفه : 261.

¹²⁷ ينظر محمد بدوي، كولردج ، نوابغ الفكر العربي 15، دار المعارف بمصر، القاهرة: 183.

بهذا تغدو المدارك الأصلية مادة أولية قابلة للصياغة و الهيكلة الفنية تبعا لخيال المبدع و رؤياه الشعرية.

و بالتركيز على فعل التجاوز الفني المتوقع في الحدث الإبداعي فإن المطلوب من صاحب المشروع أن يخلق واقعا فنيا من شأنه أن يتحول مع عملية القراءة إلى مكون جمالي ، مع التسليم بأن هذا الوضع هو حالة وسطى بين الطبيعة الجميلة و بين الاحتمالات اللانهائية للإنشاء، الموجودة في ذهن المبدع رغم أن هذا الأمر يطرح أمامنا عدة تساؤلات قد تكون الإجابة عنها نسبية أو بلا إجابات:

هل على الشاعر أن يكتشف جماليات الطبيعة و يبثها في خطابه و هو >> بذلك ينافس منافسة لا جدوى منها <<¹²⁸؟ أم عليه أن يسقط ما في نفسه من قيم جمالية على المكون المألوف؟¹²⁹ و التسليم بأحد الطرفين يجعلنا نسأل أيضا:

فإذا كانت الطبيعة جميلة و الصورة التي يقدمها النص كشف للأسرار البديعة فأين يتجسد فعل الإبداع التي يعتمد على الخرق و **التجاوز؟**

و إذا اعتبرنا بأن على المبدع بصفة عامة ابتداء صورة جميلة تظهر محاسن المكون العادي فهل يغدو تبعا لذلك امتلاك أفق جمالي ضرورة بالإضافة إلى الأفق المعرفي، لأن الأفق المعرفي في هذه الوضعية غير كاف؟.

و فكرة التصور في حد ذاتها مرتبطة بالمعنى الجميل باعتبار أن >> الخواطر إذا تصورت فصول القصائد و معانيها قبل الشروع في النظم، و **قامت** بها العبارات عن تلك المعاني قياما و هميا متخيلا، فقد يوجد في عبارة عبارة منها كلم يصلح أن تقع قوافي تكون كل عبارة منها فيها كلمة في كل ما عداها من العبارات كلمة تماثلها في المقطع و يوجد فيها أيضا كلم مغايرة مقاطعها المتماثلة لمقاطع الأولى <<¹³⁰.

و يبقى أن نقول أن نسبة تحقيق التصور في الخطاب حالة بديهية لأن حجم النص الفكري و اللغوي نسبي مقارنة بما هو مائل في خيال المبدع من تصورات.

¹²⁸ المرجع نفسه : 184 .

¹²⁹ المرجع نفسه : 181 – 187 .

¹³⁰ حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء :200.

د - قوة التخيل

أما القوة الفاعلة في الحدث الإبداعي بشكل خاص و المتغلغلة في كل تفاصيله فهي التي يستطيع المبدع من خلالها >> تخيل المعاني بالشعور بها و اجتلابها من جميع جهاتها <<¹³¹ و مصطلح التخيل كقوة يندرج ضمن القوة الحافظة التي ذكرها ابن سينا و عاد " القرطاجني " و فصل القول فيها

و سميت بالحافظة لأن وجود >> خيالات الفكر [فيها] منتظمة ممتازا بعضها على بعض، محفوظا كلها في **نصابه** فإذا أراد أن يقول غرضا ما (...) وجد خياله اللائق به قد أهبطه القوة الحافظة <<¹³² و هنا تكون ذاكرة الشاعر هي المعين الذي تنبثق من خلاله الصور، و " حازم " في هذه الفكرة متأثر بمن سبقه >> فهو يجمع في تعريفه للخيال خلاصة ما توصل إليه **شراح** أرسطو <<¹³³ ، فاسحا لهذه القوة مجالا أرحب لأنها مع بقية القوى النازمة مكونة لطبع المبدع و لذلك فهي تسير العملية الإبداعية و تتنامى مع فعل إنشاء القصيدة، و قد رأى الناقد بأن >> **للمخيلين** في التخيلات التي يحتاجون إليها أحوالا ثمانية (...) لكل واحد منها في زمان مزاولة النظم مرتبة لا تتعدها <<¹³⁴ و هي مقسمة إلى كلية و جزئية.

ف >> الحال الأولى: يتخيل فيها الشاعر مقاصد غرضه الكلية التي **يريد إيرادها** في نظمه أو إيراد أكثرها <<¹³⁵ فالخيال هو الذي يستحضر المقاصد و أغراضها كمرحلة أولى و عندما تتفاعل هذه الأطراف تساهم القوة على التخيل في التأليف بينها لتتشكل >> الوحدة بينها بطريقة أشبه **بالصهر** <<¹³⁶ و نتيجة لتشابك العناصر فيما

¹³¹ حازم القرطاجني ، منهاج البلاغ و سراج الأدباء : 200.

¹³² حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 42.

¹³³ صفوت عبد الله الخطيب، الخيال مصطلحا نقديا بين حازم القرطاجني و الفلاسفة ، مجلة فصول العدد الثالث، أبريل

1987 : 63.

¹³⁴ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 109.

¹³⁵ حازم القرطاجني ، المصدر نفسه : 109 .

¹³⁶ محمد بدوي كولردج : 158.

بينها >> يتخيل لتلك المقاصد طريقة و أسلوبا أو أساليب متجانسة أو متخالفة **ينحو** بالمعاني نحوها و يستمر بها على **مهايعها** << 137 .

و النص الافتراضي الذي تحدثنا عنه في القوى السابقة هو الذي يحدد الانتقاء ؛ فالصورة المثالية نتاج خيالي بحث تم خلالها تجاوز العادي جماليا و في هذه النقطة يتجلى الخيال الخلاق الذي >> يتخيل ترتيب المعاني في تلك الأساليب << 138 و بناء على ما انتقي منها يتم تخيل المفاصل في الخطاب ك >> التخلص و الاستطراد << 139 .

و إذ ترتب المعاني حسب مناسبتها للأساليب التي احتوتها يتغلغل الخيال في صميم عملية النظم فيفعل >> تشكل تلك المعاني و قيامها في خاطر في عبارات تليق بها ليعلم ما يوجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن و تتماثل مقاطعها ما يصلح أن يبنى الروي عليه << 140 .

و في هذه المرحلة يتخذ الحركة **المتنامية مسارا** مهما فلا بد >> أن يلاحظ ما يحق أن يجعل مبدأ و منفتحا للكلام و ربما الحظ في هذه الحال موضع التخلص و **الاستطراد** << 141 و هي اللحظات التي يشعر فيها المبدع بلذة الكتابة حيث تذوب شخصية المبدع في النص و **تتماهى** في خلاياه كل القوى الناظمة.

أما **التخايل** الجزئية فهي حالات مصاحبة للتي سبقتها فأولها >> تخيل المعاني معنى معنى بحسب غرض الشعر << 142 فيغوص الشاعر في المعاني الدقيقة لتشكيلها تبعا للغرض الذي استدعاها و سميت هذه التخيلات بالجزئية لأنها تختص بجزئيات الخطاب، فتخيل كل معنى على حدا يجعلنا نكتشف سر الصنعة التي يتحول فيها المعنى العادي إلى مكون مخيل مثير ف >> الشعر خرق مستمر للقواعد و المقاييس << 143 .

137 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 109 .

138 المصدر نفسه : 109 .

139 المصدر نفسه : 109 .

140 المصدر نفسه : 109 .

141 المصدر نفسه: 109-110 .

142 المصدر نفسه: 110 .

143 انظر أدونيس، زمن الشعر: 312 .

ثم تبدأ سلسلة التحسينات بـ << أن يتخيل ما يكون زينة للمعنى و تكميلا له، و ذلك يكون بتخيل أمور ترجع إلى المعنى من جهة حسن الوضع و الإقترانات و النسب الواقعة بين بعض أجزاء المعنى و بعض ، و بأشياء خارجة عنه مما يقترن به و يكون عوناً له على تحصيل المعنى المقصود به>>¹⁴⁴ و للشاعر مطلق الحرية في التعامل مع بنية النص و تحسينها، فإن اعتمد على ما يعود على المعنى **صيره** قابلاً للتأويل إذا تفاعل مع الصورة الشعرية. أما إذا ركز على ما تجاوز المعنى اعتمد على التضمين الجيد و الإحالة الصائبة و الترميز الذكي.

و لأن الوزن هو نبض القول الشعري فإن المبدع << يتخيل، لما يريد أن يضمه في كل مقدار من الوزن الذي قصد، عبارة توافق نقل الحركات و السكنات فيها ما يجب في ذلك الوزن في العدد و الترتيب بعد أن يخيل في تلك العبارات ما يكون محسناً لموقعها في النفوس>>¹⁴⁵ فالوزن عند " حازم " ليس عنصراً تكميلاً للمعنى العام و بناء القصيدة بل هو من المقاصد الشعرية التي يتخيلها الشاعر من خلال القوة الثابتة الناعمة، و من جهة أخرى فإن قوة التخيل عند " حازم " تتأكد بكونها << مرتبطة كل الارتباط بالقدرة على إدراك التناسب بين الأشياء ، و بالتالي اكتشاف علاقات جديدة تجمع المتفاوت و المتباين في وحدة جديدة متجانسة>>¹⁴⁶ و الوزن هو أحد هذه العناصر التي يجب أن يشملها التناسب لكي لا تتنافر أجزاء القصيدة.

و لأن عملية الإنشاء توازيها حركة مماثلة للحذف و التغيير و هي تعمل بإيحاء من قوة التخيل التي ما إن تكتشف معنى جديداً أو توظيفا يزيد في جمال الشعر يتم إلغاء ما يشين التوظيف خاصة إذا تعلق الأمر بعنصر **القافية** إذ يتعين على الشاعر << أن يتخيل في الموضع الذي تقصر فيه عبارة المعنى عن الاستيلاء على جملة المقدار المقفى،

¹⁴⁴ حازم القرطاجني ، منهاج البلاغ و سراج الأدباء : 110.

¹⁴⁵ المصدر نفسه : 110.

¹⁴⁶ جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي : 60.

معنى يليق أن يكون ملحقاً بذلك المعنى، و تكون عبارة المعنى الملحق طبقاً لسد الثلمة التي لم يكن لعبارة الملحق بها وفاء بها <<147 .

فإذا ما بلغ الشاعر هذا المبلغ من المرونة في التفاعل مع النص كان خياله فعالاً في بناء و تحسين الخطاب، و كلما كان التغيير حالة جديدة بين المعنى و الوزن أو القافية صعب ذلك << لا يليق (...) إلا في بعض الواضع >>148 .

إن تفصيل فعل التخيل على هذه الأنحاء الثمانية دليل على أن هذه القوة متضامة مع قوى النظم الأخرى في صنع القصيدة حتى في أصغر جزئياتها، و هي الرسالة التي أراد أن يوصلها الناقد إلينا كمتلقين << و اهتمام حازم النقدي بالخيال إنما يأتي من وعيه بقيمة هذا الخيال بما هو أساس في بناء القصيدة، و هو وعي يقره عليه النقد الأدبي الحديث و يشاركه أيضاً في الاهتمام بدراسة الخيال (...) بوصفه جزءاً مهماً من بناء العمل الشعري >>149 و سنتلمس هذا الجهد بدقة عند حديثنا عن **التخاييل** و علاقتها بالبنية اللغوية من جهة و البناء العام للنص من جهة ثانية.

و طرق " حازم " القوة على التخيل بهذا النسق يضع أمامنا العديد من التساؤلات من أبرزها ربطه بين تخيل صور المعاني و بين الشعور بها فهل يهتز المبدع أولاً لتلقيه المعطى الطبيعي إما سلباً أو إيجاباً لكي يبدع و بالتالي يغير الموجود ليحدث **الهزة** الجمالية في المتلقي؟ ما دامت غاية الشعر هي الخرق الدائم للأعراف.

و لأن الشعور بالشيء يولد التأثير به مما يذكي ملكة التخيل بدرجة أولى؛ فعلى المبدع أن ينقل الإحساس الذي وصله من الطبيعة عن طريق نصه في سياقات دلالية، و تخريجات فنية، فالتفرد يقضي أن << تعرض لنا الموضوعات المألوفة بحيث تبعث في

147 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 110.

148 المصدر نفسه: 111.

149 صفوت عبد الله الخطيب، المرجع السابق : 65.

نفوسنا إحساسا مماثلا لما شعر به الرجل العبقرى ذاته نحوها <<¹⁵⁰ فنستطيع كمتلقين
أن نحول النص الفنل إلى قراءة جمالية.

¹⁵⁰ محمد بدوى كولرىء، المرجع السابق: 154.

هـ - قوة الملاحظة:

و لا يتلاشى مفعول القوة الحافظة بل يتضافر و القوة النازمة في تنشيط
>> القوة على ملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني و إيقاع تلك النسب
بينها << 151 ، و هو مفعول يتمثل في استحضر المعاني و اجتلاب الدلالات لتولى
القوة النازمة التأليف بينها بحيث يكون التناسب غاية في ذلك .
و على المبدع أن يوقع النسبة بين معانيه بالارتكاز على طبعه بحيث تكون العبارات
منسجمة فيما بينها، >> ثم يلحظ ما وقع في جميع تلك العبارات أو أكثرها طرفا أو
مهيئا لأن يصير طرفا من الكلم المتماثلة المقاطع الصالحة لأن تقع في بناء قافية واحدة،
ثم يضع الوزن و الروى بحسبها لتكون قوافيه متمكنة نابعة للمعاني و لا متبوعة لها
<< 152 و المشاكلة مطلوبة في جميع مستويات الخطاب فعلى مستوى الألفاظ و المعاني؛
>> و متى شاكل (...) اللفظ معناه و أعرب عن فحواه، و كان لتلك الحالة وفقا و لذلك
القدر لفظا، و خرج من سماجة الاستكراه و سلم من فساد التكلف كان **قمينا** بحسن
الموقع و **انتفاع** المستمع << 153 .

فالشاعر المقدر لا يعتمد الربط بين الألفاظ و المعاني، بل يهديه طبعه لذلك، و
على هذا التناسب أن يتغلغل إلى العلاقات المشكلة للنص فتتشابك المستويات فيما بينها،
و إذ يتنامى النسيج اللغوي يعتمد المبدع على قوته في الملاحظة فيكون الرقيب الأول
لشبكة النصية فيثبت ما يلائمها و ينفي ما لا يوافق نظامها، و هنا لا بد أن نشير بأن قوة
الشاعر على الملاحظة دائمة النشاط حتى قبل انجاز القصيدة المشروع فهو يلاحظ ما
يناسب دوقه من أفكار و معان لتوظيفها التوظيف الفني المناسب كذلك.
و إذا كان " حازم " قد دعا إلى ملاحظة وجوه التناسب بين المعاني، فإنه يقصد
أجودها و لنجاح هذه العملية يخاطب الشاعر قائلا: >> فإذا أردت أن تقارن بين المعاني

151 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 200.

152 المصدر نفسه : 204.

153 الجاحظ، البيان و التبیین، ج: 2، 7.

و تجعل بعضها **إزاء** بعض و تناظر بينها فانظر مأخذا يمكنك معه أن تكون المعنى الواحد و توقعه في حيزين، فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيز و موقعه في الحيز الآخر، فيكون هذا من اقتران التماثل أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بما يناسبه، فيكون هذا اقتران المناسبية <<154 .

هي طريقة ذكية لانتقاء المعاني التي يحسن موقعها لدى المتلقي، فالمقارنة تضع في متناول المبدع احتمالات كثيرة، و سواء أكانت المقارنة لإحداث التماثل أو المناسبة فذلك يجعل الخطاب ثرياً و حسن السبك و المقارنة في حد ذاتها تظهر الاختيار الجيد من الرديء فيغدو التوظيف بالاستناد على قوة الملاحظة صائباً.

فلا يمنع الشاعر مع امتلاك لخبرات كثيرة و تمرسه في الكتابة >> أن تكون له قوة ملاحظة لما يناسب الأشياء، و القضايا الواقعة من أشياء أخرى تشبهها و قضايا متقدمة تشبه التي في الحال <<155 .

و تركيز الناقد على مبدأ التناسب مقترن بالمتلقي و تأثره لمقتضى الحال باعتبار أن >> الوضع المؤثر وضع الشيء الموضع اللائق به، و ذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ و المعاني و الأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقاً و مقترناً بما يجانسه و يناسبه و يلائمه من ذلك <<156 و نلاحظ هنا كيف يجمع " القرطاجني " بين مصطلحات كثيرة هي التعالق و الاقتران و التجانس و الملائمة للتعبير عما يجب أن تكون عليه أجزاء الخطاب و لذلك رأى بأن **يجنح** المبدع للاعتدال في طرق المعاني و الأغراض لإحداث التجانس بينها، فأكثر ما يحقق جمالية النص و يجذب المتلقي بشدة المناسبة بين المعاني و >> أن توضع مواضعها اللائقة بها المهيأة و ألا توضع موضعها غيرها من المعاني أولى به و إن كان للمعنى الموضوع

154 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 14-15.

155 المصدر نفسه : 42.

156 المصدر نفسه : 153

أيضا موقع من ذلك الموضع لأنه مقصر عن موقع غيره من المعاني فيه <<¹⁵⁷ و على المبدع أن يكون يقظا جدا في ملاحظة هذه الوجوه، و هي يقظة نابعة من صميم العملية الإبداعية و هي تتم عن مدى استيعاب ما **يجري** من تفاعل للدلالات و المعاني؛ فلكل معنى موقعه في الخطاب و بقدر وقوع النسبة بين المعني و موضعه كان التشكيل **العلائقي** للقول الشعري أكثر جمالية، و كانت استجابة المتلقي و تفاعله مع ذلك بجدية ووعي.

و لا يمكن لأي مبدع أصيل الطبع أن يستغني عن هذه القوة ف << معرفة صناعتهم **مرفوقة** على معرفة جهات التناسب في تأليف بعض المسموعات إلى بعض و وضع بعضها تالية لبعض أو موازية لها في الرتبة >>¹⁵⁸ .

أما عن الطريقة التي تتأصل بها هذه القوة في الشاعر ف << لا يوصل إليها شيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك و هو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب و الوضع، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضعت فيه طرق الاعتبار و توجد طرقهم في جميع ذلك تتراعى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم و اجتناب ما ينافر >>¹⁵⁹ .

و هنا تعمل كل من الموهبة و الطبع عملهما في تصويب اختيارات المبدع فتكون ذات حضور حسن في السياق، و قد يحدث أن يوظف في الخطاب بعض الاحتمالات النصية فتكون غاية في الرونق لدرجة يكون المبدع معها عاجزا عن تفسير سر جماليتها أهو عائد للتناسب أم للتجانس؟ ف << قد تعدم هذه الصفات أو أكثرها من الكلم و تكون مع ذلك متلائمة التأليف و لا يدري أين وقع فيها التلاؤم و لا كيف وقع، ليس ذلك إلا لنسبة و تشاكل يعرض في التأليف و لا يعبر عن حقيقته و لا يعلم ما **كنهه**، إنما ذلك مثل

¹⁵⁷ المصدر السابق: 158.

¹⁵⁸ المصدر نفسه : 226.

¹⁵⁹ المصدر نفسه : 226 – 227.

ما يقع بين بعض **الألحان** و بعض الأصباغ و بعض من النسبة و التشاكل و لا يدري من أين وقع ذلك <<160 .

و لذلك تبقى النصوص الجيدة مفتوحة لكل صنوف القراءات و التأويل فعلى المبدع إذن أن يكون واعيا و عيا جماليا و معرفيا بالدرجة الأولى فذلك ينمي بداخله الإحساس بالفن ، كما يربّي ذلك بداخله ذوقا **فنيا** يدرك من خلاله جاذبية القيم الجمالية كما استشعر العناصر النصية المتناغمة، و يلاحظ بحسه القضايا المتشاكلة ليقدم **فنا راقيا** **لمتلقي** ليس من اليسر إقناعه أو نقل ذلك الإحساس العظيم إليه، ليتجاوب بدوره في إعادة تشكيل اللغة لاكتشاف السر أو جملة الأسرار الخبيئة في الخطاب .

و >> كلما وردت أنواع الشيء و ضروره مرتبة على نظام **متشاكل** و تأليف متناسب كان ذلك ادعى لتعجيب النفس و ايلاعها بالاستماع من الشيء، و وقع منها الموقع الذي ترتاح له <<161 ، فعلى المتلقي أن يشعر بالولع الذي يعانيه المبدع تجاه الشعر و تلك الغاية المنشودة من الكتابة ، ف >> التأليف من المتناسبات له حلاوة في المسموع، و أما ائتلاف من غير المتناسبات و المتماثلات غير **مستحلى** و لا **مستظرف** <<162، و لذلك فإن قوة الملاحظة تحرّض المبدع و تمنحه ثقة أكبر باختياراته.

160 حازم القرطاجني ، المصدر السابق :223.

161 المصدر نفسه : 245.

162 المصدر نفسه : 245 .

و - قوة التهدي :

اهتم " القرطاجني " بالقوة الناظمة اهتماما كبيرا باعتبارها البؤرة المركزية في حدوث العملية الإبداعية ؛ و إذ يمارس الشاعر تفرده تتنامى بداخله الـ >> قوة على التهدي إلى العبارات الحسنة الوضع و الدلالة على تلك المعاني <<¹⁶³ و لأن ذلك يتم بأسلوب لم يفكر المبدع في اختياره فإن الحاسة الجمالية هي التي تهديه لتشكيل هذه العبارات وفق الصورة المناسبة و هو ما رمى إليه الناقد حين رأى بأن >> التهدي إلى العبارات الحسنة يكون بأن تكون للشاعر قوة يستولي فكره بها على جميع الجهات التي يستكمل حسن الكلام بالترامي به إلى كل جهة منها و التباعد عن الجهات التي تضادها <<¹⁶⁴ .

و إذا ولجنا إلى صميم عملية الاهتداء و جدنا أن المقاييس التي تتم وفقها العملية >> هي اختيار المواد اللفظية أولا من جهة ما تحسن في ملافظ حروفها و انتظامها و صيغها و مقاديرها و اجتناب ما يقبح في ذلك <<¹⁶⁵ .

و هنا يتم الاهتمام باللفظة من جوانبها الشكلية كالصوت و الحرص الموسيقي فقد عاب النقاد القدامى الجمع بين حروف متقاربة في المخرج الصوتي لأن ذلك مما يستثقله المستمعون و **تمجّه** الأذان .

أما المقياس الثاني الذي تتم في إطاره عملية الاهتداء للمواد اللفظية فهو >> اختيارها أيضا من جهة ما يحسن منها النظر إلى الاستعمال و تجنب ما يقبح بالنظر إلى ذلك و اختيارها بحسب ما يحسن منها اعتبار طريق من الطرق العرفية و تجنب ما يقبح باعتبار ذلك <<¹⁶⁶ .

¹⁶³ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 200.

¹⁶⁴ المصدر نفسه: 222.

¹⁶⁵ المصدر نفسه : 222.

¹⁶⁶ المصدر نفسه: 222.

فالمبدع لا يمكنه الكتابة خارج السياق الثقافي السائد، و هو ما يوازي المعاني الجمهورية عند " القرطاجني " إذ >> تزداد قيمة العمل الفني بحاجته في مخاطبة الاهتمام الإنساني <<¹⁶⁷ الذي تصوره الأغراض التي تعارف جمهور القراء على معرفتها و التأثير لمقتضاها .

و إذا كان الخطاب لحظة **اختمار** الألفاظ و توالد الأفكار يتحول إلى مجال حيوي من الصور الشعرية المختلفة و الأنساق الدلالية فأن على >> الشاعر أن يكون منتبها لصور التقسيمات و التفصيلات و التقطيعات التي تندرج من هذه الجملة، و بحسن صوغ الكلام عليها و تفصيله إليه و **متهيا** إلى المآخذ المستحبة في جميع ذلك <<¹⁶⁸ .

إن المبدع يتواصل مع متلقيه في رسالة لفظية واضحة الانسجام بين عناصرها بحيث >> تكون كل كلمة قوية الطلب لما يليها من الكلم أليق بها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها <<¹⁶⁹ فيحرك هذا التشاكل نوعا من الاستغراب لدى المتلقي، >> و التعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلل التهدي إلى مثلها، فورودها **مستندر** مستطرف لذلك : كالتهدي إلى ما يقلل التهدي إليه من **سبب** للشيء تحفى **سببته**، أو غاية له، أو شاهد عليه، أو شبيه له أو معاند، و كالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة و قد انتسبت بها احدهما إلى الأخرى، و غير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تشعر بها <<¹⁷⁰ .

إن هذه الاختيارات المفتوحة تمنح الشاعر حرية كبيرة في إطار إحداث التناسب، لتظهر براعته الشعرية من خلال ما يأتي به من وجوه بديعة و صيغ بلاغية ذكية تجعل القارئ يفكر فيها مليًا و يحاول فك رموزها، و لا تكون الاهتداءات موفقة إلا بقدر ارتكازها على الطبع و السجية تفاديا لخلل النظم و فوضى التعبير.

¹⁶⁷ جورج سانتنيانا، الإحساس بالجمال : 88.

¹⁶⁸ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 33.

¹⁶⁹ المصدر نفسه: 222.

¹⁷⁰ المصدر نفسه: 90.

و الشعراء يختلفون في طرائق اهداء اهتم حسب قابليتها للتغيير أو ورودها كاملة بحيث تستغني عن كل ضروب التعبيرات بتدخل من القوة **المائزة** ما يناسب السياق اللفظي و بقدر عمق و **رصانة** >> قوة التهذي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طراوة فالاستعذاب فيها بحسن المواد و الصيغ و الائتلاف و الاستعمال المتوسط، و الطلاوة تكون بائتلاف الكلم من حروف صقيلة و تشاكل يقع في التأليف ربما خفي سببه و قصرت العبارة عنه <<¹⁷¹ و هي كلها عوامل تكفل للتعبير رونقه و للغة جاذبيتها و سحرها .

ز - قوة التحيل:

لما كانت القوة الصانعة >> تتولى جميع ما تلتأم به كليات هذه الصناعة، **يتصيرها** كل مألوف مستغربا، و العادي إلى عجيب، أمست هذه الغاية هاجسا ملازما للمبدع بدفعه للبحث عن تخريجات مبتكرة لأفكاره و بثها في صور و أنماط مختلفة التشكيل و لذلك أمسى في مسيس الحاجة إلى قوة مبدعة في >> التخييل في تسيير العبارات متزنة و بناء مبادئها على نهاياتها و نهاياتها على مبادئها <<¹⁷² .

و مخافة الوقوع في شرك الرقابة التي تنساق إليها البنية المستهلكة يكون تجاوز كل الأنظمة أمرا حتميا لتحقيق البعد الجمالي، يفرضه واقع الممارسة الإبداعية التي تنص على الابتكار و التجديد في الأنساق، و سيكون حديثنا عن التمويه هنا باعتباره قوة مؤسسة، بينما سنخصص له مجالا أوسع لدراسته كتقنية فنية في مقام انسب .

* سنطرق هذا الموضوع من خلال الحديث عن طبقات الشعراء.

¹ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 225.

¹⁷² حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 200.

يقوم الشعر في جوهره على فعل الاحتيال و هنا تلعب كفاءة المبدع و موهبته دورا مهما بحيث يصبح القول الشعري كلمة واحدة . و التحيل مرادف للتغيير؛ فبعد أن >> يقسم المعاني و العبارات على الفصول و يبدأ منها بما يليق بمقصده أن يبدأ به ، ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به و يستمر هكذا على الفصول فصلا فصلا << 173 ، و الفصل كمصطلح متعلق بالقصيدة مذكور عند " ابن طباطبا " العلوي عندما تحدث عن علاقة القصيدة بالرسالة¹⁷⁴ ، أما الدكتور " مصطفى سويف " فيسميها بالوثبات >> فالشاعر لا يبدع القصيدة بيتا بيتا، بل يبدعها قسما قسما، فهو يمضي في شكل وثبات، في كل وثبة تشرق عليه مجموعة من الأبيات دفعة واحدة، أو تناسب هذه المجموعة دون أن يوقف الشاعر قليلا أو كثيرا << 175 و نلاحظ ما يجمع بين الفصل و القسم و الوثبة من صفة الأبيات المجمعة و تتجلى قدرة المبدع على التحيل عندما يتعامل مع الألفاظ الأفكار في تشكيل هذه الفصول فهو >> يشرع في نظم العبارات التي احضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة إما بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها أو بأن يزيد في الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه أو بأن ينقص منه ملا يخل به << 176 و نجد المعنى عينه عند " ابن طباطبا " إذ يقول: >> فإذا كملت له المعاني، و كثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها و سلكا جامعا لما **يتشتت** منها (...) و يبدل كل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية << 177 .

فعملية التعديل **تحيل** من المبدع فهو >> يعدل من بعض **تصاريف** الكلمة إلى بعضها أو بأن يقدم بعض الكلام و يؤخر بعضا أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه << 178 .

¹⁷³ المصدر نفسه : 204 .

¹⁷⁴ انظر ابن طباطبا، عيار الشعر: 44 .

¹⁷⁵ مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة: 266.

¹⁷⁶ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 204.

¹⁷⁷ أنظر ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر: 43 .

¹⁷⁸ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 204.

إن التحيّل << عمدة في إنهاض النفوس >>¹⁷⁹ لأن المتلقي تبهره براعة الشاعر في التجاوز الفني من أجل ذلك ربط " القرطاجني " التحيّل و التمويه << بإبداع الصيغة >>¹⁸⁰ و ذاك هو جوهر عملية الإبداع ككل << فعندما ينحرف الكلام انحرافا معيناً عن التعبير المباشر - أي عن أقل طرق التعبير حساسية - و عندما يؤدي بنا هذا الانحراف إلى الانتباه بشكل ما، إلى دنيا من العلاقات متميزة عن الواقع العملي الخالص، فإننا نرى إمكانية توسيع هذه الرقعة الفذة، و نشعر بأننا وضعنا يدنا على معدن كريم نابض بالحياة قد يكون قادراً على التطور و النمو >>¹⁸¹ و تلك هي **الجدوة** التي تنشأ في النص خافطة فتذكيها التيارات النصية لتصبح كونا قائماً بذاته، و هكذا تنفرد الكتابة ؛ إذ تكتسب صفة الفعالية كاعتمادها على التجاوز قانوناً رئيسياً لأن الفنان لا يستطيع أن يبدع بالاعتماد على التسجيل و النسخ ؛ فهو يحايل بين الصورة و الأخرى مموها متلقيه في نسيج لغوي فني يجعله يتوقف، و يعقد القرائن و العلاقات.

و لا يقصد بالتحيّل أو التمويه التعمية القاصرة لأنهما ترتكزان على قدر كبير من التناسب، فإذا قدم عبارة على حساب أخرى مثلاً فذلك لمناسبة السياق لذلك و لتنبية المتلقي بحدوث شيء عظيم في الخطاب بحيث تؤدي فاتحته إلى خاتمته و العكس و قد عد " ابن قتيبة " الشاعر الذي يظهر الصدر في العجز و العكس أو ما يسمى برد الإعجاز على الصدور من كمال الطبع؛ ف << المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر و اقتدر على القوافي و أراك في صدر بيته عجزه و في فاتحته قافيته >>¹⁸² فهذه التخريجات الجمالية و غيرها تظهر طبع المبدع و قابليته على جعل تقنيات الكتابة تمتاز بمرونة عجيبة << و ربما تجاوز ذلك إلى أن يتخيل أوصافاً يوهم أم لها حقيقة في تلك الجهة من غير أن يكون كذلك في الحقيقة بل على أنحاء من المجاز و التمويه ليبالغ بذلك في تمثيلها للنفس >>¹⁸³ و تلك أمارات التميّز في الكتابة الإبداعية.

¹⁷⁹ المصدر نفسه: 346.

¹⁸⁰ المصدر نفسه : 346 .

¹⁸¹ محمد ويس ، انزياح المصطلح عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت المجلد: 25،

العدد: 3، يناير، مارس : 1997 : 61 .

¹⁸² ابن قتيبة، الشعر و الشعراء: 12.

¹⁸³ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 292.

ح - قوة الالتفات:

على الشاعر بالموازاة _ مع ما سبق _ أن يستثمر قوته >> على الالتفات من حيز إلى حيز و الخروج منه إليه و التوصل به إليه <<¹⁸⁴ هذه القوة التي تعمل جنباً إلى جنب مع القوة السابقة؛ فبناء القصيدة يمر بمراحل متداخلة و متشابكة تحتاج إلى قدرة ذكية في الانتقال بين هذه المراحل دون إحداث فجوات في الخطاب من جهة و كذلك دون إشعار المتلقي بتلك النقلات بين أجزاء القصيدة و هو ما سماه " حازم " ب >> الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر <<¹⁸⁵ .

و هنا نلاحظ كيف استفاد " حازم " من مدلول مصطلح الالتفات الذي يدل على الانتقال¹⁸⁶ و وظيفه لفائدة العمل الإبداعي حيث ينتقل الشاعر من مقطع لآخر و من فصل لآخر فالالتفات عنده هو ما كان مقصوداً عند الشاعر حيث >> يذكر الغرض الأول لأن يستدرج منه إلى الثاني، و تجعل مأخذ الكلام في الغرض الأول صالحة مهياً لأن يقع بعدها الغرض الثاني موقعا لطيفا و ينتقل من أحدهما إلى الآخر انتقالاً مستطرفاً <<¹⁸⁷ .

و بهذا يتشابك نظم القصيدة، و لا يتسرب التشنت في ثنايا العبارة الشعرية و على الشاعر >> التحرز من انقطاع الكلام و من التضمين و **الحشو** و الإخلال و اضطراب الكلام و قلة تمكن القافية و النقلة بغير تطف <<¹⁸⁸ و لا يتجسد هذا إلا ليجعل الأبيات مترابطة المعنى فتكون الفصول متناسبة فيما بينها فإذا انتقل الشاعر بينها كان ذلك بصفة منطقية ، و لقي الأمر قبولا عند المتلقي ك >> أن يكون لمعنى البيت

¹⁸⁴ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 200.

¹⁸⁵ المصدر نفسه: 314.

¹⁸⁶ أنظر احمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 102.

¹⁸⁷ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 314.

¹⁸⁸ المصدر نفسه : 321.

مع كون أوله مبدأ كلام و مصدرًا بكلمة لها معنى ابتدائي بأن يكون لمعنى البيت علقه بما قبله فنسبه إليه << 189 .

و الالتفات بين أجزاء القصيدة ضرورة >> لكون صدر القصيدة و سماعه يذهب بقسط من نشاط النفس ربما لم يكن يسيرا، فكانت الحاجة إلى استشارة النشاط عند أخذه في الضعف **أكد** من الحاجة إلى استشارته في حال توفره و جموحه << 190 ولذلك فإن القصيدة تتنامى بالتدرج، فإذا ما حدث >> الانتقال من بعض صدور الفصول إلى بعض على النحو الذي يوجد التتابع فيه مؤكدا لمعنى متبوع و منتسبا إليه من جهة ما يجتمعان في غرض و محركا للنفس إلى النحو الذي حركها الأول (...). كان ذلك أشد تأثيرا في النفوس و أعون على ما **يراد** من تحسين موقع الكلام منها << 191 و هذا الالتفات المندرج **يوأزيه** تدرج آخر حيث تتوالد الصور و يستدعي بعضها البعض بنسق تلقائي و بديهي .

189 المصدر السابق : 289.

190 المصدر نفسه: 321.

191 المصدر نفسه : 279 – 298.

ط - قوة التحسين :

أما القوة الأخرى التي لا يمكن للقصيد أن تكتمل بدونها فهي >> القوة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض و الأبيات بعضها ببعض و إصاق بعض الكلام ببعض على الوجوه التي تجد النفوس عنها نبوة <<¹⁹² .

و هي غير منفصلة عن سابقتها فبعد أن ينتقل الشاعر من بيت لآخر، و من فصل لآخر يكون هذا الانتقال لكي تكون المرحلة الجديدة نتيجة لما سبقها و التحسين في الإبداع مطلوب فمن >> مذاهب الحذاق المطبوعين: تحسين هيئات القصائد و تحسين مبانيها (...). فمن سلك ذلك السبيل و ذهب ذلك المذهب فقد سرى على سواء المنهج من هذه الصناعة <<¹⁹³ .

و قد يكون التحسين بتغيير كلمة بأخرى أكثر ملائمة للمقام، أو تقديم عبارة على حساب أخرى حسب ذوق المبدع و إحساسه بقيمة التغيير في السياق.

إن الشاعر يمارس التحسين كمرحلة مبدئية إذ يحسن المعنى المألوف و يرتقي به ببعض التعديلات ليصبح قولاً بديعاً و ذلك بالمحاكاة و التخيل و قد ركز " القرطاجني " على هذا الصنف من التحسينات التي اعتبرها عاملاً مهماً في تكوين الخطاب الشعري، و مع تسارع فعل التحسين يتشكّل الخطاب، و يتجاوز فعل التحسين من الربط بين الأبيات و الفصول إلى الوصل بين العبارات و بين الكلمات بعضها ببعض ، و إذا تبين أن نظم القصيدة قد اختلف في أحد مقاطعه فإن الشاعر يبحث عن العلة فيغير و التغيير من جنس و التحسين، و مراعاة التناسب بين أجزاء القصيدة أمر مطلوب خاصة في المفاصل النصية أو البور التي تصل بين الفصول و تربط بين الأبيات . و بانتهاء هذه التحسينات التي تعتبر مكملاً هاماً لكسب النص رونقه تكون القصيدة عملاً متناسقاً يخرق أفق توقع المتلقي و تلك هي النصوص المحكمة التي تنطبق عليها كل محاولات

¹⁹² حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 200.

¹⁹³ المصدر نفسه: 309.

القراء وتبقى مستعدة

(النصوص) لتقبل أكبر قدر منها دون نشوء أي خلل

فيها.

ك - القوة المائزة :

و هي القوة التي تشد الكلام و تحكم النظم إذ تضبط المقاصد، و توازي بين الصور الافتراضية و تفاضل بين الكثير مناسبة للسياق فهي >> القوة المائزة حسن الكلام من قبيلها بالنظر إلى نفس الكلام و بالنسبة إلى المواضع الموقع فيه الكلام <<¹⁹⁵ ، و هي قوة تلازم ذوق الشاعر دوما لأنها أصلية في طبعه .

فالمبدع في تعامله مع المعاني الأولية **ينتقي** بينها حسب قابلية هذا المعنى للشعر من ناحية و حسب انسجامه مع السياق من ناحية أخرى ، و يتدرج معه **فيختار** للمعنى شكلا يناسبه و وزنا أكثر ملائمة فيفاضل بين عدة احتمالات >> فقد يتفق للشاعر أن ينظم بيتين قافيتهما واحدة فيكون احدهما أحسن في نفسه و الآخر أحسن بالنسبة إلى المحل الذي يوقعه فيه من جهة لفظ أو معنى أو نظام أو أسلوب ففي مثل هذا الموضع يصير المرجوح راجحا و المفضول فاضلا، و كثير ممن ليست له هذه القوة يسقط أحسن مما يثبت بالنسبة إلى المحل <<¹⁹⁶ .

¹⁹⁵ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدياء : 201.

¹⁹⁶ المصدر نفسه: 201.

و هذه القوة تتضافر مع القوانين الحافظة و الصانعة من خلال القوى العشر >> فهي التي بها يميز الإنسان ما يلائم الموضع و النظم و الأسلوب و الغرض مما لا يلائم ذلك و ما يصح مما لا يصح << 197 .

و يستمر تشابك هذه القوة مع بقية القوى، لأن القصيدة بتعدد مستوياتها و اختلاف زواياها يجمعها إطار مؤتلف ، فإن القوى التي تنشئها لا يمكن أن تكون مفككة فهي تستند على قدرات و اهتداءات فكرية ملتحمة مع تباين تأثير هذه القوى، و القوة **المائزة** تهدي القوة الشاعرة بأن لا تخطيء إذا اختارت بين الخيالات، و انتقت بين الصور الشعرية بأن تلاحظ الاحتمالات و من ثم تميز جيدها في رديتها فتنتقى أنسبها للسياق و تلغى ما لا يلائم البناء العام للقصيدة.

إن الغاية من الغوص في القوى العشر و **استكناه** عملها هو أن نؤكد بأنها غير منفصلة عن بعضها البعض، كما بينا فإن كل واحدة منها محتواة في الأخرى و إيرادها مرتبة، و لا يعني مطلقاً بأنها >> القوى المتصلة المتعاقبة << 198 فكيف يمكن أن ننسب الترتيب لأجزاء الطبع الذي ينتمي للموهبة فالترتيب يقمعهما إذ يحددها في قوالب مادية جاهزة و هو ما أيقنه " القرطاجني " بعمق و لذلك فإن كل قوة تصب في الأخرى فلا نحسّ بترا بينها، فكيف للشاعر أن يتصور دون أن يستحضر بخياله قراءاته السابقة؟ و كيف له أن يقسم عمله دون التهدي إلى القول الحسن المناسب؟ بل كيف لعملية النظم أن تنفصل عن الاختيارات العديدة التي تقدمها القوة **المائزة**، و هذه القوى مجتمعة هي طبع الشاعر المؤسس لا يكتسبها و هي قابلة للتطوير و الإنماء بالمران الكافي و القراءات المختلفة،

و نستدل على تضام هذه القوى في تشكيل الخطاب بالوقوف عند مصطلح الاقتباس .

197 المصدر نفسه: 43.

198 حسن البنداري، تكوين النص الشعري عند حازم: 198.

ل - الاقتباس :

وهو مرادف لـ << استثارة المعاني و اجتلاب الأفكار >>¹⁹⁹ و لما كانت هذه المعاني مطروحة في الطريق حسب الجاحظ ، كما أن <> الموصوفات و الأوصاف و جهات انتساب بعضها إلى بعض و جهات تعلق الأغراض بها من ذوي الأغراض لا تحصى كثرة >>²⁰⁰ أمسى مستحيلا حصر هذه المعاني و لذلك رأى الناقد بأن <> المعاني التي هي مرتبة من تلك الأوصاف على حسب الأغراض أجدر بأن لا يستطاع إحصاؤها ، و لكن يمكن أن ينبه على الطرق التي بها تتطرق الخواطر إليها و تنهدى منها إلى تأليفها >>²⁰¹ ، و قوله منها إلى تأليفها إشارة واضحة إلى وجود علاقة متعدية بين هذه المعاني؛ فهي عبارة عن حافز للتأليف فكيف يتم ذلك؟

ربط " القرطاجي " بين الانفتاح على الأفق المعرفي و بين استثارة المعاني لاقتباسها؛ لأن <>الأصل الذي به يتوصل إلى استثارة المعاني و استنباط تركيباتها هو التملؤ من العلم بأوصاف الأشياء و ما يتعلق بها من أوصاف غيرها، و التنبه للهيئات التي يكون عليها التأم تلك الأوصاف و موصوفاتها و نسب بعضها إلى بعض أحسن موقعا من النفوس و التفطن إلى ما يليق بها من ذلك بحسب موضع موضع و غرض غرض >>²⁰² .

فالاقتباس الجيد يتطلب مبدعا مطلعاً، مثقفاً، نبيها و منتبها في آن واحد بالإضافة للفظنه التي لا يعدمها كل من له هذه الصفات، و هي كلها تحيلنا على التركيبية النفسية و الفكرية للمبدع؛ فالمادة التي ينهل منها هي ما خزنته ذاكرته من قراءات و أفكار و شاهده من تجارب و مشاهد، و تخيله من آمال و أحلام، و هو ما يجعل الشاعر وجها لوجه مع التراث و <> الشاعر حينما يتوجه بذهنه إلى التراث و ينفتح على خبرات غيره فإنما يبحث

¹⁹⁹ حازم القرطاجي ، المصدر السابق : 37 .

²⁰⁰ المصدر نفسه : 37 .

²⁰¹ المصدر نفسه : 38 .

²⁰² المصدر نفسه : 38 .

عن نموذج أو إطار أو شكل فني يحاكيه << 203 و رغم أنه في البداية يقرأ لمجرد المطالعة أو المعرفة إلا أن ذلك ينمي بنفسه حب تقليد هذا الرائع فتكبر الرغبة شيئاً فشيئاً إلى أن تجد لها خلاصاً في النص.

أما كيفية الاقتباس و استثارة المعاني فتتم وفق منهجين <>: أحدهما تقتبس منه لمجرد الخيال و بحث الفكر، و الثاني تقتبس منه بسبب زائد على الخيال و الفكر << 204.

المنهج الأول*: يعتمد على حدة الذكاء في التنسيق بين التخيلات ، و هذا بالاعتماد على القوة على التشبه؛ فخيال الشاعر إذ يستحضر صورة ما من محض النسيج المحاكي لصورة الواقع فذلك ناجم عن حصيلة من التنسيقات التي يرتبها الخيال المبدع لكل ما تميز من الصور و الأفكار بالإضافة إلى موهبته الفنية، و ليس له أن <> يتعلق على ذاته ليمتدح من طبعه و ينقل عن شيطانه المزعوم و لكنه ناتج عن اللقاح المعرفي بين طبعه الفطري و خبرات الآخرين << 205 دون إغفال دور الفكر الذي يهدي القوة المميزة في عقد القرائن بين الاقتباسات، و هنا تعمل قوة التصور عملها، في إدراك الصور بعد تحصيلها بالاعتماد على <> القوة الشاعرة بأنحاء اقتباس المعاني و ملاحظة الوجوه التي منها تلتئم، و يحصل لها ذلك بقوة التخيل و الملاحظة لنسب بعض الأشياء من بعض و لما يمتاز به (...) بعضها من بعض و يشارك به بعضها بعضاً << 206.

و نلاحظ هنا تجاوب القوى الفاعلة للنظم و المكونة للطبع متشابكة لا مرتبة و لا متتالية كما رأى بعض نقادنا العرب.

إلا أن ما يضيّق الخناق على الفعل الإبداعي هو كون الصورة المقتبسة عن طريق الخيال انعكاساً حقيقياً لما هو مائل في الوجود؛ <> كون خيالات ما في الحس منتظمة في الفكر على حسب ما هي عليه، لا يتباين فيه ما تشابه في الحس و لا يتشابه فيه ما يتباين في

203 محمد طه عصر، مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب عالم الكتب ، القاهرة، ط 1 ، 1420 / 2000 م : 106 .

204 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 38 .

* أما المنهج الثاني سنخصص الحديث عنه في الفصل الثاني.

205 محمد طه عصر، المرجع السابق : 105 .

206 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 38 .

الحس << 207 و يبدو من هذا القول أن " القرطاجي " ربما يقصد الحواس الظاهرة لا الباطنة، و هذا ينطبق على النظرة الحسية المبدئية للصورة العيانية قبل حدوث الاختراق، بما تمتاز به من مادية جافة لأنها تقتضي من الشاعر امتلاك >> قوة على معرفة ما تماثل [من الصور] (...) و ما تناسب و ما تخالف و ما تضاد و بالجملة ما انتسب منها إلى الآخر نسبة ذاتية أو عرضية ثابتة أو متنقلة << 208 و لذلك فقد استدرك " حازم " قوله بإيجاد حالة إضافية يبتكر الخيال خلالها صوراً أخرى ممكنة الحدوث لكنها غير متحققة في الواقع الحسي عن طريق >> الإدراك من أي طريق كان أو التي تقع، لكن النفس تتصور وقوعها لكون انتساب بعض أجزاء المعنى المؤلف على هذا الحد إلى بعض مقبولاً في العقل ممكناً عند وجوده، و أن تنشئ على ذلك صوراً شتى من ضروب المعاني في ضروب الأغراض << 209 .

يربط " حازم " هنا بين العقل عن طريق الإدراك و خيال المبدع و بين هذا الأخير و الحواس 210 ؛ فالحواس تنقل المشهد كما هو لتتصرف قوة التخيل فيه بحيث يعاد إنتاجه بالاستعانة بقوة التمثيل و هنا تكون الصورة النهائية إما مؤثرة مع احتفاظها بانتمائها للواقع بتأييد من العقل و إما افتراضية غير موجودة في الواقع إنما يقبلها العقل . و قد تحدّث الناقد عن عملية إدراك المعاني بدقة و هو في ذلك متأثر بـ " ابن سينا " كثيراً 211 ، >> فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصور الذهنية في أفهام السامعين و أذهانهم ، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ << 212 .

و رغم أن هذا التفسير مادي بحت لأنه يتحدث عن ارتسام الصورة و علاقتها بالجملة العصبية إلا أنه يحتوي معنى آخر و هو أن المعطى المادي الذي يقدمه السياق الخارجي يتم

207 المصدر السابق : 38 .

208 المصدر نفسه : 38 .

209 المصدر نفسه : 39 .

210 أنظر جابر عصفور، مفهوم الشعر: 102 .

211 أنظر ابن سينا، الإشارات و التنبيهات، تحقيق سليمان دنبا، القسم الثاني، دار المعارف، مصر، 1960 : 243 .

212 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 18 - 19 .

تجاوزه عن طريق عملية المجاز أو بالأحرى الصياغة الجديدة بفضل المحاكاة التي تلفه مع قوة التخيل فيلبس شكلا مغايرا للواقع ليصبح فيما بعد كائنا غريبا بالنسبة لمتلقي الذي يحس بانجذاب إليه لأن الصورة تخفي في ثناياها مدركا أصيلا رغم قوة سبكه، و هنا يكون الاقتباس ناجحا بتصيره المؤلف مستغريا .

و قد أشرنا سابقا بأن " حازما " ربما يقصد الحواس الظاهرة؛ ف >> الأشياء، منها ما يدركه الإنسان بالحس، و منها ما ليس إدراكه بالحس ، و الذي يدركه الإنسان بالحس فهو الذي تتخيله نفسه لأن التخيل تابع للحس، و كل ما أدركته بغير الحس فإنما يرام تخيله بما يكون دليلا على حالة من هيئات الأحوال المطبقة به و اللازمة له <<²¹³.

و يبدو من خلال الممارسة الإبداعية أن الصورة التي تنقلها الحواس مختلفة عن التي يتصورها الخيال لأن هذا الأخير يتجاوز و يخترق، و بالمقابل تنقل حواسنا نقلا أميناً يرتسم بعد ذلك في الذهن، ف >> الأشياء المدركة بالحس (...) تخيل بخواصها و أغراضها، و كلما كانت الأغراض في ذلك قرينة شهيرة مناسبة لغرض القول كانت أحسن <<²¹⁴.

و هو ما يجعلنا نعتقد بأن الناقد و في مواطن كثيرة يومئ إلى ضرورة مجازة الخيال لجمال الطبيعة بالدرجة الأولى ثم إضفاء بعض اللمسات الفنية على المعنى، فهل الطبيعة تنبض بالجمال بهذا القدر الذي يجعلنا ننقلها كما هي أم أن الجمال موجود بالذات المبدعة و الطبيعة هي التي تستفزه فيتحرك؟

و منها الأشياء التي ندركها و بالتالي نقتبسها بغير الحس، إلا أن الحواس لا تغيب تماما لأن المعاني التي لا تدرك بالحواس تبني على قرائن حسية ف >> يقال الضئيلة الرقشاء، فنتخيل الحية <<²¹⁵ و هنا يلعب المجاز دوره بالاستعانة ب >> القوة الحسية و التصويرية <<²¹⁶.

²¹³ المصدر نفسه : 98 .

²¹⁴ المصدر نفسه : 99 .

²¹⁵ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 99 .

²¹⁶ المصدر نفسه : 13 .

- إن " القرطاجني " يبين لنا كيفية اقتباس المعاني من مكانها و نراه يركز على الطبيعة بشكل واضح خاصة عندما يتعلق الأمر بالمحاكاة التي يؤسسها على المعاني الجمهورية، فالمتصورات الواضحة تدرك عن طريق الحواس و معها الخيال فيجتمع الواقع بالخيال في نقل الصورة و اقتباسها و تظهر البراعة أكثر عندما يبدع الشاعر في تصور معان لم تنقلها الحواس و هي >> التي ليس لها وجود خارج الذهن أصلاً <<²¹⁷.

²¹⁷ المصدر نفسه : 15 .

م - تمنع القصيدة:

تمر القصيدة - أثناء تشكلها - بفترات حرجة ، يصبح القول فيها مستعصيا فيصاب الشاعر بالقلق ، بعد أن قطع بضع خطوات في صحبة الحلم في هالة من التوتر الفكري، المعرفي لتستكين الأشرعة دون سابق إنذار ف >> يبعد فيها قريبه و يستصعب فيها ريضه <<²¹⁸ و هو ما يسمّى **بتارات** الشعر²¹⁹ و هو الزمن الذي تتمنّع فيه القصيدة عن مريدها فيصبح القول صعبا، >> و قد أدرك القدماء شعراء و نقادا أن الشعر ليس شيئا هينا (...) و ليس ساذجا بسيطا كما يظن كثيرون <<²²⁰ و قد تعرض " الفارابي " لهذه الفكرة و لكن قوله كان مقتضبا²²¹ و هو موقف لا يعيه المبدع إلا حين يخضع لسلطته.

و قد قسم " حازم " هذه الموانع التي سماها **عوادي** إلى ذاتية متعلقة بالشاعر و أخرى موضوعية خاص بالنص، فأما الذاتية فهي :

>> - 1 - أن يكون بالخاطر كسل فلا تسمو تلك القوة معه سموها مع النشاط <<²²² حيث يصاب الخاطر >> بالفترة (و هي) الانكسار و الضعف <<²²³ فلا يتمكن من معاودة الكتابة و لأجل ذلك سماها " حازم " بالعوادي و الخاطر لا يكسل إلا إذا تأثر بأحد العوامل إما الذاتية أو الموضوعية، لأن القصيدة تبدأ علاماتها بطاقة رهيبه تسكن الشاعر فيحس كمن عثر على ثروة هائلة تشعره بالفرح و النشوة و هنا يتخلص من كل ما يجعله تابعا للواقع فإذا ما طرأ طارئ ما خارت قواه و لم تستطع استرجاع طاقتها، وهي حالة ممكنة الحصول لكل شاعر كما يقول " ابن رشيق " إذ >> لا بد للشاعر و إن كان فحلا مبرزاً مقدما من فترة تعرض له في بعض الأوقات <<²²⁴ وهي محنة كل شاعر.

²¹⁸ ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء: 9 .

²¹⁹ أنظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 133.

²²⁰ يوسف حسن **بكار** بناء القصيدة في النقد العربي القديم: 73.

²²¹ أنظر عبد الرحمان بدوي، أرسطوطاليس ، فن الشعر، ترجمة الفارابي : 156 .

²²² حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 308.

²²³ أنظر ابن منظور، لسان العرب **مادة قتر**، دار صادر بيروت، الطبعة 3، 1414 هـ - 1994 م : 43.

²²⁴ ابن رشيق ، العمدة، ج 1: 184.

2- - تاجيل الأفكار، فعندما تتزاحم الدلالات على المبدع يثبت إحداها على حساب الأخرى فربما >> شغله تلفت إلى غير الغرض الذي هو أخذ في صوغ العبارة له، و عاقبة ذلك عن تسليط تلك القوة عن ضروب ما يقوم به من العبارات **المختلفة** >>²²⁵ فيختار الأهم من الأفكار، و هذا الوضع **شبيهه** جدا بمن يحيا في وسط خاص فإذا غادره فقد الحياة، فما يرد موجود في ذهن المبدع بصيغة أفكار مبدئية فإذا ما أطلق العنان لخاطره و تداعت الأفكار، و لم تثبت أعلنت رحيلها، و المبدع كما شبهه " **ريتشاردز** " أثناء الكتابة كجهاز يحتوي ما لا نهاية من البوصلات التي تتحرك في اتجاهات مختلفة و لا يمكنه تحديد مسارها و لا إيقافها²²⁶ فإن طراً خلل ما في سياق القصيدة يسارع إلى اكسابه >> ما يرفع قبعا يضاعف حسنا، **فينتهز** الخاطر الفرصة في تحصيله >>²²⁷ دون مراعاة للسياق العام و لا لضغوطه >> ففي حال الانصراف إلى محل الالتفات تتوافق القوة الناظمة عما كانت بسبيله من تصفح العبارة المستمرة الحركات و السكنات على منهاج الوزن الذي بنى الكلام عليه والتغلغل إلى استخراجها من غمار العبارات غير المتزنة >>²²⁸ و هنا يعمل الشاعر بالاستناد على القوة المميزة التي تحيله إلى البنية القلقة في الخطاب لمعالجتها.

3 - أما العائق الثالث فخاص بالوزن و مدى تقبل الشاعر له ب >> أن يدركه سهو، فيتعرّف عن الوزن الذي هو أخذ فيه إلى وزن يقاربه على سبيل الغلط >>²²⁹ و بينما يعتقد بأن الوزن و القافية هما أكبر حاجز بالنسبة للمبدع فإن " القرطاجني " يرى بان العلاقة التي تربط بين الشاعر الأصيل و بين قصيدته هي الحميمية و الولع، و هو إحساس لا يعيه إلا المتمكن البارِع >> فالوزن أيسر شيء على من له أدنى بروع في هذه الصناعة >>²³⁰ و قد رأى أحد النقاد المعاصرين بأن قداماء النقاد >> كانوا يدركون - و إن لم يصرحوا أثر - المعاناة النفسية ، و كانوا

²²⁵ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 308.

²²⁶ أنظر ريتشاردز، العلم و الشعر ، ترجمة مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية: 20.

²²⁷ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 209.

²²⁸ المصدر نفسه: 209 .

²²⁹ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 209 .

²³⁰ المصدر نفسه : 209 .

يدركون أن الشاعر الحقيقي لا طاقة له و لا حول في اختيار الوزن <<231 و قد استشهد بـ " ابن رشيق " إذ قال >> و المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان و أسمائها و عللها، لنبو ذوقه عن المزاحف منها و المستكره، و الضعيف محتاج إلى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله في هذا الشأن <<232 .

و لكننا نرى - و بناء على رأي حازم " القرطاجي " - بأن المعاناة النفسية التي يسببها الوزن كحاجز ضد تفتق المعاني، لا يحسّها إلا الشاعر الضعيف، بينما نجد أن الشاعر القوي الطبع تتجاوز معاناته الأوزان، و القوافي لأن هذه الأخيرة تنساب مع الأفكار و المعاني و هذا لا يعني أبدا بإمكانية اختيار وزن القصيدة و قافيتها كما رد الدكتور " يوسف بكار " على الدكتور احمد بدوي.

و أما السهو الذي يصيب المبدع فذلك راجع إلى تغير الوزن فجأة بعد أن سار عليه و ألفه فلا يحصل له <<ولع بالاستمرار على ما لم يتقدم له إلف به و لا سلف له عمل فيه، من شأن النفس أن تحرص على إتمامه، و لا استئثار فائدة فيه ولعه و بما قد ألفه و تقدم له عمل فيشتاق إلى إتمامه <<233 و رغم غرابة هذه الوشيجة إلا أنها منطقية و عادية بالنسبة لذوي الطبع الأصيل، فالقصيدة ما إن تنبتق كهاجس تنتمي لمبدعها لينشأ الولع الذي يكبر باستمرار الرحلة، فإذا غير الوزن >> لا ينبعث الخاطر بالقوة انبعاثا يمكنها من ملاحظة ما وضعه من العبارات موافق للوزن المبني بديها، فيتعذر على هذا صوغ الكلام بحسب الوزن المخرج إليه السهو <<234 و هكذا فإن الأوزان تتنافس فيما بينها لنيل اهتمام المبدع فهي لا تبغي التأجيل >> و لو لم يتعذر على هذا التقدير أيضا لم يحصل للناظم البغية مما أراد من الوزن الأول <<235 و الأمر عينه يقال بالنسبة للمعاني و إن كانت هذه الأخيرة أكثر انفلاتا من الوزن لأنه قانون بينما تبقى المعاني أفكارا مجردة خاصة قبل تأسيسها.

231 يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) دار الأندلس لبنان، ط 2 ، 1403

هـ/ 1983 م : 160 .

232 ابن رشيق، العمدة، ج 1 : 121 .

233 المصدر نفسه: 209.

234 حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 209 .

235 المصدر نفسه: 209 .

و قد اعتبر " حازم " أن التفات الشاعر إلى وزن بديل **عيب** في الشعر و >> وقوع مثل هذا الغلط عن وزن الكلام بحسب العروض المقصودة بالقصد الأول على كل حال <<²³⁶ لأن الشاعر أثناء الكتابة لا يضع الوزن في الاعتبار قدر اهتمامه بالمضمون فإذا انساق معه فقد تمرق القصيدة عما وضعت عليه من عروض فيختل وزنها أو >> إذا نال منه [الخاطر] الكد و الكسل ، و إن كان هذا إنما يعرض في الأقل، و في الأوزان المتشابهة نحو **مجزؤ** الوافر و الهزج <<²³⁷.

و قد يجد المبدعون صعوبة مع الوزن إذا طلبوا المعاني البديعة >> حيث يريدون تضمين المعاني في الألفاظ القليلة، أو حيث يريدون صوغ الكلام على هيئات بديعة يحتاج فيها إلى إمرار الفكر على الألفاظ التي يحس أن ذلك متأت فيها و إلى التنقيب عما **يهيء** الكلام بتلك العينة من الترتيبات و الوضع <<²³⁸ و هنا لا بد من التناسب بين الوزن و المعنى من جهة و بين اللفظ المعنى من جهة أخرى؛ لكي لا يعيق خلل الوزن سير عملية الإبداع بتذبذب نشاط المبدع بين صدر القصيدة و وسطها و عجزها و في هذا يتفاوت الشعراء.

- 4 - و يتعلق المانع الرابع باللغة و سجنها، و هو العائق الذي يتحدث عنه جل الشعراء انطلاقاً من كون اللغة قاصرة عن احتواء ما يفكر فيه المبدع و يشعر به فـ >> اللغة معطى مادي محدود، و **الهاجس** الشعري معطى روحي غير محدود <<²³⁹ و إذا كانت >> العبارات في الذكر قليلة فيعز و جود ما يجيء من العبارات عفواً من غير احتيال و لا تكلف لذلك <<²⁴⁰ و عجز اللغة يقابله مباشرة قلة العبارات في مقابل **السير العرم** من الأفكار في الذهن، و إذا ما حدث العكس و قلت الأفكار قلت المعاني أيضاً و هنا تظهر براعة المبدع في التعامل مع الموقفين دون إحداث خلل في النص أو تكلف العبارات و حشوها **لملء** الفراغات التي تركتها العبارات الناقصة >>

²³⁶ المصدر نفسه: 209 .

²³⁷ المصدر نفسه: 209 .

²³⁸ المصدر نفسه : 209.

²³⁹ عبد الله العشي، نظرية الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين: 166 .

²⁴⁰ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 210 .

و الشاعر لا يصل إلى معنى ثم يبحث عن لفظه << 241 بل يناسب بينها لدفع القصيدة للأمام أما العوادي الموضوعية فهي:

<< - 1 - أن يكون قدر الوزن فوق قدر المعنى >> 242 و هو الخلل الذي يقع فيه الشعراء إذا لم يكن الباعث جوهريا للكتابة بل جاعلين الوزن كهيكل عام و بدأوا بصعوبة ببعض الكلم و تلك هي الكتابة الباردة، و نعني بالبرودة ما يلحق بالخاطر من غير تعمل و تكلف ، >> فيحتاج إلى أعمال الحيلة في ما يستحسن من الحشو . أو من المعاني التي يكون في اقترانها بالمعنى المقصود بالقصد الأول تحسين للكلام >> 243 . إن التناسب بين الأفكار هو الذي يبطل مفعول التكلف و الحشو، و متى ما أحس المتلقي التطالب بين المعاني، و المشاكلة مع الوزن غض الطرف عن بعض التحسينات المبالغ فيها، رغم أن وقوع المبدع في هذه البوتقة يمنع تقدمه للأمام في أغلب الحالات لأن الوزن إذا كان مهيمنا على المعاني و عمل المبدع على إخفاء ذلك بـ >> حسن وضعه و نسقه و ترتيب بعضه من بعض، فيقل أيضا وجود ما يجيء من العبارات عفوا على هذه الصفة >> 244 .

- 2 - و مثلما لا يستحب أن تكبر الأوزن على حساب المعاني لا يجب أن >> يكون قدر المعنى فوق قدر الوزن فيحتاج إلى الحذف >> 245 و هنا تستحضر نصيحة " أبو تمام " " للبحثري " بقوله >> كن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام >> 246 ، و إذا ما بدأ الشاعر في حذف العبارات لإحداث التوازن في الأبيات لم يسلم من الوقوع في التنافر الذي يجعله لا يواصل الكتابة، لأن بعض الكلمات في الشعر إن

241 مصطفى سوييف، الأسس النفسية: 303.

242 حازم القرطاجي ، المصدر السابق : 210.

243 المصدر نفسه: 210.

244 حازم القرطاجي ، المصدر السابق: 210 .

245 المصدر نفسه: 210 .

246 المصدر نفسه : 203 .

حذفت أو غيرت فسد المعنى و حدث ما سماه " الجاحظ " تبرؤ المعاني من بعضها البعض²⁴⁷.

- 3 - أن >> يكون المعنى دقيقا إلى إيراد العبارة عنه على صورة يقل ورودها عفوا <<²⁴⁸ وهذا لا يعد عائقا بالنسبة للشاعر المبدع لأن المعنى لا يرد إلا و حضرت معه الصورة التي ستحتضنه، و إذا ما وجد لفظ بلا معنى أو العكس فإن ذلك مبني لا محالة على المبالغة و التصنع، و المعنى كلما كان بحاجة للتغيير كان وقوف الشاعر معه مطولا بما يحول دون إتمام الكتابة.

- 4 - أن يبني الشاعر قصيدته على المعاني التي يقل الاهتداء إليها و أن تكون من >> المعاني التي العبارات عنها قليلة في اللسان فلا يتمكن خاطر من إيرادها موزونة **إلا بتعمل** و محاولة <<²⁴⁹ فإذا جنح إلى حب التفرد في الإتيان بالبديع البكر أعمل فكره في إيجاد الحلة المناسبة للمعنى الفريد و بهذا ينحصر تفكيره على البحث فقط فلا يسمح لقوته الشاعرة أن تعمل عملها.

إن العوادي التي ذكرها " حازم " الخاصة بالشاعر أو بالشعر تتعلق بنفس المبدع و قدرته على الاستمرار في القول قياسا إلى ما يعيقه. و خاطر الشاعر لا يمكن أن يصاب بالكسل أو الفتور إلا إذا حدثت عوائق موضوعية أو ذاتية فانصراف الشاعر عن القول نتيجة لهذه العوامل.

يعد التكلف شركا بالنسبة للمبدع و بعد الانصراف عن إنشاء القصيدة، فيكون **قبليا** إذا لم يكن الباعث أصليا و فاعلا في القصيدة خاصة إذا شغل المبدع نفسه بالوزن و كيفية الإمساك به أو **بعديا** بالمعاني و الألفاظ و طريقة اجهادها لمحاكاة الصورة النموذجية التي يريد المبدع الوصول إليها (العائق الموضوعي الثالث و الرابع).

أما اللغة فإنها القيد الذي ما انفك يحاصر الأفكار في معاقلها، و >> التجربة الشعرية بعد انتقالها إلى الورقة أصغر بكثير من التجربة الداخلية التي يعيشها الشاعر

²⁴⁷ الجاحظ، البيان و التبيين، ج 1: 66 .

²⁴⁸ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 210.

²⁴⁹ المصدر نفسه: 210.

<<250 و لا بد من القول هنا بأن الشعر ليس صعبا إلا في حالة تمنعه، و إذا ما حدث و فعل فلا بد من الأخذ بنصيحة " بشر ابن المعتمر " بقوله: >> فإن أنت ابتليت بأن تتكلف القول و تتعاطى الصنعة و لم تسمح لك الطباع فلا تعجل و لا تضجر>>251 فالقصيدة ليست عملا إضافيا سخره صاحبه في أي وقت شاء.

250 نزار قباني ، عن الشعر و الجنس و الثورة: 39.
251 ابن رشيق، العمدة، ج 1: 192 .

8 - طبقات الشعراء :

عرف النقد العربي القديم فكرة << تصنيف الشعراء إلي طبقات و ألفوا كتباً فيها طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، و طبقات الشعراء الثقات " لابن نجيم " ، و طبقات الشعراء لابن المعتز ... الخ >>²⁵² وبين جميع ما ألف في الطبقات ذاع صيت كتاب " ابن سلام " و " ابن المعتز " ، و علي الرغم من كون هذين المصنفين خطوة جريئة للتمييز بين المبدعين إلا أن عدم وجود مقاييس محددة في ذلك حال دون بلوغ الغاية المنشودة فقدم قسّم " ابن سلام " طبقاته حسب << الأسلوب الشعري بصرف النظر عن الاختلاف الزمني >>²⁵³ مما جعل منهجه متذبذباً << لأن الطبقة لم تكن واضحة ، ولعل تقسيمه الرباعي جاء اعتباطاً >>²⁵⁴ و نلمس ما في هذا الحكم من تعسف كبير ، لأن هذا التقسيم كان واضحاً و مفهوماً في عصر ابن سلام و بالمقابل اكتسب سمة الغموض عندما نظر إليه من سياق ثقافي مختلف .

و إذا وصلنا عند حازم وجدنا الرؤية تغيرت إذ أصبحت المفاهيم مختلفة فغدت أكثر نضجاً و موضوعية ، فهو يقسّم الشعراء حسب مقاييس عائدة للمبدع ذاته ، و أخرى خاصة بالنص و هي على النسق التالي :

8 - 1 / المقاييس الذاتية :

8 - 1 - 1 / المقاييس الذاتي الأول:

التفاوت في امتلاك القوى الناظمة:

يصنف " حازم " الشعراء تبعاً لمقاييس ذاتية تدخل في تركيبية كل واحد منهم، و لما كانت القوى العشر الناظمة هي أهم ما يميّز الطبع كان التفاوت في اكتساب هذه القوى و مدى فاعليتها أمراً حتمياً ف << للشعراء و ذوي الدعوى في مشاركتهم أو

²⁵² أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد العربي القديم : 285.

²⁵³ رجا عيد ، التراث النقدي ، نصوص و دراسات منشأة المعارف الاسكندرية د ط : 1983 : 167 .

²⁵⁴ احمد مطلوب ، معجم مصطلح النقد العربي القديم : 285.

وجود بعضها أو عدمها] القوي [بالجملة ثلاث مراتب >>²⁵⁵ و من خلال هذه المنازل تتحدد شاعرية الشاعر و تمكنه من فرض الشعر بالسليقة، فكلما امتلك الشاعر اكبر عدد من القوي كان أرفع مكانة من أقرانه؛ و بناء على ذلك فإن أولاً: >> أهل المرتبة العليا هم الشعراء في الحقيقة >>²⁵⁶ و تنقسم هذه المرتبة بدورها إلى طبقات ثلاث:

أ - >> الطبقة الأولى: الذين حصلت لهم هذه القوي على الكمال في الجملة و الكمال في بعض دون بعض >>²⁵⁷ .

و يرى الناقد أن هؤلاء الشعراء توفرت لهم كل القوي بما يجعل تمكنهم علي الاسترسال في القول يتم بطريقة انسيابية كما أنهم >>يقوون على تصوّر كليات المقولات و مقاصدها و معانيها بالقوة قبل حصولها بالفعل ، فيتأتى لهم بذلك تمكن القوافي و حسن صور القصائد و جودة بناء بعضها علي بعض >>²⁵⁸ . و كلمة >>بالقوة >> هنا لا تعني التكلف ولا إعمال الخاطر في تصور الكليات بل هو امتلاكها بالقوة . بالمثانة التي تجعل فعل الكتابة غير خاضع لأي عائق خارجي ، فمثانة القوة على التصوّر في بعديها أي ما يقارن بالمقاصد الكلية ، أو الصورة العامة للقصيد ، و القوة علي التخيل بالإضافة إلى بقية القوة ، يجعل من القصيدة قطعة حدقة يراعي فيها صاحبها و إيجادة سبكها بما لا يجعل فيها أي خلل لغوي أو فني.

ب - الطبقة الثانية: >> من كان قسطه من جميع هذه القوة أو أكثرها متوسطا أو غير بعيد من المتوسط >>²⁵⁹ . و هذه الطبقة أصحابها أقل براعة من أصحاب الطبقة الأولى لأن توفر القوي الناظمة في طبعهم أقل نسبة . فهذه الطبقة >> تتصور كثيرا من ذلك و إن لم تبلغ في ذلك مبلغ الطبقة الأولى ، فيتأتى لها كثيرا مما تأتي للأولى >>²⁶⁰ مع ظهور فارق جوهري في درجة تمكن شعراء هذه الطبقة ، و هو راجع لا إلي ظهور هذه القوي ، بل إلي عدم ارتقائها إلي أسلوب الدرجة العليا لأنها

255 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 201.

256 المصدر نفسه: 201.

257 المصدر نفسه: 201.

258 المصدر نفسه: 201.

259 المصدر نفسه: 201.

260 المصدر السابق: 201.

(القوى) لا تتسم بالكمال و الجودة ،فقد تكون بعض القوة ضعيفة نوعا ما مقارنة ببقية القوى ، و لذلك فان قوة بعض الجوانب تغطي و هن الجوانب الأخرى ، فتغطي قوة التخيل علي القوة المسيّرة للعبارات أو التي تصل بين الأجزاء ،فلا يكاد يظهر خلل ما في السياق إلا و تخفيه قوة أخرى مساندة . فالشاعر و إن امتلك كل القوى الناظمة فهي غير متساوية في الجودة و القدر و لذلك تتضافر فيما بينها فتكون القصيدة ذات بناء محكم .

ج – الطبقة الثالثة: >> من كانت أقساطه مما حصل له من هذه القوة مع قلنتها غير عامة في جميعها <<²⁶¹ و هذه الطبقة تظهر قوة أصحابها في النظم من خلال بعض المقاطع دون بعض ،لأنها >> لا تتصور إلا القليل من ذلك كأوائل القصائد و صدورها وما يكون من مقاصد الشعر بمحل عناية من أنفسها ، فقد يتفق لهذه الطبقة أيضا أن تبني الكلام و القوافي بناء حسنا<<²⁶² .

و شعراء هذه الطبقة أقل مستوىً من سابقتها مع أنهم يتقاطعون معا في مواطن حسن كثيرة ، فالطبقة الأولى تحصل لها كل القوى كما و كيفا، بينما الثانية تحصل لها كمًا مع تقارب نسبي في نوعية القوى ،و هو ما يجعل هذه الطبقة تتقاطع مع الطبقة الثالثة التي لا تتخيل إلا اليسر من مقاصد الشعر ، و هذا القليل قد يسهم في إعانة القوة الناظمة علي >> أن تبني الكلام و القوافي بناء حسنا <<²⁶³ .

ثانيا : المرتبة الثانية* >> من له أدني تخيل في المعاني و **دربة في إيراد** عباراتها (متزنة أو مرتبة) ، وإن لم يكن له في القوة الباقية إلا ما يعتد به ، فنظم هذا منحط عن نظم من استكمل ما نقصه و مرتفع عن كلام / من لا تخيل له في المعاني ولا دربة بالتأليف <<²⁶⁴ فقدرة الشاعر في هذه المرتبة بسيطة قياسا إلى شعراء المرتبة

²⁶¹ المصدر نفسه:201.

²⁶² المصدر نفسه :202.

²⁶³ المصدر نفسه :202 .

* تتدرج المرتبة الثانية بعد المرتبة العليا أو الأولى التي تتضمن الطبقات الثلاث المذكورة .

²⁶⁴ حازم القرطاجني ، المصدر السابق :202.

الأولي باختلاف طبقاتهم لأن ضعف هذا الشاعر راجع لقصور خياله في تجاوز المألوف – و سنتحدث عن تفاوت الشعراء في ملكة الخيال فيما بعد – بالإضافة إلى نقص المران على إيقاع التناسب بين المعاني، و إذا لم يتمكن المبدع من ابتكار المعاني بجدة عن طريق تصوراته فذلك عائد لأن القوة المفكرة لم تتمرّس مع الخيال بما يجعل الفعل ممكناً . فالدرية المستمر بالإضافة للقراءة الدائمة تنوع الاحتمالات النصية و تشعبها فتصبح قدرة الشاعر تبعاً لذلك حية متفاعلة مع الصور مستعدة لانتقاء و تصور العبارات الرائعة و إيرادها المحل المناسب بها ، ووسطية هذه الطبقة جعلت شعراءها لا يبلغون جودة و إتقان شعراء المرتبة العليا كما لا تقصر قدرتهم بالقدر الذي تكون عليه عند أصحاب المرتبة الثالثة .

ثالثاً: المرتبة الثالثة : و لنا أن نتخيل حال شعر أصحاب المرتبة الثالثة قياساً لما قيل <<و هم الذين لا ينتسبون إلى هذه الصناعة بغير الدعوة ، فمنهم طائفة لا تتقنص و لكن تتلصص و لا تتخيّل بل تتحيّل بالإغارة علي معاني من تقدمها و إبرازها في عبارات أخرى النمط الثاني لا يتخيل و لا يتخيّل ولكن يغير و لا يغيّر، و النمط الثالث و هم شر العالم نفوساً و أسقطهم همما و هم النقلة للألفاظ و المعاني على صورها في الموضع المنزل منه من غير أن يغيروا في ذلك ما يعتد به >>²⁶⁵ .

إن النظم في هذه الطبقة لا يعتمد علي الطبع السليم لصاحبه ، بل يرتكز علي ما تم الإطلاع عليه (النوع الأول) و يعاد صياغته بالتحيل في تفسير الألفاظ ، و انتقاء ما جاد من المعاني لأن القوة الشاعرة لا يمكنها الاعتماد علي بقية القوى و هنا تتقاطع النصوص بنسق إيجابي ، و كلما أوغلنا في النمطين الباقيين ضاقت سبل الابتكار على صاحبها فاستحضر صورة نموذجية و حاول أن يولد منها أنماطاً جديدة ، وإذا تلاشي مفعول القوى فإني له أن يلاحظ وجوه التناسب و يهتدي لما راق من العبارات ، فغياب القوى المائزة و الحافظة و الناظمة يذبذب عملية النظم و يجعلها غير أصيلة فنفقد الكتابة توازنها النصي شيئاً فشيئاً .

²⁶⁵ المصدر نفسه: 202 .

و هنا ينقسم الشعراء في مواجهتهم لهذه الفجوة الخطيرة ؛ فمنهم من يأخذ معاني غيره من الشعراء و كما قال حازم << طائفة لا تتقنص ولكن تتلصص ... >>²⁶⁶ . و حتما فإن ظاهرة السرقات الأدبية هي نتيجة ملحة لأن تلاقح النصوص أمر وارد ، إلا أن الأمر الذي يرفضه الناقد هو سوء الأخذ بـ << أن نعمل إلي المعني فنتناوله بلفظه كله أو أكثره أو تخرجه في معرض مستهجن >>²⁶⁷ و هو نتاج فساد الطبع الشعري ، و هنا لا يمكن أن ننكر على بعض الشعراء إتقانهم لفن التعديل و التغيير لتزدان العبارة بحلاوة واضحة ، إذ يتم استحضار معنى جيد ليوظف بأسلوب بديع و بتحليل فيه إيقاع التناسب بينه و بين السياق اللغوي .

الشاعر الذي يعنيه " القرطاجني " هنا هو الذي ينثر في خطابه **شذرات نصية** شتي شرط أن لا ينقل المعاني كما هي و هو حال الطائفتين الثانية والثالثة ممن يحرص المعاني بألفاظها دون تعديل أو تغيير .

و تجدر الإشارة هنا أن النصوص ليست جديدة بأصلها بل هي كذلك بطرائق صوغها و بنائها ، فكل خطاب مهما بلغ درجة الإتقان و صنوف البراعة لا يمكن أن يكون بكرة بل هو حامل لهمسات نصوص أخرى تتحاور معه و تتقاطع معا في زوايا عديدة .

2-1-8 / المقياس الذاتي الثاني: والذي يصنف من خلاله " حازم " الشعراء

هو **قوة التخيل** و بناء على نوعها ينقسم المبدعون إلى :

أ - **شعراء منتظمي الخيالات** : - و لا يقصد بالانتظام الترتيب لأن ذلك يتناقض مع وظيفة التخيل كما أن الإبداع الحقيقي لا يعترف بالتمطية ، بل المعني في ذلك أن القوة المخيلة للشاعر لها من الحيوية ما يجعل استحضار الأفكار و الصور يتم بتلقائية تامة دون بتر لعملية التصور أو تشظية النظم فيغدو << المنتظم الخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده ، فإذا أراد أي

²⁶⁶ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 202
²⁶⁷ أبو هلال العسكري ، الصناعتين : 229 ..

حجر شاء عمد إلى الموضوع الذي يعلم أنه فيه فأخذه منه و نظمه << 268. و حديث حازم عن انتظام الخيالات مقترن **باجالة** خاطر ، فالشاعر >> إذا أراد مثلا أن يقول عرضا في نسيب أو غير ذلك وجد خياله اللائق به قد أهبطه له القوة الحافظة بكون صور الأشياء مرتبة فيها علي حد ما وقعة عليه في الوجود ، فإذا أجال خاطره في تصورهما فكأنه اجتلي حقائقها << 269.

والأشياء التي يرمي الناقد إلي نقلها كما هي المعاني الجمهورية التي يكسوها أكثر بمضامين تبدو من خلالها جديدة بالملاحظة و القراءة ، >> فمن كانت خيالاته و تصوراته منتظمة فانه يقصد بملاحظة خاطر منها إلي ما شاء فلا يعدوه << 270 وهكذا فإننا نلاحظ أن الانتظام و الترتيب هي مرادفات للتناسب بين الواقعين الافتراضي الخيالي و الواقعي و لأن تجسيد هذا التناسب لا يمكن انجازه فان المحاولات تستمر و من خلال ذلك يظهر قوة الخيال المتقد الذي لا يشقي في الابتكار و التنسيق كما لا تعوقه أي فواصل زمانية أو سياقية .

ب- الشاعر المتعكر الخيالات : و مصطلح الاعتكار أو التعكر يوحى >> بعدم الوضوح و التشويش << 271 و هو ما يرمي له حازم ، فالشاعر في مثل هذه الحالة تكون لديه المادة الأولية عينها كما هي عند النوع الأول إلا أن تعامله معها أشبه بـ >> ناظم تكون جواهره مختلطة ، فإذا أراد حجرا علي صفة ما تعب في تفتيشه و ربما لم يقع غلي البغية ، فنضم في الموضوع غير ما يليق به << 272. وإذا كان الشاعر هنا لا يستطيع إيراد التوظيفات في المقام الملائم لها فلأن ذلك راجع لتقصير القوة على التهدي الحسن و القوة المائزة بين الخيالات ، و هو ما يؤكد أن عملية التخيل عند حازم ليست ذات طابع آلي ، أو ميكانيكي مستقل بذاته بل هو مرتبط بكل أطوار الكتابة ، و الحل الذي يقدمه للشاعر الذي تعكر خيالاته هو التركيز في ملاحظة الأشياء و >>

268 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 43..

269 المصدر نفسه : 42.

270 المصدر نفسه : 43.

271 ابن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ن دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ، 1922- 1412 : 431.

272 حازم القرطاجني المصدر السابق : 43 .

طول الصدر* لكون الأشياء التي في الحس أوضح من التي في التصور / والذهن
<<273.

إن الانتظام و الاعتكار اللذان يقصدهما حازم يتعلقان بما قبل عملية التجاوز الفني فهو يتحدث عن صور متطابقة و أخرى غير ذلك كما انه يتطرق إلي كيفية حفظ هذه الخيالات و هو ما يسوقنا مباشرة إلي ذاكرة المبدع و مدى استعابها لهيئات و صور الأشياء الموجودة في الطبيعة ، و ذاكرة الفنان تختلف عن نظيرتها عند الفرد العادي لأنها تنقل تفاصيل بسيطة قد تتجاهلها الذاكرة العادية ، هي في غاية الأهمية بالنسبة للمبدع و لذلك فإن " حازما " ربّما كان يقصد هذه الجزئيات المهمة و ضرورة الاهتمام بها فهي التي تصنع القصائد العظيمة .

و بناء علي ما سبق فان الذاكرة الحافظة للخيالات كلما كانت مستعدة للاستيعاب تجلت الأشياء أمامها واضحة ويسهل بالتالي حفظها ، أما إذا كانت الخيالات متعكرة فلن يؤثر فيها وضوح الأشياء في الواقع و هو ما سيؤدي إلي اعتكار في الذهن و في التصور و هنا يقع معتكر الخيالات في المرتبة الثانية التي صنف فيها حازم **المبدعين** إذ ينقضه إحداث التناسب بين الصور و إنزالها الموضع اللائق بها ، ولذلك فان البصيرة الفاحصة هي الخلاص لهذا الوضع ، و هو ما لا يحصل إلا بالتروى .

273 المصدر نفسه :43.

* الصدر البصر **النافذ** الزمخشري ، أساس البلاغة :290.

3-1-8 / مراتب الشعراء حسب قوة التهدي:

و مثلما يختلف الشعراء في كيفية تخيلهم فهم يتباينون أيضا >> في تهديهم إلى العبارات التي ترد علي الأفكار أول ما ترد عليها متزنة منطبعة علي مقدار الكلام القفي مقطعه إلى العبارة ليست توجد أول ورودها علي الأفكار متزنة منطبعة علي ما يراد صوغ الكلام بحسبه، لكن توجد قابلية لأدني تغيير يصيرها منطبعة علي ما يراد من ذلك <<274.

إن " القرطاجني " يرجع ورود العبارة موزنة دون حاجة لتعديل ،أو غير ذلك لقوة التهدي عند الشاعر باعتبار أن هذه القوة مؤسسة للطبع و بالتالي فان الوزن و القافية لن يكونا عائقا 275 بالنسبة لسير العملية الإبداعية إذا كان الطبع هو الأصل و تبعا لهذه الاختلافات فان >> للشعراء (...) مراتب ثلاثا :الأولى أن تكون قوة الشاعر الناضجة في أكثر أمرها لا تلاحظ / ما يصلح أن يكون عبارة عن المعني مما ذمه الذكر به مليا عند اقتضائها إياه أول ملاحظتها إلا علي الهيئات التي تكون نقل الحركات و السكنات فيها بحسب ما يقتضيه الوزن الذي يريد بناء كلامه عليه فيولج الخاطر إلى اللسان موزونا <<276. أن هذا النوع من الشعراء يكتب إذ تنساب الأفكار عليه و العبارات، إن ملاحظة انسجام الوزن مع ما تم نظمه ، فأغلب العبارات ترد موزونة بما يرد السياق فلا تحتاج إلى حذف أو زيادة و هو القول الذي تعمل فيه البديهية عملها ،وأغلبه يكون في الارتجال حيث تتكاثر المعاني و تنداعي مقفاة غير متذبذبة ولا مضطربة فهي بحاجة للإثبات فقط .

- أما المرتبة الثانية فتضم: >> من ليس له قوة علي إحضار العبارة متزنة علي البديهية الا في قليل من المواضع ،بل يحضر العبارات بحيث تقبل التغيير و التصيير

274 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 207.

275 انظر تمنع القصيدة من هذا البحث :

276 المصدر نفسه: 208.

إلى الوزن المقصود بأدنى سعي >> 277 و في هذه الحالة يزواج الشاعر بين البداهة و التروي و هي الطريقة التي أشار إليها " ابن طباطبا " العلوي في قوله >> فإذا أنفق له بيت يشاكل المعني الذي يرويه أثبتته ، و أعمل فكره في شعر القوافي لما تقتضيه من المعاني >> 278 فالبدية هي المنطق حيث تتأسس بعض الأبيات إلا أن هذه التأسيس مبدئي لأن المعاني تبقى قلقة فهي بحاجة لبعض التعديلات و التغيرات التي يجريها الشاعر فتصبح أكثر اتزاناً و ثباتاً، و عملية التعديل عند حازم هي جزء من النظم و هو ما سنلاحظه عند حديثنا عن التروي في النظم

- و >> المرتبة الثالثة من لا يستطيع إحضار العبارات متزنة أول إحضارها، و يحضرها مع ذلك غير قابلة التحضير إلى الوزن **إلا بكّ** و تعب >> 279 و أصحاب هذه المرتبة هم ذاتهم أصحاب المرتبة الثالثة في امتلاك القوى الناعمة، فغياب القوى المتضافرة يؤدي حتماً إلى عدم التحكم في الأوزان و القوافي.

إن قضية البديهة و علاقتها بالعبارات الموزونة أمر نسبي في العملية الإبداعية و رغم جراءة " القرطاجني " في مثل هذا التصنيف إلا أن حديثه موسوم بالمبالغة نوعاً ما فلا يمكن أن يكون أي شاعر مهما كان مجيداً معتمداً على البديهة في شعره دون الرجوع للروية و سنقف عند هذا الجانب في مجال أنسب²⁸⁰ و " القرطاجني " يثبت هذا الرأي عندما يعتبر فعل الحذف و التغيير جزءاً من فعل التأسيس الإبداعي و ما يحسب لحازم في هذا التقييم أنه ربما ينبهنا إلى شاعر لا تعيقه الأوزان و لا القوافي و آخر تشكل له هذه العناصر أكبر عائق في الكتابة.

- أما المقاييس الموضوعية التي يختلف فيها الشعراء فهي كثيرة؛ فالناقد لا يذكر قضية إلا وصّف المبدعين فيها إلى طبقات و مذاهب مثل، الاعتناء بالمطالع، و طرق

277 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 211.

278 ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر: 43.

279 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 211

280 أنظر في هذا البحث في الارتجال و التروي:

التصرف في المعاني الأوائل و الثواني، و سنتوقف عند هذه المواضع عند حديثنا عن النص لمناسبة ذلك له.

إن مصطلح الطبقات عند " حازم " غير مقترن بزمان أو مكان معين و تصنيف الشعراء حسبه لا يخضع إلا لما يميز بينهم بموضوعية تامة، فهم يختلفون في مقدرتهم الشعرية و لذلك فهم مصنّفون إلى مراتب و طبقات، كما يتفاوتون في قوة خيالاتهم و لذلك فهم أنواع أو بالأحرى نوعان، و لأن " القرطاجني " حاول التزام الموضوعية التامة كان من تبعات ذلك التعسف الكبير في تقسيم الشعراء إلى أصحاب بديهة و أصحاب ترو و تعديل ، و ذلك شطط كبير، فالبديهة ليست عنصرا كيميائيا يمكن حصره و إخضاعه للتجربة و كذلك التروي، و مع أننا لا ننكر تفاوت الشعراء في بعض القضايا الذاتية أو الموضوعية إلا أن ذلك لا يعني مطلقا تصنيفهم إلى منتظمي الخيالات أو معكريها، أو ذوي البديهة أو التروي و ربما كان ذلك السبب الخفي وراء عدم تسمية أي شاعر صمن أي طبقة أو مرتبة لأن ذلك غير ممكن.

9- الارتجال و التروي :

ركز " حازم " جهده لرفع قيمة الشاعر و إخراجهم مما أصاب ذوقه و حسّه من فساد و جمود في الابتكار الفني، وضعف في الحاسة الشعرية،و لأن طرق الكتابة الإبداعية تختلف من شاعر لآخر فإن الناقد قد قسمهم إلى شعراء مرتجلين أو متروين و هو تقسيم لا يمكن استيعابه إلا في ضوء الواقع المعيش .

و " القرطاجني " عندما تحدث عن الارتجال لم يبسط القول فيه كما فعل بالنسبة للتروي ، و هو ما يجعلنا نتساءل عن هذه الروية خاصة إذا علمنا أن الكتابة الإبداعية في أصدق مراحلها لا تقترن بزمن معلوم فقد تكتب القصيدة في لحظات، كما قد يتم ذلك في ساعات أو أكثر .

فهل يحدث **التنفيح** أثناء العملية الإبداعية و فعل التأسيس في أوجه؟ أم أن ذلك لا يخرج عن إطار **مسودة المبدع**؟ .

و هل عملية التغيير المتكررة التي يتضمنها فعل التروي استجابة طبيعية لحضور المتلقي الذي تخط الوثيقة له؟ أم أن فكرة التحسين حاجة فنية في ذات المبدع بالدرجة الأولى؟ هل يمكن للشاعر أن يزاوج بين الارتجال و الروية في إبداعه؟ و هل كل القصائد بحاجة إلى تحسينات يجسدها فعل التروي؟

أدرك " القرطاجني " أن القصيدة الشعرية في عصره بلغت درجة كبيرة من الرداءة و الإسفاف ؛ فالشاعر لم يعد يهتم بشعره لا من حيث الشكل و لا من حيث الجوهر ، و هو ما جعل وصولها للمتلقين وصولا سلبيا ، و إذا كان الشعر بهذه الرداءة و هو يكتب بصفته الطبيعية فلنا أن نتصور شكله إذا أتى ارتجالا، هذا الارتجال الذي لا يتأتى لكل شاعر، لذلك فقد دعا الناقد إلى ضرورة التروي في نظم القصيدة إيماناً منه

بأن ضعفها لا يمكن أن يزول إلا بالروية و بالمقابل فإن >> مأخذ القول في الارتجال قريبة سهلة لكون ضيق الوقت يمنع من بعد المذهب في ذلك <<²⁸¹.

فاعمل الزمن يلعب دورا هاما هنا، و الارتجال كما هو معروف >> هو ما كان انهمارا و تدفقا لا يتوقف فيه قائله <<²⁸² إلا إذا تم عمله الفني و هو ما يحدث بانسياب تلقائي انقطع خاضع لِنَفْسِ الشاعر في القول و جودة طبعه.

أما إذا ولجنا إلى جوهر العملية الإبداعية فإن البديهة تعتمد على مبدأ المفاجأة كما تقتضي >> أن يفكر * الشاعر يسيرا و يكتب سريعا (...) غير بطيء و لا متراخ فإن أطل حتى يفرط، أو قام من مجلسه لم يعد بديها <<²⁸³ و الارتجال يرتبط بقرب المأخذ لأن، الشاعر صب كلامه صبا مباشرا و قد دعا " القرطاجني " شعراء زمانه أن يترووا أكثر في قصائدهم و لا يرتجلوا، لأن الارتجال يتطلب مهارات فنية عالية في التعبير و براعة فائقة في التأقلم مع مجريات القول.

فالمفروض على الشاعر إذ ذاك >> أن ينظم (...) ما ينظم في **أوحى** من خطف البارق و اختطاف السارق، و أسرع من السماح العاشق و نفوذ السهم المارق، حتى يخال ما يعمل محفوظا أو مرئيا ملحوظا من غير حاجة إلى كتابة أو تعلل بتقنيه و تنفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن و القافية، و هم الشهود العدول الذين يجب الرجوع إليهم، و لا يجوز العدول بالشهادة على استطاعته و إن ذلك المنظوم ابن ساعته <<²⁸⁴.

الارتجال إذن مع سرعة البديهة ينتجان قولاً بديعاً مقنعا و مؤثرا في أغلب أحواله، و لأن الشاعر إذ يرتجل يصبو أن يكون قوله صائبا؛ >> مستقصى فيه ما كان من

281 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء :213.
282 ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر، ج 1: 171 .
* " الفكرة هي أعمال الذهن و إجالته للوصول للمعنى " أنظر المعجم الناقد، أحمد مطلوب: 313.
283 ابن منظور، لسان العرب ، مادة بده ، دار صادر ، لبنان ، الطبعة 3 ، 1414 ، 1994 : 475 .
284 على بن ظافر الأزدي بدائع البدانة نح محمد أبو القصل ابراهيم، القاهرة، 1970 : 7 نقلا عن احمد مطلوب، معجم المصطلحات النقدية: 59.

صفات الشيء المقول فيه لا (يقترن) بغرض القول أو غير مستقصى و كلاهما لا يخلو أن يكون مقرونا فيه بين المعاني المتعلقة بالشيء الموصوف و بين معان آخر يكون لها به علة و لها إليه نسبة على سبيل تشبيه أو إحالة أو تعليل أو تتميم أو غير ذلك مما يكون به بعض المعاني يسبب من بعض، أو تكون المعاني المتعلقة بالشيء الموصوف غير مقترن بها شيء من المعاني <<285 .

بمعنى أن المرتجل إذا أراد مثلا أن يصف القمر فإنه قد يستقصى صفات القمر و أحواله دون الإخلال بالمعنى العام و قد لا يستقصى أي لا يرصد ذهنه هذه الصفات. و من جهة أخرى فإن هذا الارتجال قد يكون مقترنا بمعان ترتبط مباشرة بالقمر كالمراحل التي يمر بها على سبيل المثال، كما قد يقترن بمعان أخرى بديلة ترتبط بالموصوف على سبيل <<نسبه أو حاله... إلخ>>²⁸⁶ بالإضاءة، و الكسوف ... إلخ، و قد تكون المعاني التي يسندها المرتجل للقمر غير مقترنة به .

و هي الاحتمالات التي وضعها " القرطاجني " في حال الارتجال >> فأقول البديهة إذن أربعة أنما : - 1 - قول مستقصى مقترن - 2 - و مستقص غير مقترن، - 3 - و مقترن غير مستقص، - 4 - و غير مستقص و لا مقترن <<287 و الاستقصاء يرتبط بالأوصاف كما يرتبط الاقتران بالمعاني.

و يمكننا أن نوجد هذه الأحوال الأربعة في فكرة التناسب بين الغرض أو موضوع الارتجال و محتوى الخطاب من شكل يتجسد في الصياغة و المعاني، و قد رتبنا أحوال الارتجال الأربعة حسب تدرجها في **الرداءة** معتبرا أن <> أفضلها الأول و أدناها الآخر <<288 .

فمحاولة " القرطاجني " محاولة جزئية في شرح و تفسير كيفية الارتجال، لأن الحديث عن ذلك أشبه بتحديد معالم الطوفان أو رسم تقاسيم النار...

285 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 312.

286 المصدر نفسه: 213.

287 المصدر السابق: 213.

288 المصدر نفسه : 213 .

وقد يحدث ذلك حسب الناقد بأن >> يتخيّل المرتجل ما يريد أن يقوله في وصف الشيء ثم يأخذ في نظم الشيء <<²⁸⁹.

إن الخطاب الشعري سواء أكان نتيجة الارتجال أم كان نتيجة ترويه فإنه لا يبدع إلا في إطار القوى لأن الخيال لا يمكن أن ينشط بمعزل عن بقية القوى بصرف النظر إن كانت ناظمة أو حافظة أو مائزة فالقصيدة تنتج في كل حالاتها بتظافر القوى العشر رغم اختلاف الإطار الزمني ؛ لأن الشاعر المرتجل >> يتسامح في كثير مما يتأق فيه المروي/ و يقبل كثيرا مما لا يقبله المهذب المنتج لضيق الوقت و اتساعه على ذلك <<²⁹⁰.

و تجدر الإشارة هنا أن الارتجال أو البديهة يحصلان في المحاورات و المناظرات الشعرية الشفوية، لأن الكتابة حضور و غياب، إثبات و نفي ، حذف و إضافة، اختيارات لا تتاح للمرتجل، بالإضافة لكون أروع القصائد و أبلغ الأشعار التي جاءت فيها البديهة و حسن فيها الارتجال، قيلت شفاهيا لا عن طريق الكتابة و مثل ذلك ما روى عن اجتماع >> الشعراء باب الرشيد فأذن لهم، فقال: من يجيز هذا القسم و له حكمه؟ فقالوا ما هو يا أمير المؤمنين ، قال:

* الْمَلِكُ اللَّهُ وَحْدَهُ *

فقال الجماز: وَ لِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ *

وَ لِلْمَحْبُوبِ إِذَا حَبِيبُهُ بَاتَ عِنْدَهُ

فقال أحسنت و أتيت على ما في نفسي و أمر له بعشرة آلاف درهم <<²⁹¹ و إذ تتسارع عمليات البناء و الهدم الدلالية للتراكيب في السياق يلعب العامل النفسي دورا مهما في دفع هذه العملية أو إرباكها ، و هذا مرهون بمدى تظافر القوى المسؤولة عن

²⁸⁹ المصدر نفسه : 213.

²⁹⁰ المصدر نفسه: 213 .

²⁹¹ ابن رشيق، العمدة، ج 1: 173 .

الابتكار ؛ إذ ينتج الخطاب ارتجالاً اثر اتحاد كل القوى و انسجامها مع التفكير المبدع و كلما أفرزت خلايا نصية جديدة و تكاثرت العبارات الشعرية تنامي التصاعد النفسي الذي يوازي تشكل الوحدات اللغوية و بقدر تناسب ذلك مع سلامة القوى المحركة للفعل الابتكاري كان الارتجال مستقصياً بالوصف المناسب، مقترنا بالمعنى أو المعاني الملائمة للموصوف.

إن صوغ فكرة الارتجال وفق هذا المنظور يضع أمامنا عدّة علامات استفهام عن علاقة الارتجال بالتروى ؛ فهل يمكن أن نعتبرهما حركة تأسيسية للمعنى على نسق واحد؟ و هل الارتجال اختزال لفعل التروى في إطار زمني مقتضب؟ و هل عملية الارتجال هي فعلاً عملية ارتجال خالص أم أن التروى يحدث في ذهن المبدع بينما يتاح للمتروى تجسيد هذا الفعل على الخطاب لأن الزمان و السياق أنسب؟ و الشيء عينه يقال على التروى كمصطلح نقدي و علاقته بالارتجال: ماذا أضاف " القرطاجي " عما ورثه عن أجداده و هل يمكن الارتقاء بهذا الفعل جمالياً ليصبح دعامة ثابتة في أي فعل إبداعي؟

و مصطلح الرويّة مطروق في النقد العربي القديم منذ بداياته الأولى فقد كان الشاعر الجاهلي يهتم بأمر إخراج إبداعه في أبهى حلة مهما كلفه الوقت و قد نقلت لنا كتب النقد أخبار " زهير بن أبي سلمى " الذي توسم كتاباته بأنها >> ثمرة الشيخوخة العاقلة الواعية التي تجعل للعقل و الرزانة و التروى المحل الأول في كل شيء <<²⁹²

و لذلك سمي هذا الشاعر و من تبعه بعبيد الشعر الذين يببالغون في تحبير و تحكيك قصائدهم، مبالغة جعلت " ابن قتيبة " يصفها بالتكلف إذ يقول >> فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، و نقحه بطول التفتيش، و أعاد فيه النظر كزهير

²⁹² حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1986 : 216 .

و الحطيئة و كان الأصمعي يقول : زهير و الحطيئة و أشباههما (من الشعراء) عبيد الشعر لأنهم نقحوه (...) يقول : خيز الشعر الحولي المنقح المحكك >>²⁹³ .

و الروية المؤسسة تستوجب >> التأمل و التفكير في الأمر >>²⁹⁴ كمبدأ أساسي >> و التفكير: رديف التحبير، و هو الأعمال الطويل للذهن بغية التجويد، و يقابله الاقتضاب >>²⁹⁵ .

و عى الناقد هذه الحالة و اعتبرها الخلاص بالنسبة لشعراء زمانه >> ف >> المباحث فيها كثيرة و المذاهب فيها بعيدة >>²⁹⁶ و يسري مفعول الروية في الخطاب الشعري بإدامة النظر و التفكير المركز عكس ما يحدث في حال الارتجال الذي يتطلب كفاءة شعرية قوية مع إمكانية تغيير سير الخطاب في أي لحظة اقتضاها الحال أما إذا تمهل المبدع فإنه سيحقق الغاية عينها التي حققها المرسل و لكن تماشياً مع الظرف المشكلة للحدث الشعري أي مسانيرة السياق .

و إذا كانت البديهة تلقائية فإن >> الروية (...) مرادفة للنظر و التفكير >>²⁹⁷ لتباين الإطارين؛ فالحالة النفسية التي يعيشها المرتجل في تصاعد مستمر بينما في حال التحبير فإن المبدع بفعل ذلك يقدر تمكنه من ضبط أعصابه إذ يكتب براحة نسبية >> لكون الزمان فيها يتسع لطلب الغايات المستطاعة في بناء الكلام >>²⁹⁸ .
و رغم اختلاف الحالتين يتفرد الجامع الجوهرى مجسداً في الفعل الإبداعي و هو ما سنحاول إثباته و الكشف عن كيفية حدوث هذا الفعل إن ارتجالاً أو تروياً.

إن المبدع إذ يرتجل بتنامي الحدث الجمالي نفسه بالدرجة الأولى فتسارع تبعاً لذلك الوظائف العقلية و الفنية و **تنحدر متحررة** و رغم ما يبدو و على المرتجل من سكينه

²⁹³ ابن قتيبة، الشعر و الشعراء: 7 - 8.

²⁹⁴ المعجم الفلسفي: 629.

²⁹⁵ الشاهد البوشويخي مصطلحات نقد و بلاغة في كتاب البيان و التبيين للجاحظ (94) ..

²⁹⁶ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 214.

²⁹⁷ جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج: 1 : 629.

²⁹⁸ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 214.

ظاهريّة فإن ما يحدث في داخله أشبه بحالة طوارئ عامة تُستدعى فيها كل المعارف المحزّنة و الملكات و القدرات للتأقلم مع الوضع الآني بأحسن حال و هو ما يؤدي إلى تداعي الأفكار، << و من شروط هذا التداعي أن يكون غير إرادي >>²⁹⁹.

و ما يرد على الخاطر يُنتقي في سرعة كبيرة و يصب في قوالب جاهزة، و هنا يكون المقتدر من الشعراء من << كان له أدب بارع و خاطر إلى نظم القريض سارع >>³⁰⁰ بينما قد تعد حركة التروي وقتا مستقطعا يلجأ إليه الشاعر من حين لآخر أثناء العملية البنائية محاولة منه لتدريك زلاته و تصويبها بانتقاء << أصناف محاسن الألفاظ و المعاني و إبداع النظم و التأنيق في أحكام الأسلوب >>³⁰¹ و هو ما لا يجعل هذا التحسين فاصلا زمنيا بين مراحل الإبداع و إنما يمنحه مكانة أرقى إذ يصبح جزءا في الفعل الإبداعي، فالكتابة الحقة فعل بتحسين مستمر للمكون المؤلف بغية اكتسابه قيمة جمالية تجعله قابلا للتأثير في المستمع.

و هنا يعمل الشاعر و الناقد جنبا إلى جنب تحت مظلة تأسيس الجمال فالروح المبتكرة تفرز الخلايا و ترصها، بينما يعمل الحس النقدي على تعديلها و هيكلتها بحيث يصبح قبل الصياغة النهائية فضاء تتكاثر فيه الاحتمالات و هو ما يجعل الخطاب ديناميكيًا و ثريا و مثلما تتحدد القوى العشر في الارتجال في وضع خاص فإن الأمر سيان إذا أراد الشاعر ترويا و لا نقصد بالإرادة هنا امتلاك الحرية بل ما يقتضيه و يريده السياق النصّي.

و القوى المسؤولة عن الصناعة الشعرية تؤدي وظيفتها قياسا مع خيرات المبدع؛ فالشاعر قد ينتقي بالاستعانة بالقوة المائزة بين صورتين مثلا فيقدم واحدة و يؤخر الأخرى وفق ما يمليه عليه أفقه المعرفي و الجمالي معا << و هنا تكمن أهمية معرفة الشاعر بعلمي العروض و القوافي أم ما يتعلق بالألفاظ و المعاني، أم بأسلوب القصيدة و

²⁹⁹ جميل صليبا، المرجع السابق، ج : 1 : 263.

³⁰⁰ المقرئ نوح الطيب ج : 217.

³⁰¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 214.

لغتها و تناسق أجزائها >>³⁰² فتأكيد نفاذنا القدماء على أهمية تزويد الشاعر بخبرات و معارف مختلفة و التي سماها " القرطاجي " بالأدوات نابع من الوعي بمتطلبات الصنعة الشعرية و أنها لا يمكن أن تنشأ من فراغ ثقافي أو معرفي .

و قد اخضع الناقد الروية لمقاييس الاستقصاء و الاقتران كما فعل مع الارتجال، و جعلها ثلاثة أنواع >> المستقصي المقترن و المقترن غير المستقصي و المستقصي غير المقترن >>³⁰³ .

فعلى الشاعر المحنك أن يتق خطابه بأن يستقصي كل صنوف التحسينات اللغوية و الفنية مراعيًا في ذلك أن تقترن اهتدائه في التروي بالسياق العام للنص. الاقتران في العرف " القرطاجي " يرتبط بالتناسب سواء أكان في الارتجال أم في التعبير و هو مبدأ يقوم على أساسه كل آراء " حازم " النقدية.

و الشاعر إذا استقصى أنواع الروية بما يتناسب و معنى النص فإنه >> العريق في طريق الروية >>³⁰⁴ مما يجنبه الوقوع في الاختيارات غير الملائمة أي غير المستقصية ولا المقترنة غير أن " حازم " يكسب الروية معاني أخرى ، و بالأحرى يمنحها مجالاً زمنياً كبيراً بحيث تتغلغل في لحظات الكتابة ، و لا يمكن الحزم بتفرد حازم في هذا المجال ، لأن الكتب النقدية حين نقلت لنا خبر " زهير بن أبي سلمى " عن كيفية تنقيحه لقصائده لم تنقل لنا تفاصيل عملية التحكيك و هو ما يطرح عنده أسئلة : هل كان الشاعر يتق قصيدته بعد الفراغ من كتابتها ، و هو ما فهم ضمناً من ذلك النقل أم أن تحبيره كان موازياً لعملية النظم ؟

و وعي حازم لهذه القضية وعي مؤسس ، فهو شاعر و ناقد في آن واحد و التجارب الشعرية هي التي تهديه لضبط المقاييس النقدية و رغم ما بين الشعر و النقد

³⁰² يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الندلس، ط 2 ، 1403 هـ ، 1973 م ، بيروت: 105.

³⁰³ حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء و سراج الأدياء : 214.

³⁰⁴ المصدر نفسه : 214.

من بون ظاهري باعتبار أن الروح الشعرية تأتي الأسر في القوالب النقدية الصريحة، إلا أن كلا المجالين يؤديان عرضاً جمالياً بحثاً في أرقى معانيه الغائبة. 000
و إذا كانت الروية في مفهومها الشامل >>تقوم علي التأمل و التفكير في الأمر قبل
العزيمة عليه <<305. فان " القرطاجي " يدعو أن يكون المبدع أكثر انتباها و فطنة، و
تبعاً لهذا جعل مواطن الروية في الفعل الإبداعي أربعة :

>>1- مواطن قبل الشروع في النظم ، 2- و مواطن في حال الشروع ، 3- و
مواطن عند الفراغ ، يبحث فيه عما هو راجع إلى النظم ، 4- و مواطن بعد ذلك متراخ
عن زمان القول يبحث فيه عن معان خارجة عما وقع في النظم لتكمل به المعاني
الواقعة في النظم و تستوفي بها أركان الأغراض و يكمل التمام المقاصد <<306 .

و تكرار مواطن التروي لا يعني بالضرورة تشابه العملية لأن النص تنتشعب
علاقاته ، و تتشابه وظائفه اللغوية ، و تتعالق بنياته العميقة مع السطحية ، و كذلك قيمه
الفنية و الجمالية ، هي في مسيس الحاجة إلى التناسب بين كل العناصر التي يحتويها
النص .

كما أن هذا علامة على أن صفة النقد لا تبرح شخصية الشاعر فهي جزء من
طبعه ، و لأجل ذلك جعل حازم القوة المائزة أساساً في طبعه و هو ما يشكل ثنائية **خفية**
في السياق النصي بين الحضور و الغياب .

و جدير بالإشارة -في هذا المقام - أن الشاعر إذ يلبس مسوح الناقد يستحضر مباشرة
صورة متلقيه الذي من أجله يُنْفَع الخطاب و يحسّن تماشياً و أفق النص المعرفي و هو
ما ركز عليه الناقد في إطار حديثه عن التناسب بين الجمهور و المعاني
المطروحة في الخطاب من خلال المدارك المألوفة و بين إثبات سلطة الذات أو إثبات
سلطة الآخر تتجلي سلطة النص ملغية كل شيء .

305 جميل صليبا المعجم الفلسفي ج 1 : 629.

306 حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 214.

و الواقع أن سلطة التثقيف تستدعي عدة عمليات فكرية و فنية، فالشاعر في خضم انغماسه في السياق النصي تتنامى مكونات خطابه، يصل إلي زاوية من زوايا النص الكثيرة يحتاج معها إلي التفكير و هو >> الفعل الذي يشمل التصور و التفكير و التخيل و الحكم و التأمل <<³⁰⁷ و حضور هذه الوظائف يرتبط مباشرة بالقوة العشر، و هو ما دعم به " القرطاجني " قوله عندما اعتبره أن كل حالة **للتروي** مرتبطة بأحدى القوى .

فأما >> الموطن الأول فالغناء [فيه] لقوة التخيل <<³⁰⁸ إذ لا يمكن أن نغفل دور الخيال في التصورات التي يمارسها علي مادته الأولية و المتمثلة في سمعه و قرأه و تخيله من رؤى و أفكار و هو ما يؤكد أن >> فكرة تواصل الخيارات و نموها، فكل ابتكار قد يصل إليه الفنان يعتبر تحضيرا لابتكار آخر أرقى منه <<³⁰⁹ ، رقي يستمد عناصر مما يضيفه المبدع من لمسات فنية خاصة .

>> و الموطن الثاني الغناء فيه للقوة الناظمة ، و يعينها حفظ اللغة و حسن التصرف <<³¹⁰ .

الأمر الذي يجعل المبدع يعي عمله و عيا فنيا و جماليا بالدرجة الأولى فيؤسس بناءه أفقيا و يبني معانيه عموديا كما يجري ضمن فعل الروية جملة من التعديلات و التحسينات علي المستويين الأفقي و العمودي . >> و الموطن الثالث الغناء فيه للقوة الملاحظة كل نحو من الأنحاء الذي يمكن أن يغير الكلام فيها، و يعينها حفظ اللغة و جودة التصرف و البصيرة بطرق اعتبار بعض الألفاظ و المعاني من بعض <<³¹¹ .

و نلاحظ هنا كيف أن " حازما " بناء علي تجربته الشعرية يعقد **توليفه** ذكية؛ فلحظة الكتابة عنده تجعل الشاعر منتبها لتنامي خطابه من جهة و مستحضرا كفاءاته كلغوي بصر كما ينبّه قوته الحافظة من جهة أخرى مما يجعل العملية متكاملة فإذا

307 جميل صليبي، المعجم الفلسفي ج:1: 214.

308 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 214.

309 د/ محمد البسيوني العملية الابتكارية دار المعارف بمصر 1964: 63.

310 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 214.

311 المصدر نفسه: 214.

اجتمعت الروية مع حسن التصرف فمعني ذلك >> أن يبرز المتكلم المعني الواحد في عدة صور اقتدارا منه علي نظم الكلام و تركيبه و علي صياغة قوالب المعاني و الأغراض فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة و طورا يبرزه في صورة الإرداف، و أونه يخرج مخرج الإيجاز ، و حيناً يأتي به ألفاظ الحقيقة >>³¹² بمعنى أن رؤية الشاعر تطرح أمامه عدة اختيارات بوظيفية ينتقي منها و هنا تعمل القوة المائزة عملها في هداية المبدع فيتحول الجهد الفكري إلى >> قوة نفسية بها يستنبط المعاني >>³¹³ و تفاضل بينها بالاعتماد علي الذوق الفني ، و يتحرك الحس النقدي في الشاعر بوضوح بعد انجاز القصيدة وهو **الموطن** الرابع ، و العمل سيقوم به >> [لـ] قوة المستقصية الملتفتة ، و يعينها حفظ المعاني و التواريخ و ضروب المعارف >>³¹⁴.

فالمبدع لحظة تجتاحه الأفكار و المعاني لا يهتم إلا بأمر بثها بغض النظر عن موافقتها للواقع و بعيدا عن تقصي الحقائق المعرفية لذلك فانه يعمد بعد فراغه من هذا البوح إلى مراجعة ما كتبه ؛ فالاعتماد على الاستقصاء يجعل المبدع يتعقب عمله بالنقد الذاتي لان ذلك قد يوحي بإمكانية إيجاد احتمالات كتابية أخرى فمن عادات بعض الشعراء أن يتبعوا كتاباتهم بغية توليد دلالات متعددة؛ إذ >> يتناول الشاعر معني فيستقصيه إلي أن لا يترك فيه >>³¹⁵ و بما أن الكتابة احتمالات فان التغيير أمر وارد جدا ، و مسودة الشاعر أو بالأحرى مسوداته ستتعدد إذ يتحول المبدع لمتلق أول بعيدا عن انتمائه للنص القبلي .

و " القرطاجني " جعل إلي جانب هذه الحالة وضعا آخر يتلقى فيه المبدع النص فقد استعمل لفظه (قد) في قوله >> و بعد استقصاء وجوه المباحث في هذه المواطن الأربعة و كمال انتظام القصيدة المر واه قد يعرضها الناظم / على نفسه فيظهر له

³¹² ابن أبي الأصعب المصري بديع القرآن تحقيق د/ حنفي محمد سرف القاهرة 1377 هـ-1957: 289 نقلا عن أحمد مطلوب معجم مصطلحات النقد: 160.

³¹³ جميل صليبي، المعجم الفلسفي ج: 345.

³¹⁴ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 114.

³¹⁵ ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير نقلا عن أحمد المطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي: 73 .

بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه من إحقاقات و إبدالات و تغيرات و حذف <<

316

و موضوع مسودات الشعراء مطروف في النقد الحديث كثيرا³¹⁷ و رغم كون الخطاب مفتوحا للتعديلات إلا أن الشاعر لا يتجاوب مع كل المواطن ف>> قد يعرض للشاعر موضع يري أنه خليق بالتغيير أو الزيادة **فيتعذر** عليه ما يليق بالموضع من التغيير أو الزيادة فيرجى النظر فيه إلي وقت آخر <<³¹⁸. و العجز هنا لا يرتبط بالأداة بل بالسياق ، لأن الذات المبدعة لا تهتم باللواحق قدر اهتمامها بالجوهر بالإضافة إلي تزامم الأفكار على الذهن فيضطر المبدع إلي تأجيل بعض الأفكار المقترنة بالتحسينات رغم كون فكرة التأجيل قوة مدمرة للأفكار إذ تجتثها من مكانها كما تجهض المعاني قبل استوائها في منابرها و هو أمر غير محبذ في الكتابة الإبداعية . فالأفكار المؤجلة تتمتع بعد فوات وقت تجسيدها و قد يحاول الشاعر استرجاعها >> فلا يتيسر له ما يريد إلا بعد معاودات كثيرة <<³¹⁹ و في أغلب الحالات يكون تأجيل الفكرة مهما كانت عظيمة ، و متناهية في البساطة إلغاء لها بصفة مطلقة .

و الروية في الشعر تستلزم >> استجداد العبارات (... و التأنق فيها <<³²⁰ بما يناسب المتلقي >> فالمونق من اللفظ : هو في الغالب الذي يميز لخصائص جمالية معينة ، تستهوي الأذن ، و تطرب النفس <<³²¹ و يختلف الشعراء في هذا حسب جودة طباعهم ف >> منهم من لا يستجد و لا يتأنق ، و منهم يستجد العبارة دون المعني أو المعني دون العبارة و من يتأنق في العبارة دون المعني أو المعني دون العبارة <<³²²

316 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدياء : 215.

317 انظر د/مصطفى سوييف الأسس النفسية للإبداع الفني: 251.

318 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 215.

319 المصدر نفسه : 215.

320 المصدر نفسه : 215.

321 البيان و التبيين

322 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 215 .

معنى الاستجداد في العبارة ابتكار صورة جديدة لها أو إخراج لصورة قديمة في عبارة مستحدثة و مع التأنق في المعني، تتحقق المصادقية الفنية للنص. و الطبع الجديد يعين صاحبه على إبداع عبارات جديدة أكثر إحياء و تأثيرا فلا يجب علي الشاعر الحقيقي أن << يوطئ من قبله في مجموع عبارة أو جملة معني >>³²³ لأن ذلك من باب السرقة الفنية .

و العبارة الشعرية المؤثرة يراعي فيها مبدأ التأنق << واختيارها أيضا من جهة ما يحسن منها بالنظر إلي الاستعمال و تجنب ما يقبح بالنظر إلي ذلك و اختيارها بحسب ما يحسن إليها باعتبار طريق من الطرق العرفية و تجنب ما يقبح باعتبار ذلك >>³²⁴ .
إن دراسة الارتجال و الروية كمصطلحين مستقلين يجعلنا نصدر أحكاما تعسفية تهضم حق الناقد ،ونقصد هنا بالانفصال عن العملية الإبداعية أولا و عن الوضع المعيش ثانيا ، فالرواية و الارتجال لا يمكن فهمهما جيدا إلا في ضوء العملية الإبداعية، كما أن الارتجال له مفهوم توضحه الشواهد الكثيرة التي رصدتها كتب النقد و الأخبار.

أما الروية و تكشفها من خلال أطوار الحدث الإبداعي فذلك ما سعي " القرطاجني " أن يبينه لنا ، فالمعروف أن الشاعر ينقح قصيدته بعد الفراغ منها، و تأكيد ذلك حاصل لكون الشاعر يمارس فعلا هذه الحركة بنوع من الوعي الفني و هو ما جعل النقاد ينقلون هذا الإحساس ،في صيغة أوامر كالتالي << فإذا عملت القصيدة فهذبها و نقحها، **بالقاء ما غث** من أبياتها،ورث و رذل، و الاقتصار علي ما حسن و فخم (...) حتى تستوي أجزاءها ، و تتضارع **هواديبها** >>³²⁵ .

323 المصدر نفسه: 215 .

324 المصدر نفسه: 222 .

325 أبو هلال العسكري، الصناعتين: 139 .

وقد استمرت هذه النظرة إلي أن تأصلت في نظرية الأدب الحديثة³²⁶ حيث اعتبرت عملية التهذيب تالية لزمان إنتاج الخطاب إذ >> تتم عملية التهذيب على أساس استبعاد العلاقات غير الأساسية ، و تأكيد الأساسية منها <<³²⁷ إلا أن ما يحدث فعلا أن المبدع إذ يثبت و ينفي الدلالات و المعاني حضورا أو غيابا فيحذف مالا يستصيغه ذوقه ، يتغلغل فعل التحسين في جوهر الكتابة مما يكسب الروية سمة الإبداع.

بينما في المرحلة النهائية يحدد الإطار العام للقصيدة بجملة من التحسينات العامة إذ >> تتم عملية قراءة القصيدة التي تكون كتابتها قد تمت في المرحلة السابقة .قراءة نقدية ، بقصد تلمس ما فيها من خلل، و إصلاح ما فيها من علل <<³²⁸ و هنا نتساءل : أليست الغاية المنشودة من الإبداع هي إصلاح الخلل الواقع في الحيات التي تقدمها لنا الطبيعة بخلق أنواع من الحالات الوسطي التي تسد فيها ثغرات الواقع؟ و فعل التعديل الذي يكشف في هذه المرحلة من إنشاء النص أصل في ذات المبدع بالدرجة الأولى و متجسدا في إبداعاته بعد ذلك.

و قولنا بأن الشعراء يعتبرون الروية مرحلة تالية للنظم لا يعني عدم إحساسهم بقبليية هذه التعديلات و إدراكهم لها ، فمنهم من يصرح أن عملية تهذيبية لنصه >> تتم في دورين ، الأول قبل الكتابة ، و هي المراجعة الحقيقية (...) و الثاني بعد الكتابة ، و مراجعة النص هنا مراجعة بسيطة ، إذ تستبدل كلمة بكلمة أو صياغة جزئية بصياغة جزئية <<³²⁹ و هو ما كان قد وعاه " القرطاجني " بحدسه السويو خبرته النقدية إلا أن كونه ناقدا متأثرا بالتقسيمات المنطقية جعله يؤطر هذه الروية و يخضعها لنسق زمني معين متجل يتحكم فيه العقل في إثبات الاختيارات أو إلغائها .

أما الوضع الآخر الذي لا يمكن إغفال تأثيره فهو تدني المستوي الثقافي العام و انخفاض الحاسة الأدبية و الذوق الفني .

2 انظر مصطفى سويف الاسس النفسية في الإبداع الفني : 190 .

³²⁷ محمود البسيوني العملية الابتكارية : 73 .

³²⁸ عبد الله العشي نظرية الشعر في كتابة الشعراء المعاصرين : ٩٠

³²⁹ المرجع السابق : 99 .

و هو ما جعل الرويّة خلاصا لمشكلة الرداءة الفنية ، لأن البديهة قد تخون صاحبها، كما أن تلقائية القول قد تخلف موعدها كذلك إذا لم يكن المبدع صاحب فكرة و طبع أصيل و قدرة عالية في استثمار خيالاته و تنظيمها بأحسن صفة .

مع أن في محاولة البت في هذه القضايا و مثيلاتها شططا كبيرا ، فالارتجال و الروية أمران نسبيان في الحدث الإبداعي ، كما أن الاهتمام المبالغ بتحكيك القصائد و **تحبيرها** يجعل الشاعر يهتم بالشكل أكثر من اهتمامه بالمضمون ، و أكثر من هذا كله أن زمن الفعل الإبداعي لا يمكن مطلقا امتلاكه بغية التصرف فيه ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى فان الفنان قد يبدأ مرتجلا فينتهي به الخطاب مترويا ، أو يبدأ مترويا فتتداعي الأفكار عليه فيضطر إلي الإسراع في إثباتها قبل فوات الأوان بمعنى أن القصيدة قد يكتبها الشاعر في ساعتين ، و قد يكتب نفسها في لحظات .. لأن الفصل بين الارتجال و الروية فصل وهمي لا غير .

و أما أمر ارتباط التثقيف و التحبير بالتكلف - كما رأي " ابن قتيبة " فذلك أمر نسبي أيضا ، فأغلب الارتجالات الشعرية المعروفة يحاول أصحابها تنسيق أقوالهم فيها ولو تكلفا بغية نيل الحظوة - كما استشهدنا في حديثنا عن الارتجال ، و قد يحدث أن يكتب الشاعر قصيدته و يحبرها و ينمقها بما يوحي أنه تكلف إخراجها و الحقيقة غير ذلك لأن الكتابة اكتسبت - في مثل هذه الحالة - رصانة التفكير و الإطلاع الموسع بالإضافة إلى إتقاد الخيال و توهج العاطفة .

كما أن نسبة الإصابة في القول نسبية فلا يقترن عدم الإصابة بالارتجال في كل الأحوال ، و سنلاحظ فيما بعد كيف أن هذه النسبية ستتغلغل حتى في الشعر المحبّر³³⁰ . و قد أرجع بعض النقاد تروي الشعراء المبالغ فيه إلى >> الإحساس بخطر مسؤوليتهم لذلك يصبرون علي الشعر حتى يخرج حاملا رؤاهم و مواقفهم في أكمل حال <<³³¹ .

³³⁰ أنظر تدافع المعاني في الفصل الثاني.

³³¹ د/ عبد القادر الرباعي في تشكل الخطاب النقدي ، مقاربات منهجية معاصرة الاهلية ط 1 لبنان : 59.

و استحضار الملتقي يجعل المبدع يمارس فعل التجاوز و هو يفكر و لذلك كانت الكتابة مجموعة من الاحتمالات و لأجل ذلك كان وضع " حازم " المتكرر لـ (قد) فهو يعي تماما أن الخطاب الشعري إذا اقترن بمبدعه لا يكون إلا احتمالا ..

نظر " حازم القرطاجني " إلى حالة شعراء زمانه ، فوجدهم يعانون التهميش، الذي انعكس علي تفكيرهم و علي نصوصهم فيما بعد . فبحث عن أسباب ذلك و رسم معالم المبدع النموذجي الذي يحب أن يرقى إليه هؤلاء الشعراء فوجد بأن الذات المبدعة لا بد أن تكون مميزة في تفكيرها و نمط حياتها فالشاعر شخص مثقف بمختلف العلوم و المعارف التي لا يستغني عنها النص ، كما أن له قوى زوده الله بها قابلة للتطور و الإنماء ، و ذلك بالمران المستمر؛ فمهما بلغ من تنوع في فنون القول ، و جب الاقتداء بمن سبقه من الشعراء الفحول و لأن الشاعر يوجه خطابه لمتلق فلا بد من مراعاته ، و إخراج الخطاب بالصورة التي تجعله يهتز و يتجاوب معه هذه الأنساق المؤثرة، تماشيا و ما يقتضيه السياق الخاص و العام .

و النص عند حازم احتمال مفتوح على الماضي من خلال التراث ليكسب الأصالة ، و متفتح على اللحظة الآنية لأنه وليدها ، و متدرج علي عتبات المستقبل ليعيد القارئ، قراءته و إبداعه من جديد .

لقد استفاد " حازم " كثيرا مما اطلع عليه من تراث ، و ما قرأه في الثقافات الأجنبية في تصوره لصورة المبدع ، إلا أن حسّ النقدي و تجربته الإبداعية جعلته يهتدي إلي مواطن لم يسبقه إليها أحد ولم يأت بأفضل منها من بعده كرؤيته لفكرة الطبقات التي اختلفت كثيرا عما كان سائدا ،

انتبه " حازم " إلي كثير من خبايا العملية الإبداعية باعتباره صاحب تجربة خاصة كحديثه عن **تارات** الشعر و عواديه وكذلك الارتجال و **التروي** و تأكيده على فعل الروية خاصة و دورها في تشكيل الخطاب الشعري إذ ليست وقتا إضافيا يحبر الشاعر فيه القصيدة، و أن القوى العشر هي التي تسيّر هذا الفعل و ليس القوة المميزة أو المائزة فقط .

الفصل الثاني:

الفصل

يحتوي هذا الفصل على:

النص الافتراضي :

أولاً: المعاني الشعرية :

أولاً: 1 - ماهيتها

أولاً: 2 - تشكّلها :

أ - التطلب :

أ - 1 - الاسناد :

أ - البيان: - التفسير

ب - المبالغة

ج - المناسبة: - المقابلة

د - المشاكلة

أ - 2 - الانتساب:

أ - المشابهات المماثلات

ب - التقسيم

د - التفرع

هـ - المتخالفات و الأضداد

ثانياً: الأغراض الشعرية:

1 - كيف يحصل الغرض

2 - مضمون الأغراض و علاقة بأجزاء الخطاب :

أ - الأغراض الشعرية و المعاني الشعرية .

ب - الأغراض الشعرية و طول القصيدة .

ج - الأغراض الشعرية و الأسلوب .

ثالثاً: البناء الفني للنص:

1 - الاستهلاات و المطالع.

2 - نظام الفصول.

3 - الخواتم/ التحجيل.

رابعاً: تدافع المعاني الشعرية.

خامسا: المسافة الجمالية.

سادسا: السرقات الفنية / حوار النصوص.

سابعا: التصرف في المنازع الشعرية.

ثامنا: أنحاء المخاطبات الشعرية .

النص الافتراضي:

يطرح كتاب منهاج البلغاء و سراج الأدباء إشكالية عميقة، ترتبط بالخطاب الشعري بالدرجة الأولى كسفرة لغوية راقية يراد منها إدماج المتلقي في دائرة الفهم ليتواصل من خلال النص مع المبدع . هذا النص الذي لا بد أن يستجيب مضمونه المعنوي و الشكلي لمقاييس فنية خاصة تتحدد من خلالها المفاهيم العامة للكتابة الشعرية، و لأن ذائقة المتلقين قد أصابها فتور جمالي، كان إحساس الناقد بالمسؤولية كبيرا، و مدخلنا لدراسة النص عند " حازم " هو الشعرية.

و لأن " القرطاجني " يهدف إلى تأسيس مشروع كامل لنص شعري متكامل يمتلك مواطن بقاءه في دقة تشكيله، و لما كان الواقع الأدبي منغمسا في الرداءة و الضحالة غدا هذا النص افتراضيا، فبدأ البحث عن أساليب تحقيق هذه القصيدة الحلم فإلى أي مدى تتقاطع هذه القصيدة مع النموذج القديم؟ و ما مدى قابلية المعطى الافتراضي لتجاوز الموجود؟ هل يمكن فعلا أن يكون النص الافتراضي هو المسودة التي لم يتمكن الشعراء من تحقيقها، و لا النقد من احكام السيطرة عليها؟

و قد بدأ " القرطاجني " مقارنة الشعرية بمعارضة الواقع الشعري³³²، فإذا لم تكن هذه الشعرية كما اعتقدها المتلقون في عصر " حازم "، فما هو التصور الحقيقي لها، و ما هي نسختها الأصلية؟ و بمعنى آخر، ما هي الشعرية التي يريد " حازم " بثها في نصّه.

- هل يمكن أن تؤسس القصيدة على قانون خاص و ما علاقة ذلك بالمنهاج؟ و إذا سلمنا بوجود قانون تتأسس المعاني وفقه، فأى قانون هذا الذي سنتنامى المعاني الشعرية في إطاره و خاصة و أن " حازما " يتحدث كثيرا عن تكاثر للمعاني و تضاعفها.

- ماذا عن المعنى هل بقي مطلقا مقترنا بدلالة القصيدة أم إنه اتخذ سبيلا آخر مع فكرة التضاعف؟

³³² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 28 .

- ما علاقة هذا كله بالتناسب؟ ذلك بعض ما سنحاول الوقوف عنده بغية فهم نظرية " حازم القرطاجي " في كيفية تكون المعنى في القصيدة .
سنحاول الإجابة عن بعض هذه الأسئلة عن طريق معرفة مكونات القصيدة الافتراضية و مدى تعالقتها مع النص الجامع³³³ الذي تدعوا إليه الدراسات المعاصرة، و أول ما سنبحث فيه هو تشكل المعنى في هذا النص الافتراضي

1 - تشكّل المعانى فى النص:

³³³ أنظر مفهوم النص الجامع ، مدخل لجامع النص ، جيرار جينات ترجمة عبد الرحمان أيوب ، ، دار توبقال للنشر ، المغرب، الطبعة 2 ، 1996 .

أخذت المعاني مساحة موسعة من مؤلف " حازم القرطاجني " بعض النظر عما فقد منه، و هي عناية مقصودة؛ ف >> من البديهي ان يحتل المعنى في كتابه موضعا مهما وجزءا كبيرا، لأن مدار النظرية النقدية عنده يعتمد أساسا على المعاني و تحليلها و أقسامها و صحتها و كمالها و وضوحها و غموضها <<³³⁴؛ فالمعاني باعتبارها مادة الخطاب و تبعا لهذه القيمة راح يصنف و يبحث عن أجود الطرق لاكتشاف المعاني و التصرف فيها، و مثلما اعتنى الناقد بهذا المعنى كانت حظوته بالدراسة عند النقاد كبيرة³³⁵، و بناء على هذا فإن تناولنا للمعنى - في هذا المقام - سيكون مركزا على صفة تشكّله و علاقة ذلك بعناصر الخطاب و بالصيغة النهائية له، فقد يفتح ذلك لنا بوابات جديدة لفهم النص، خاصة و أن النقد فيما سبق قد حفل بالمعنى في مقابل اللفظ، فهل ما زال تأثير ذلك مستمرا مع " حازم " أم أن السياق قد ألقى بتبعاته فتلاشى التأثير؟

أولا : 1 - ماهيتها:

³³⁴ علي زويني، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق ، الطبعة الأولى، 1986 : 145 .
³³⁵ أنظر على سبيل المثال فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني

إن المعاني حسب " القرطاجي " متوفرة بوصفها معطى أوليا من خلال صورتين،
أولاهما و جودها في الطبيعة بالدرجة الأولى و من ثم في الذهن قبل اكتسابها صفة الشعرية
>> فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما
أدرك منه <<³³⁶ و حتى المعاني التي تتحول إلى أخرى شعرية تبقى مجرد رصيد معرفي
و فني إذا لم يحتوها السياق النصي.

أما إذا دخلت المجال النصي فهي تنقسم إلى معان أوائل و معان ثوان :

أولا المعاني الأول: و تكتسب صفة الأولوية قياسا لعلاقتها بغرض النص و هي >> ما
يكون مقصودا في نفسه بحسب غرض الشعر و معتمدا إيراده (...) (فهي) المعاني التي
تكون من متن الكلام <<³³⁷ بمعنى أن هذه المعاني الأول هي الخطاب في بنيته اللغوية
العميقة دون صورة تحسينية كالتشبيه و المحاكاة... الخ .

ثانيا المعاني الثواني: و هي من قبيل >> ما ليس بمعتمد إيراده و لكن يورد على أن
يحاكي به ما اعتمد من ذلك أو يحاول به عليه أو غير ذلك <<³³⁸ فإذا كانت أوائل المعاني
من صميم الغرض الشعري، فإن الثواني هي التي تكمل إنتاج هذا الغرض في شكل مقبول
نصيا و قرائيا؛ إذ لا يستغني النسيج النصي عنها فهي تابعة للمعاني الأول، بكونها >> أمثله
(...) و استدلالات عليها أو غير ذلك [و] لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني
الأول بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيئات التي تتلاقى عليها المعاني <<³³⁹

و لقد رأى " الولي محمد " بأن " حازمًا " يقصد بالمعاني الثواني الصورة الشعرية
³⁴⁰ ، و ذلك واضح التجلي في حديث " القرطاجي " الذي يقرن بين المعاني الثواني و اللغة

³³⁶ حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 18 .

³³⁷ المصدر نفسه: 23 .

³³⁸ المصدر نفسه: 23 .

³³⁹ المصدر نفسه: 23 .

³⁴⁰ انظر الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1990،
بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب: 144 .

الشعرية التي تكتسب جماليتها من كل المحسنات اللفظية و المعنوية أو الصورة الشعرية، و لذلك ف >> حق الثواني أن تكون أشهر في معناها عن الأول لتستوضح معاني الأول بمعانيها الممثلة بها، أو تكون مساوية لها لتفيد تأكيداً للمعنى <<³⁴¹ و حديث " حازم " عن تفاوت أهمية المعاني الأول و الثواني يضع أمامنا تناقضاً في رأيه يتأسس على ما يلي:

إذا فرضنا أن المعاني الثواني هي الصورة الشعرية الممثلة في المحاكاة و التخيل³⁴² ، و اللغة الشعرية لا يمكنها مطلقاً التخلص و لا الاستغناء عن الشكل الجميل للخطاب، فكيف ينسجم هذا مع قوله أن >>الثواني هي التي لا يقتضي مقصد الكلام و أسلوب الشعر بنية الكلام عليها <<³⁴³ خاصة و أن " حازم " يرى بأن المعتبر في جودة الشعر هو درجة تخيله و أن >>أفضل الشعر ما حسنت محاكاته و هيأته <<³⁴⁴.

و نلتمس – لهذا - منفذاً من خلال النص ذاته، حيث تحدث " حازم " عن بنية الكلام و علاقة الثواني به، إذ لا يمكن أن يؤسس القول على التخيل كلجنة أولى فلا بد من نواة جوهرية هي المعنى الأول تجذب إليها ما يناسبها من التشبيهات و كل ضروب التحسينات فإن المقصد يرتبط بالمعنى الأول الذي يقدمه الغرض الشعري دون تجاوز و هو ما قصده الناقد عندما تحدث عن البنية، مما يكسبها صفة الثابت عكس الصورة البديعية التي تمنحها المعاني الثواني والتي ترتبط بفعل التحسين المجسد للتجاوز.

أولاً: 1- 2 - المعاني من حيث الاتحاد و التعدد:

هذا عن ماهية المعاني الشعرية، إما إذا ولجنا إلى البنى الداخلية للخطاب فإننا نجد المعنى يتشكل بأسلوب محكم و حيوي معا و يستهل " حازم " حديثه في تشكل المعنى،

³⁴¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 23 – 24 .

³⁴² المصدر نفسه: 24 .

³⁴³ المصدر نفسه: 24 .

³⁴⁴ المصدر نفسه: 71 .

بالتطرق لـ << >> << كيفيات تركيب المعاني و تضاعفها >>³⁴⁵ و أن الجملة الشعرية هي في الأصل تجربة فإنه يتحدث عن المعاني المفردة و المضاعفة و عن حالات وجودها في الخطاب ف << >> قد تكون مفردة الأجزاء و متضاعفتها و قد يكون بعض أجزائها مفردا و بعضها مضاعفا >>³⁴⁶ و هذا التعدد و التضاعف معتمد على شروط ثلاثة : 1 << بحسب تعدد الأفعال الواقعة في المواطن التي يعبر فيها أو اتحادها >>³⁴⁷

2 << بحسب تعدد ما تستند إليه تلك الأفعال أو اتحاد >>³⁴⁸

3 << بحسب تعدد ما تتوجه لطلبه من المفعولات (...) أو اتحادها >>³⁴⁹

و ما يفهم من هذه الشروط و المقاييس ، أن المعاني تتركب في القول الشعري، و تتكاثر حسب كون الأفعال متحدة أو متعددة، و كذا حسب ورود الفاعل متحدا أو متعددا، أو حسب منحى المفعول به كذلك أيضا و هو تقسيم نحوي بحت، و قد يكون في هذا تأثر جلي بـ " عبد القاهر الجرجاني " الذي يعرف نظم القول الشعري قائلا: << فليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو >>³⁵⁰.

و " الجرجاني " أيضا قد تحدث عن اتحاد الكلام و الذي << ليس معناه اتحاد ألفاظها، بل اتحاد معانيها (...) فالفكر ينصرف إلى معاني الكلم مجتمعة، لا إلى معانيها أفرادا >>³⁵¹.

أما " القرطاجني " فإنه يفصل في القول و يجعل التعدد و الإتحاد يتمان بحسب الاقتران و الاستناد و التطالب، وبذلك فهو يقدم حالات متعددة للتعدد و الاتحاد التي يكون عليها القول الشعري

1. متحد الفاعل – متحد المفعول، متعدد الفعل³⁵²

³⁴⁵ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 32 .

³⁴⁶ المصدر نفسه: 32 .

³⁴⁷ المصدر نفسه: 32 .

³⁴⁸ المصدر نفسه: 32 .

³⁴⁹ المصدر نفسه: 32 .

³⁵⁰ الجرجاني ، دلائل الإعجاز : 40 .

³⁵¹ عبد النبي اصطياف، نظرية النظم عند الجرجاني، مجلة الأعلام، عدد خاص بالنقد الأدبي، ع: 11، السنة: 15، أب

1980 : 239 .

2. متعدد الفاعل و المفعول، متحد الفعل
3. متحد الفعل و الفاعل، متعدد المفعول
4. متحد الفعل، متعدد الفاعل و المفعول
5. متحد المفعول، متحد الفعل، متعدد الفاعل
6. متحد المفعول، متعدد الفاعل و الفعل
7. متحدد الجميع
8. متعدد الجميع³⁵³

هي حالات كثيرة يفترضها الناقد

و مثلما لم يقترن الاتحاد عند " الجرجاني " بالألفاظ فإنه عند " القرطاجني " لا يمكن أن يتعلق إلا بالمعنى فـ >> قد يشترك الشيطان أيضا و يكون كلاهما متوجها لفعل الآخر <<³⁵⁴ فما يتضاعف في القصيدة هو المعنى بالدرجة الأولى و لذلك فإن تضاعف الألفاظ لا بد أن يكون تابعا للمعنى ، و إذا حدث ذلك >> خففوا بعض ما يقع فيه التكرار بالكناية و الحذف <<³⁵⁵ الكناية مرتبطة بالمعاني لأنها تختزن طاقة كبيرة من المعاني في لفظ قليل، بينما يتعلق الحذف بالألفاظ المتكررة و يتم الحذف ؛ >> فيعدل إذ ذاك عن العبارة التي وقع فيها التكرار [بكونهما] * جملتين يلزم في إحداها ذكر ما في الأخرى، إلى عبارة مفردة تفيد ما تفيد تلك و هي صيغتنا تفاعل و فاعل نحو تضارب و ضارب. فحينئذ لا ينقل تضاعف المعاني التي بهذه الصفة <<³⁵⁶ فكلمتي تضارب و ضارب يجمعها جوهر واحد و هو مصدرهما الاشتقاقي " ضرب " .

³⁵² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 32 .

³⁵³ المصدر نفسه: 33 .

³⁵⁴ المصدر نفسه : 33 .

³⁵⁵ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 33 .

* في نسخة المحقق [بكونها] .

³⁵⁶ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 33 .

أولاً: 2 - تشكلها:

* / تضاعف المعاني:

إن اتحاد المعاني أو حتى تكرارها ³⁵⁷ لا يقدم لنا عبارة شعرية إذا لم يستند ذلك على قرائن فـ >> تتضاعف صور العبارات بما يوقع في معانيها من تحديدات ترجع إلى ما تكون عليه في نفوسها، من كونها عامة أو خاصة، كلية أو جزئية >> ³⁵⁸ و قد يكون لهذا ارتباطاً وثيقاً بالمعاني الأولى والثواني.

كما تتضاعف كذلك >> بحسب الأحكام الواقعة في المعاني بعد تحديدها، من نفي و إثبات و مساواة أو ترجيح أو غير ذلك >> ³⁵⁹.

و هي حالات للتضاعف يحاول الناقد الإحاطة ببعض جوانبها و هو يقرّ في البدء بأن ذلك يؤدي إلى >> وقوع المعاني على هيآت و صور يعزّ حصرها و لا يتأتى استقصاؤها لكثرتها >> ³⁶⁰ و من أهم القرائن التي تتألف بها العبارات الشعرية: الإسناد و الانتساب .
و قد عبر " حازم القرطاجني " عن هذه العملية بمصطلحات تحمل دلالات موحية بما يجري - فعلاً - من عمل دؤوب من أجل تأسيس المعنى و من بين هذه المصطلحات مايلي:

أ - التطالب: و أول ما يلاحظ على هذا المصطلح أنه على وزن " تفاعل " الذي يوحي بحاجة المكونات إلى بعضها، كما أن هذه الصيغة تدل على فعل المشاركة و هو - بالضبط - ما يحدث في لب الخطاب و سيشرح " حازم " الشروط التي تتطالب و فقها المعاني الأولى مع الثواني قائلاً: >> إن المعاني منها ما يتطالب بحسب الإسناد خاصة، و منها ما يتطالب بحسب الإسناد و بحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفسها بكونها أمثالا أو أشباها أو أصدادا أو متقاربات من الأمثال أو الأضداد >> ³⁶¹.

³⁵⁷ أنظر في المعاني المتكررة عند حازم : 36 .

³⁵⁸ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 35 .

³⁵⁹ المصدر نفسه: 35 .

³⁶⁰ المصدر نفسه: 35 .

³⁶¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 44 .

و إدراكا من الناقد بأن ما يحدث في رحم الخطاب من قرائن و علائق لغوية و أخرى جمالية أو دلالية بين المعاني ، لا يمكن الإحاطة بكل تفاصيلها فإنه استعمل " منها " أي ما يفيد الاستشهاد لا الحصر الذي لا يتحقق على الإطلاق.

إن الديناميكية التي يسبغها فعل التطالب تحدث بين المعاني الأول كبنية ثابتة و بين المعاني الثواني بوصفها مكملة ، لتناسبها مع السياق المحتوى للبنية الجوهرية و أول ما يجعل المعاني تتطالب و تتكاثر:

أ- 1 / الإسناد: مصطلح ينبض - بدوره - بالتعاقد³⁶²، و كذا على الضم، و لذلك قيل بأن >> الإسناد الخبري هو ضم كلمه أو ما يجري مجراها (...) إلى أخرى على وجه يفيد أن مفهوم إحداها ثابت لمفهوم الأخرى <<³⁶³ .
و بهذا المعنى فإن أوائل المعاني ستكتسب مستويات أخرى للإيحاء و الدلالة بالإسناد الذي سيكون الرابط بين البنية المركزية و بين المعنى التحسيني الجديد و لذلك >> فالنسب الإسنادية نلاحظ الأفكار فيها أربعة أشياء و هي: البيان و المبالغة و المناسبة و المشاكلة <<³⁶⁴.

أ - البيان : و إذا كان الرابط بين المعاني و هو البيان فذلك لأن النسبة الثابتة غير مكثفة بمعناها، فهي بحاجة لمستوى آخر من الإفهام يزيح اللبس عنها إن كانت غامضة، أو يكشفها دلاليا إن كانت مركزة ؛ ف >>على قدر وضوح الدلالات ، و صواب الإشارة ، و حسن الاختصار ، و دقة المدخل يكون إظهار المعنى <<³⁶⁵ ، و الناقد يضع البيان في مقابل الغموض بغية الإعراب؛ فالافصاح يكون >> بألفاظ سهلة بليغة بعيدة عن اللبس <<³⁶⁶ و بالجمع بين السهولة و البلاغة تتحقق براعة النص، و هذا يقابل مصطلح

³⁶² أنظر الزمخشري، أساس البلاغة: 310 .

³⁶³ بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: 205 .

³⁶⁴ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 44 .

³⁶⁵ بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية : 98.

³⁶⁶ ابن أبو الإصبع المصري **تحرير التحبير** في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن: 489. نقل عن أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 172، 180.

التفسير الذي هو من المصطلحات التي اهتم بها " قدامة بن جعفر " كثيرا ³⁶⁷، أما حازم فقد تطرق للمصطلح في إطار حديثه عن تطالب المعاني و يتعلق الأمر بـ >> إرداف معني فيه إبهام بمعنى مماثل له إلا انه أوضح منه ، و هو النوع الجيد الذي يوازي بيت المتنبي :

ذِكْرِي تَضْيِئُهُ طَلِيْعَةُ عَيْنِهِ ... يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى غَدًا . <<³⁶⁸

>> و ليكون التفسير صحيحا لا بد من تناسب الأجزاء في جملة التفسير؛ إذ يتحرى في التفسير مطابقة المفسر وان يتحرز من ذلك من نقص المفسر عما يحتاج إليه في إيضاح المعني المفسر أو أن يكون في ذلك زيادة لا تليق بالغرض <<³⁶⁹ ومثلما تحدث " قدامة " عن سوء التفسير ، فان حازما يورد ذلك مقتديا " بقدامة " إذ قرن بين سوء التفسير **بعدم التطابق** بين المفسر و المفسر فقد ذكر قول الشاعر :

فَيَا أَيُّهَا الْحَيْرَانُ فِي ظَلَمِ الدُّجَى وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَعِيٌّ مِنَ الْعِدَى
تَعَالَ إِلَيْهِ تَلْقَ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ ضِيَاءً وَمِنْ كَفَيْهِ بَحْرًا مِنَ النَّدَى

فمقابلة ما في عجز البيت الأول بما في عجز الثاني غير صحيحة . و التسامح في إيراد التفسير علي مثل هذا محل بوضع المعاني و مذهب لطلاوة الكلام <<³⁷⁰.

ب – المبالغة: بالإضافة للبيان، فان الإنشاء يؤلف بين المعاني بواسطة المبالغة حيث يتم الارتقاء بالمعني إلى ذروة الوصف ذلك أن المبالغة تقتضي >> أن تبلغ بالمعني أقصى غاياته <<³⁷¹ و هو ما وضحه " حازم " أثناء حديثه عن المدح و المبالغة بالمدوح فرأى أن من المبالغات ما كان >> واجبا أو ممكنا أو ممتنعا أو مستحيلا <<³⁷² و هي ضروب مختلفة تتفاوت فيها الوصف، و نلمس في هذا التدرج تفاوت مصداقيتها نصيا: ف >> الوصف المستحيل **أفحش** ما يمكن أن يقع فيه جاهل أو غالط في هذه الصناعة <<³⁷³ حيث إن المعني يأخذ منحى لا يمكن وقوعه و لا تصوره >> مثل أن يكون الشيء طالعا

³⁶⁷ قدامة بن جعفر : نقد الشعر: 135 ، 137 .

³⁶⁸ المتنبي ؛ الديوان .

³⁶⁹ حازم القرطاجني ؛ المصدر السابق : 58.

³⁷⁰ حازم القرطاجني ؛ المصدر السابق: 59.

³⁷¹ أبو هلال العسكري، الصناعيين : 365 .

³⁷² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 133 .

³⁷³ المصدر نفسه: 133 .

نازلا في حال << 374 و هو ما ذكره " قدامة " سابقا³⁷⁵ ، و سماه د/ أحمد مطلوب المبالغة المتناهية³⁷⁶.

- >> و الممتنع يتصور و إن لم يقع ، كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر << 377 .

- أما الممكن و الواجب فهو ما يفضلُه النقاد جميعا لأنه لا يغالي في وصف الأشياء ، و ذلك كله قياسا إلى جمهور المتلقين >> و بالنظر إلى ما يستساغ و يؤثر (...) ما كان واجبا واقعا، أو ممكنا معتاد الوقوع، أو مقدره و الممكن لا يخلو من أن تتوفر فيه دواعي الإمكان أو أن تقل، و كلما توفرت دواعي الإمكان كان الوصف أوقع في النفس، و أدخل في حيز الصحة و لهذا يقال ممكن قريب أحسن ممكن بعيد << 378 .

و الصنف الأخير من المبالغة في الوصف هو ما كان منه واجبا و هو >> الثابت الوقوع [الذي] لا يخلو من أن يكون متناهيا في الحال التي هو عليها، أو قاصرا فيها، أو وسطا بين المتناهي و القاصر << 379 و درجة المبالغة تتفاوت بين الأقسام الثلاثة و لما كانت المبالغة مقترنة المدح و الذم فإن >> ذلك لا يخلو من أن يكون الوصف به تحسينا للموصوف و مدحا له، أو تقيحا له و ذما و المدح بالقاصر مما يحسن تقصير في المدح. و الذم بالقاصر مما يفتح تقصيره في الذم << 380

و إذا أردنا إجمال المعنى في المبالغة فإننا نقول بأنها ذات مفعولين:

- داخلي يحدث بين الثنايا النصية حيث تتضافر أجزاء الخطاب ممثلة بالمعاني فإذا لاحظنا بيت " أبي تمام " التالي:

مَازَالَ يَهْذِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ³⁸¹

374 المصدر نفسه: 133 .

375 أنظر قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : 204 – 210 .

376 أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي: 33.

377 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 133 .

378 المصدر نفسه: 133 .

379 المصدر نفسه: 133 .

380 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 133 .

381 المصدر نفسه: 133 .

فالمعنى الأول الطموح و قد تم العلو به إلى أعلى درجة منه و هي الهوس بالرفعة فكانت الحاجة ملحة إلى استحضار معنى ثان يبدو فيه هذا الممدوح كالمحموم و هي صورة مبالغ فيها.

و في النثر تظهر سلسلة من المبالغات في قول " أبي هلال العسكري " >> " قربك أحب إلي من الحياة في ظل النسيم و السعة، و من طول البقاء في كنف الخفى و الدعة، و من إقبال الحبيب مع أدبار الرقيب...>>³⁸²

و ترتيب " القرطاجني " لأنواع المبالغة بهذا التدرج مقصود، إذ به >> يتبين ما يصح و يحسن من المبالغة وما يصح منها و لا يحسن >>³⁸³، إلا أن هذا القول يبقي نسبيا فالموهبة **الشعرية** المتقدمة لا تعرف حدود المنطق ، فقد تفنن المبدعون و تنافسوا في البحث عن الصور الغريبة مما لا يخطر علي البال ، و هو ما استحسنته المتلقون³⁸⁴ و أعجبوا به فنلاحظ بيت أبي نواس التالي :

وَ أَحْفَتَ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتُخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقْ³⁸⁵

إن هذه المبالغة ليست لا من أنواع الواجب و لا من الممكن بل هي تتجاوز الممتنع إلى المستحيل لكن صياغتها بهذا الشكل و في سياق المدح أكسبها رونقا كبيرا و جاذبية **نصية** واضحة و كذلك " المتنبي " الذي قال و هو يصف قصرا:

قصرٌ لو أُنْكَ قَدَهُ كَحَلَّتْ بِنُورِهِ أَعْمَى لَعَادَ إِلَى الْمَقَامِ بَصِيرًا

و قد أدرك حازم ما لهذه الأبيات و غيرها من تأثير كبير علي المتلقي و قد استشهد علي هذا ببيتني " المتنبي " التاليين :

وَ أَنَّى اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولَ بِأَرْضِهِ وَمَا سَكَنْتَ مُدْ سِرْتِ فِيهَا الْفَسَاطِلُ
وَ مِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يُسْقَى جِيَادَهُ وَلَمْ تُصَفْ مِنْ مَزْجِ الدَّمَاءِ الْمَنَاهِلِ³⁸⁶*

382 أبو هلال العسكري، الصناعيين : 365 .

383 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 133.

384 انظر علي سبيل المثال "ابن رشيق " : العمدة في **المبالغة** ، الإيغال و الغلو ، ج 2 - 67 - 81 .

385 أبو نواس، الديوان : حياته تاريخه نوادره شعره، المكتبة الثقافية، بيروت ، لبنان : 185 .

386 عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، المجلد 3 ، 4 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى: 1423

هـ - 2001 م : 171 .

* هذا ما ورد في شرح الديوان، أما في كتاب المنهاج فقد ذكر لفظ الماء بدل الدماء

وعلق عليهما قائلاً؛ >> فهذا مستساغ مقبول من حيث يمكن أن تتصور له حقيقة وان لم تكن واقعة ، إذ كانت كثيرة الجيوش لا احد لها . ومتى قدرت الزيادة في مقدار منها وان أكثر أمكنت <<³⁸⁷ .

و قد أخذ "السجلماسي" - صاحب المنزع البديع الأنواع التي ذكرها حازم في المبالغة و صيرها إلي : >> إخراج الممكن بصورة الواجب و إخراج الواجب بصورة الممكن ، إخراج المحال بصورة الممكن و الواجب وإخراجهما معا بصورة المحال <<³⁸⁸ وهي طريق مركبة للمصطلحات التي ذكرها " حازم القرطاجي " .

و حديث حازم عن المبالغة جعلته يتطرق لعلاقة ذلك بالكذب معتبرا >> أن صناعة الشعر لها أن تستعمل الكذب إلا أنها لا تتعدى الممكن من ذلك أو الممتنع إلى المستحيل، و إن كان الممتنع فيها أيضا دون الممكن في حسن الموقع من النفوس <<³⁸⁹ مما يجعل فعل التجاوز نسبيا مادام الفن يعتمد علي مخالفة المؤلف .

ج- المناسبة: و هي مبدأ رئيس تتأسس وفقه العلاقات بين المعاني التي تتطلب تبعاً لمقياس المناسبة و قد رأى " السجلماسي " بأن المناسبة في أجزاء القول على أربعة أنحاء هي >> الشيء و شبيهه (...) أو يأتي بالأضداد (...) أو يأتي بالشيء و ما يستعمل فيه (...) أو يأتي بالأشياء المتناسبة <<³⁹⁰ و هي الأنواع التي تقابل عند " القرطاجي " مصطلح المقابلة.

- المقابلة:

و اهتمام " حازم " بالمقابلة هو من قبيل عنايته بالتأليف الجيد بين المعاني الجيدة السبك، و تماشياً مع تقاسيم المعنى العديدة و تخريجاته، كان حديث الناقد عن هذا المصطلح

³⁸⁷ حازم القرطاجي منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 135 .
³⁸⁸ أنظر السجلماسي ، المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع تقديم و تحقيق غلال الغازي ن مكتبة العارف ، الرباط: ط 1980، 1404، 294، 295 .
³⁸⁹ حازم القرطاجي ، المصدر السابق: 136 .
³⁹⁰ السجلماسي ، المنزع البديع : 403 .

مقتضبا بذكر بعض الشواهد الشعرية³⁹¹ ثم عاد و فصل في مواضع آخر³⁹² و إذا أردنا إجمال بعض ذلك فان المقابلة تحدث >> بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعض و الجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب، علي صفة من الوضع، تلاءمُ بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاعم كلا المعنيين في ذلك صاحبة <<³⁹³ و هو ما ذكره "ابن رشيق" عن المعاني المتقابلة³⁹⁴.

وقد تقع المقابلة في البيت الواحد، كقول القائل:

>> فَيَا عَجَبًا، كَيْفَ اتَّفَقَا فَنَاصِحٌ وَ فَيُّ، وَ مَطْوِيٌّ عَلَى الْغِشِّ غَادِرٌ

فقابل النصح و الوفاء بالغش و الغدر <<³⁹⁵

أما ما يقع بين بيتين :

>> أَسْرُنَاهُمْ وَ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ الثَّرَابَا

فَمَا صَبَرُوا لِضَرْبِ عِنْدَ حَرْبٍ وَ لَمَا أُدُوا الْحُسْنَ يَدِ ثَوَابَا <<³⁹⁶

فقابل ما في صدر البيت الأول لما في العجز الثاني، وما في عجز الأول بما في الصدر

الثاني³⁹⁷. و قد قسم " حازم " أنواع المقابلة إلي أربعة أصناف:

1 - >> جهة الإضافة وهي أن تكون نسبة شيء إلي شيء آخر مخالفة لنسبة ذلك

للشيء مثل الضعف للعشرة بالقياس إلي نصفها و الأب إلي ابنه و المولي إلي عبده

<<³⁹⁸ فيقال: >> زيد بصير القلب أعمى العينين <<³⁹⁹ و من ذلك أيضا يقال: >>

نسبة القلب في البدن نسبة الملك في المدينة <<⁴⁰⁰.

³⁹¹ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 52-55.

³⁹² أنظر مثلا من المصدر السابق: 137-139.

³⁹³ المصدر نفسه: 52.

³⁹⁴ أنظر ابن رشيق العمدة ج2: 23-29.

³⁹⁵ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 53.

³⁹⁶ المصدر نفسه: 53.

³⁹⁷ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 53.

³⁹⁸ المصدر نفسه: 137.

³⁹⁹ المصدر نفسه: 137.

⁴⁰⁰ السلطاسي، المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع: 518-519.

2- << ما قصد فيه التضاد كالأبيض و الأسود >>⁴⁰¹ و هو النوع الذي درج استعماله بين المبدعين ؛ << فأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد >>⁴⁰² لقول الشاعر:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَ أَفْبَحَ الكُفْرَ وَ الْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

و كذلك بيت النابغة الجعدي الذي استشهد به جل النقاد :

<< فَنِّي تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا >>⁴⁰³*

3- << جهة الغنية و العدم كالأعمى و البصير >>⁴⁰⁴ و هذا كقول الشاعر "

بشار بن برد" :

أَعْمَى يَفُودُ بَصِيرًا لَا أَبَا لَكُمْ قَدْ ظَلَّ مَنْ كَانَتْ الْعُمَيَانُ تَهْدِيهِ⁴⁰⁵

و لا يجوز أن تبني المقابلة في هذا النوع علي التناقض، << إذ يصح أن يقال في الفاتر

انه حار عند البارد، و بارد عند الحار، و لا يكون حارا باردا عند أحدهما >>⁴⁰⁶

الأمر الذي يجعل المعاني متضاربة فيما بينها و هو مبدأ التناسب الذي تتطلب حسب المعاني

فيكون نظمها مؤثرا، و كما ورد عند " ابن رشيق " فان مقابلة التضاد **والغنية**

العدم تضمان في داخلها طباقا، فلما طالت الحملة أصبحت مقابلة

4 – **مقابلة السلب و الإيجاب** : إذ يحدث الفعل في طرف و ينتفي في طرف آخر

<< نحو زيد جالس، زيد ليس بجالس >>⁴⁰⁷ و كالأنواع الأخرى فإن الشيء لا يمكن أن

يكتسب صفتي الإيجاب و السلب في آن واحد >> و لا يصح أن يكون كريما بأحدهما غير

كريم به في حال واحدة >>⁴⁰⁸ بل يجوز أن يقال << زيد كريم المال، زيد ليس كريما **بالجاه**

>>⁴⁰⁹ و قد استشهد " حازم " بقول " ابن الرومي " التالي:

<< وَ لَيْسُو بِأَجْدَالَ الطَّعَانِ دَوِي القَنَا وَ لَكِنَّهُمْ بِالْحَزْمِ وَ الرَّأْيِ أَجْدَالُ

401 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 137.

402 ابن رشيق ، العمدة : 23.

403 ديوان الحماسة ، تأليف أبو تمام ، تحقيق عبد المنعم أحمد صالح ، دار الشؤون الثقافية ببغداد: 203 + 275 .

* ورد في الحماسة " كان " بدل " تم " .

404 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 137.

405 بشار بن برد ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الجزء 4 : 254 .

406 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 137.

407 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 137 .

408 المصدر نفسه : 137 .

409 المصدر نفسه : 137 .

و لم يُخلّفوا أبطال بأسٍ و نجْدَةٍ و لكنَّهُم بِالرَّفْقِ و اللّين أبطال⁴¹⁰
فجعلهم أبطالاً من جهة و غير أبطال من جهة، و أجدالاً من وجه و غير أجدال من
وجه << 411 .

من الأنواع السابقة نرى بأن ما احتوته الأشعار و تنافس المبدعون على تحلية
قصائدهم به هو مقابلات السلب و الإيجاب، و كذا التضاد و الوجود و العدم.
أما النوع الأول فمعرفة المتلقين به قاصرة ؛ إذ قلما تتضمنه قصيدة إلا ما ندر. و
المقابلة كمصطلح متداولة عند النقاد بكثرة⁴¹² إلا أنها عند " قدامة " ⁴¹³ و "
القرطاجني " مفتوحة؛ إذ يمكن أن تكون بين شطرين كبيت " النابغة الجعدي " ⁴¹⁴
و لا يتوقف الأمر عند بيت واحد و حسب؛ بل >> يورد معنى في بيت ثم يأتي في
بيت آخر بمعنى يقابله على أحد الأنحاء المتقدمة من التقابل و يجمع بينهما من جهة واحدة
كقول " الطرماح " :

>> أَسْرَتَاهُمْ وَ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَ أَسْقَيْنَا دِمَائَهُمُ الثَّرَابَا

فَمَا صَبَرُوا لِبَاسٍ عِنْدَ حَرْبٍ وَ لَا أَدْوَا لِحُسْنِ يَدِ ثَوَابَا <<⁴¹⁵

فقدم ذكر الأنعام على **المأسورين** و آخر ذكر القتل في البيت الأول، و أتى في البيت
الثاني فعكس الترتيب، و ذلك أنه قدم ذكر الصبر (...) و آخر ذكر الصواب على حسن اليد
<<⁴¹⁶ و يبقى مجال المقابلة مفتوحاً أمام الشاعر، و لو انتهت القصيدة؛ إذ يجوز له >> أن
ينقض في قصيدة ما قال في قصيدة أخرى كذلك يجوز له في البيتين المميز أحدهما عن
الآخر <<⁴¹⁷ .

إن هذا المفهوم الموسع للمقابلة إذ يؤلف بين المعاني، يوسع المسافة بين طرفي المقابلة و
يجعلها نسبية شرط عدم وقوع المعنيين في طرف واحد ف >> إذا كان معنى البيت الواحد

⁴¹⁰ المصدر نفسه : 138 .

⁴¹¹ المصدر نفسه : 138 .

⁴¹² أنظر شوقي ضيف البلاغة تطور و تاريخ، دار المعارف مصر ط 6 : 86 – 87 .

⁴¹³ أنظر قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : 133 – 135 .

⁴¹⁴ أبو تمام ، ديوان الحماسة : 275-302 أو أنظر في المنهاج : 85 .

⁴¹⁵ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 138 .

⁴¹⁶ ابن رشيق، العمدة، ج 2 : 23 .

⁴¹⁷ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 138 .

متعلقا بمعنى البيت الآخر فإن الجمع بين المتقابلين فيهما غير سائغ <<418 و إذا حدث و جنح المبدع إلى هذا النوع من القول فإن التأويل هو الحل >> مما حمل على التناقض من أقاويل الشعراء قول عبد الرحمن بن عبيد القيس

أَرَى هَجْرَهَا وَ الْقَتْلَ مِثْلَيْنِ فَأَقْصِرَا مَلَامَكُمُ، وَ الْقَتْلُ أَعْفَى وَ أَيْسَرُ <<419

و التناقض مستبعد من البيت باعتبار أن الهجر صورة موازية للقتل و تقابل الصورتين يجعل تساويهما منطقيا، إلا أن القتل أسهل وقعا على المحب من هجر محبوبه .

د – المشاكلة: و هي قائمة على الانسجام و التلاؤم بين المعاني فيقال: >>

تشاكل الشيطان و شاكل واحد منهما صاحبه، و المشاكلة الموافقة <<420 ، و هو ما يوجب التطالب المعنوي، أما اصطلاحا فهي عند بعض النقاد >> أن يجمع الشاعر في البيت كلمتين متجاورتين، أو غير متجاورتين، شكلهما واحد، و معنيهما مختلفان <<421 و هي أنواع كثيرة .

و قد تحدث " ابن رشيق " عنها في باب التجنيس قائلا >> و هذا النوع يسميه الرماني المشاكلة و هي عنده ضروب <<422 إلا أن المشاكلة التي تحدث عنها " أحمد مطلوب " تختلف عن التي يوردها " ابن رشيق " عن " الروماني " ذلك أن هذا الأخير يقصد تشاكل بعض حروف الكلمتين كقول " ابن هرمة " :

وَ أَطْعَنَ لِلْقَرْنِ يَوْمَ الْوَعَى وَ أَطْعَمَ فِي الزَّمَنِ الْمَاحِلِ 423

و المشاكلة حاصلة بين أطعن و أطعم بتشاكل الأصوات، أما المعنى الذي يريده " أحمد مطلوب " فهو في مثل قول الشاعر " سعيد المخزومي "

حَدَقَ الْأَجَالَ أَجَالَ وَ الْهَوَى لِلْحُرِّ قَتَالُ 424

و تكرر الكلمتين من ضروب المشاكلة حيث تتضاعف الكلمة استنادا لمبدأ الإسناد و التكرار عند " حازم " يقابله مصطلح المماثلة اللفظية إلا أن المشاكلة التي يعنيها " حازم "

418 المصدر نفسه : 138 .

419 المصدر نفسه : 139 .

420 ابن منظور، لسان العرب، مادة شكل، دار صادر، بيروت، المجلد 11، 1414 هـ - 1994 م : 357 .

421 أنظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 374 .

422 ابن رشيق، العمدة، ج 1 : 287.

423 المصدر نفسه : 287.

424 أحمد مطلوب، المصدر السابق: 374 .

ليست التي يقصدها " الروماني "، و لا التكرار الذي يورده الدكتور " أحمد مطلوب "؛ لأن التكرار عند " القرطاجي " هو المماثلة اللفظية و التي يصنفها الناقد في باب الانتساب، فإذا حذفنا ما يعتمد من المشاكلة على تشاكل الحروف في مخارجها الصوتية، و كذا التكرار. فإن ما يبقى هو تشاكل المعاني و الذي يحصل بالتحديد بين المعاني الأول و الثانوي. إذ لا يتشاكل المعنيان إلا لتعلق أحدهما بالآخر و هو ما ينتج ترابطا في المعنى و الشكل أيضا، و المشاكلة مع المناسبة و المبالغة و البيان تناسب في جوهر الخطاب الذي يتضام ببناء علاقات مبنية على التلازم النصي و مع أن اكتشاف سر هذا التلازم غير ممكن فهو <<من الخفاء بحيث قد يتعذر عرفان كنهه >>⁴²⁵ إلا أن جاذبية فعل التخطي قد تكون أحد أسبابه الخفية.

⁴²⁵ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 44 .

أ- 2 - الانتساب :

و هو النمط الثاني الذي تتطلب من خلاله المعاني الشعرية، و يقع انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفسها بكونها أمثالا أو أشباها أو أصدادا أو مقاربات من الأمثال و الأصداد <<426 و قد رأى الناقد بأن تشكل المعنى بالانتساب يكون إما >> بواسطة أو بغير واسطة <<427 . فما كان الانتساب >> فيه بغير واسطة فيمكن حصر أنواعه و صورته، و أما ما يقع فيه النسب بواسطة فعزیز حصرها فيه لكون كل معنى يمكن أن يكون جهة للتطالب بين معنيين بتوسطه <<428 .

بمعنى أن النسب بين المعاني هي التي تحقق التطالب بينها، فالخطاب ينشأ لاشتراك عناصر معينة فيه في قرائن لا يمكن عدها، لأن المعاني تختزن أكثر مما تظهره من وضوح شكلي، أما إذا غابت القرائن و الوسائط النصية فإن القراءة ستوجه إلى مستوى معين تغيب فيه القرائن و عن هذه الوسائط يذكر " حازم " بعضا منها هي:

أ- المتشابهات و المتماثلات :

و نتساءل أمام هذا المصطلح عما يقصده " حازم " ؟ هل المقصود هو التشبيه فقط الذي يقع بين عنصرين؟ أم أن المقصود هو كل ما يحقق المشابهة لا الاستعارات و الكنايات؟

و للإجابة عن بعض ما طرح لا بد من التفريق أولا بين التشبيه و المشابهة ؛ فالمشابهة قائمة على التشابه حيث تكون >> الألفاظ متناسبة غير متباينة و لكن مقاربة في الجزالة و المتانة، و الرقة و السلاسة، و تكون المعاني مناسبة لألفاظها <<429 و إذا ما تناسبت الألفاظ مع معانيها كان النظم متشاكلا، >>من غير أن يكسي المعنى الشريف اللفظ السخيف، أو على الضد، بل يصاغان معا صياغة تتناسب و تتلاءم <<430 أما التشبيه ف >> فهو الإخبار بالشبه، و هو اشتراك الشئيين في صفة أو أكثر ، و لا يستوعب جميع

426 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 44 .

427 المصدر نفسه : 44 .

428 المصدر نفسه : 44 .

429 بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية : 297 .

430 المرجع نفسه: 279 .

الصفات << 431 عكس التشابه الذي تغيب فيه المفاضلة و التفضيل؛ >> لأن تشابه زيد و عمرو قضية تنحل في المعنى إلى قولنا: زيدٌ يشبه عمراً، عمرو يشبه زيدا، فيكونان متساويين فيصير مضمون التشابه التساوي << 432 و لأجل ذلك فإن " حازما " قد جمع بين التشابه و التماثل من جهة و بين التماثل و التشابه و التخالف من جهة أخرى ففي استشهاده ببيت حبيب التالي :

دِمْنٌ طَالَمَا تَقَّتْ أَدْمُعُ الْمُزِّ نَ عَلِيَّهَا، وَ أَدْمُعُ الْعُشَاقِ 433

و قد حوى هذا البيت معاني متشابهة << بلفظ التماثل >> 434 فهناك لفظ متماثل و هو ادمع و التماثل اللفظي و هو التكرار، أما الصورتان فالرابط بينهما هو التشابه إما سحاء أو بخلا ، الأمر الذي يجعلنا نقول بأن المشابهة كما يعرفها النقاد 435 قائمة على التشابه مما لا يجعل ضرورة لوجود وجه شبه، بيد أن الحاصل أن " القرطاجني " يستعمل مصطلح المتشابهات بين طرفين غير متكافئين أي بين ما يوجد فيه وجه شبه - و هو ما تتنافى مع مبدأ المشابهة - و من جهة أخرى فإن إدماج المتشابه بالمتماثل لفظاً؛ حيث مثلَ عين العاشق و دمعها، بدمع المزن كما فعل " ابن رشيق " مع بيت " أمرئ القيس " الذي ذكره في باب المماثلة أو التمثيل:

وَمَا دَرَقَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَقْدَحِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبِ مَقْتَلِ 436

>> فمثلَ عينيها يسهمي الميسر يعني المعلى و له سبعة أنصباء و الرقيب له ثلاثة أنصباء ، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها << 437 و بين الصورة التي حملها بيت " حبيب بن أوس " عند " حازم " و التي جاء بها " أمرؤ القيس " لدى " ابن رشيق " مسافة توشك أن تنعدم. و ما قيل بالنسبة للمتشابهات يقال على المتماثلات، و لمعرفة كيفية تقسيم هذه المتماثلات و المتشابهات و ترتيبها نقف عند مصطلح :

ب - التقسيم :

431 بدوي طبانة، المرجع نفسه: 300 .

432 المرجع نفسه: 297 - 298 .

433 حازم القرطاجني، منهاج البلاغ و سراج الأدباء : 45 .

434 المصدر نفسه : 45 .

435 انظر بدوي طبانة، المرجع السابق: 397 - 398 .

436 الزوزني شرح المعالقات السبع : 16 .

437 ابن رشيق، العمدة، ج 1 : 243 .

و الذي يضاف لمفهوم " حازم " حول تكاثر المعاني الذي يقتضي تنظيم المعاني المنتجة و تقسيمها، و هو ما يتم من خلال أنواع:

1 - << تعديد أشياء ينقسم إليها الشيء لا يمكن انقسامه إلى أكثر منها >>⁴³⁸ و هذا مثل قول " الشماخ " و الذي استشهد به " قدامة " و " ابن رشيق " و " العسكري " :

مَتَى مَا تَفَعُّ أَرْسَاغُهُ مُطْمَئِنَّةٌ عَلَى حَجْرٍ يَرْفُضَ أَوْ يَتَدَحْرَجُ >>⁴³⁹

و قد علق الناقد على هذه القسمة بـ << أن الحجر إذا كان رخوا ارفض، و إن كان صلبا تدحرج و ليس لقائل أن يقول: إنه غادر قسما ثالثا و هو أن تكون الأرض رخوة فيسوخ الحجر فيها، فإن الأرض إن كانت بهذه الصفة لم يقع الحافر عليها وقوع اطمئنان و اعتماد، فقوله مطمئنة صحت القسمة و كملت >>⁴⁴⁰ و هو ما ينطبق مع << عمر بن أبي ربيعة المحزومي

وَ هَبَهَا كَشِيءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحٍ بِهِ الدَّارَ أَوْ مِنْ غَيْبَتِهِ المَقَابِرِ

فلم يبق مما يعبر به عن إنسان مفقود قسم إلا أتى به في هذا البيت >>⁴⁴¹

2 - << تعديد أشياء تكون لازمة عن شيء على سبيل الاجتماع و التعاقب >>⁴⁴² كما ورد في بيت " زهير بن أبي سلمى

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا >>⁴⁴³

فالطعن و الارتماء معا ثم الضرب و الطعن الخاص بالآخر، ثم الضرب الاعتناق و بذلك فالشاعر << أتى بجميع ما استعمل في وقت الهياج و زاد ممدوحه رتبة و تقدم به خطوة على أقرانه >>⁴⁴⁴ ، و معاني هذا البيت << من المعاني التي قسمت أتم يقسم على جهة التدرج و الترتيب >>⁴⁴⁵ فلا تفاوت في الأجزاء، و لا نقصان في تقسيمها .

438 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 55 .

439 المصدر نفسه : 155 .

440 المصدر نفسه : 155 .

441 ابن رشيق، العمدة، ج 2 : 31 .

442 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 55 .

443 زهير ابن أبي سلمى، الديوان ، دار صادر بيروت، لبنان: 43 .

444 ابن رشيق، العمدة، ج 2 : 33 .

445 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 155 .

3 - >> تعديد أشياء تنقسمها أشياء لا يصلح أن ينسب منها شيء إلا إلى ما نسب إليه من الأشياء المتقاسمة << كقول الناثر >> فلم تخل فيما بدا تني به أو من مجد تأثلته، أو شكر تعجلته، أو أج ادخرته، أو متجر تجربة أو من أن تكون جمعت ذلك كله <<⁴⁴⁶ و منه أيضا قول الشاعر

>> أَوْلَيْكَ قَوْمٌ إِنْ بَنُوا أَحْسُوا الْبِنَا
وَ إِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَ إِنْ شَدُّوا عَقَدُوا
<<⁴⁴⁷

و الأنواع السابقة الذكر هي التي وسمها " حازم " ب >> التقسيم الصحيح <<⁴⁴⁸ لأن كل طرف في القسمة قد نسب إلى ما يلائمه و يناسب السياق.

و هناك ضربان آخران يكون التقسيم فيهما >> تقسيما على التسامح <<⁴⁴⁹ هما :

أ - >>تعدد أجزاء من شيء تنقسمها أشياء أو أجزاء من شيء و تكون الأجزاء المعدودة جملة أجزاء الشيء أو أشهر أجزائه و أليقها بغرض الكلام <<⁴⁵⁰ و القسمة في

هذين **الضربين** ليست بين الأشياء بل بين أجزائها كما في قول " ابن الرومي " :

كَفَى كَلُومَ زَمَانِي ثُمَّ قَلَمَهُ
عَنِّي فَأَحْفَاهُ، ثُمَّ اقْتَصَصَ مَا اجْتَرَحَا⁴⁵¹

فالكلم منسوبة للزمان، و تكون القسمة كالتالي 1 عفى = كلوم الزمن 2 قلم = الهاء العائدة على الزمان، 3 - أخفى = الهاء العائدة على الزمان، 4 - اقتصص ما اجترحا = من الزمان.

ب - >> تعديد أشياء محمودة أو مذمومة من شيء متفقة في الشهرة و التناسب <<⁴⁵² و من ذلك قول " الخنساء " :

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ
كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا⁴⁵³

⁴⁴⁶ المصدر نفسه : 155.
⁴⁴⁷ جلال الدين الخطيب القرويني، علوم الإيضاح في علوم البلاغة، مراجعة عماد بسيوني زغول، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط 2، 1417 . 1997 ، بيروت: 28.
⁴⁴⁸ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 56 .
⁴⁴⁹ المصدر نفسه : 55 .
⁴⁵⁰ المصدر نفسه : 55 .
⁴⁵¹ المصدر نفسه : 158 .
⁴⁵² حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 56 .

فالصفات و الموصوفات تابعة لمسمى واحد هو ' صخر ' و هي كلها صفات محمودة لا تخفى شهرتها على المتلقي كما أن أجزاءها متناسبة، فالطول ينسب للنجاد كما يكون العماد رفيعا، و الرماد كثير إذا كان الموصوف ذا قدر عال، و لا تكون القسمة إلا بهذا النمط. إن الفرق بين الأنواع التي صنفتها " حازم " للقسمة، أن الأنواع الثلاثة أو التي عدتها تقسيما ذات أطراف كاملة تنسب إلى أطراف كاملة أيضا كقول " نصيب " :

فَقَالَ فَرِيْقُ لَأ، وَ قَالَ فَرِيْقُهُمْ نَعَمْ وَ فَرِيْقُ قَالَ وَيَحْكُ مَا نَدْرِي⁴⁵⁴

فالفريق الأول أجاب بالنفي و الثاني بالإيجاب، و بين هذا أو ذاك لا يبقى إلا احتمال واحد و هو عدم المعرفة، و هذا النوع من الضرب الأول الذي ذكره " حازم " .

أما القسمة المبنية على التسامح فإن المقصود بالعملية ليس بالأطراف و إنما أجزاء منها و هذا هو الفرق الجوهرى، و لأجل ذلك لم يُعد هذا النوع من التقسيم صحيحا بالصحة منسوبة إلى الأطراف الكلية لأنها مجزأة و لا يعني ذلك أن بناء البيت خاطئ كما في بيت " الحساء "، و كما في قول " الحارثي " :

>> فَلَا كَمَدِي يَفْنَى، وَ لَا لَكَ رِقَّةٌ وَ لَا عَنَّا إِقْصَارٌ، وَ لَا فِيكَ مَطْمَحٌ⁴⁵⁵

و التناسب مطلوب في الأنواع الخمسة، فالأجزاء تتطالب فيما بينها و تتضافر لتناسبها من ناحية المعنى الذي استدعاها و كذا لملاءمتها السياق، أما إذا غاب التناسب بين الأطراف لم يصح ذلك ، و لذلك >>ينبغي أن يتحرز في القسمة من وقوع النقص فيها أو التداخل أو وقوع الأمرين فيهما معا <<⁴⁵⁶ .

و من النماذج التي عيبت القسمة قول " جرير " :

>> صَارَتْ حَنِيفَةً أُلْتَأْنَا فَنُلْتُهُمْ مِنْ الْعَبِيدِ وَ ثَلْتُ مِنْ مَوَالِيهَا <<⁴⁵⁷*

فهذه القسمة ناقصة لأنه أخل بالقسم الثالث <<⁴⁵⁸

و كذا في قول شاعر آخر:

⁴⁵³ يحيى الشامي ، الخنساء شاعرة الرثاء، أعلام الفكر العربي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة 1 ، 1999: 78 .

⁴⁵⁴ المصدر نفسه: 154 .

⁴⁵⁵ ابن رشيق، العمدة، ج 1 : 34 .

⁴⁵⁶ حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 56 .

⁴⁵⁷ جرير ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر، 1406 هـ 1986 م : 498 .

* وردت في الديوان مواليتها اما في المنهاج فدعوا إليها .

⁴⁵⁸ المصدر نفسه : 156 .

أَبَادِرَ إِهْلَاكَ مُسْتَهْلِكٍ

لِمَالِي أَوْ عَبَثِ الْعَابِثِ << 459

و هو مما عيب؛ << فعبث العابث داخل في إهلاك المستهلك >> 460

و إذا ما تداخلت القسمة يغدو التأويل نصية حتمية و هو ما فعله " حازم " مع بيت " هذيل الأشجعي " :

فَمَا بَرَحَتْ تُومِي إِلَيْهِ بِطَرْفِهَا وَ تُومُضُ أَحْيَانًا إِذَا خَصَمُهَا عَقْلٌ

فيحتمل أن يكون من القسمة المتداخلة لأن الإيماء بالطرف و الايماض به سواء، و يحتمل أن يكون في الكلام تداخل بأن يريد بقوله تومض تبتسم، و هذا الوجه أولى بأن يحمل البيت عليه ليسلم الكلام بذلك من الخلل << 461 و لأجل ذلك اعتبر " قدامة " هذا البيت من قبيل التكرير 462 .

و جملة القول عن تقسيم المعاني عند " حازم " أنه لا يختلف كثيرا عما ورد عند بقية النقاد خاصة " أبو هلال العسكري " و " ابن رشيق " إلا أنهما لم يقدم سبيلا للتعامل مع القسمة المتداخلة الأجزاء كما فعل " القرطاجي " . و هي سمة عامة تطبع التفكير النقدي ككل و هي أن جل النقاد اعتبروا القسمة أخلاقية بالدرجة الأولى و هي في الأصل فنية خالصة تدعو لقراءة جمالية بحثة لا سلطة للأخلاق فيها، و إلا فما هو المقياس الذي به تعد القسمة صحيحة أو متداخلة الأجزاء .

أما بالنسبة " لحازم " فإن حديثه عن انقسام المعاني << يُعد جزءا من نظرية (...) المعاني الشعرية العامة >> 463 التي تتطلب لا بناء على تناسبها. و إدراكا منه بأن القسمة لن تكون في كل حالاتها كاملة الأجزاء لأن التجاوز الفني لن يكون متشابها بل ستوجد حالات أخرى تتداخل فيها الأجزاء فالقصيدة لا تقدم معانيها معلبة لمتلقيها، بل إنها تحفزه على إيجاد طرق جمالية بديلة للتعامل مع المعنى الضامر في لب الخطاب .

459 قدامة بن جعفر، نقد الشعر : 199 .

460 أبو هلال العسكري، الصنائع: 344 .

461 حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 157 .

462 أنظر قدامة بن جعفر ، المرجع السابق: 199 .

463 محمد الحجوي، البديع عند حازم القرطاجني، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، الكويت، ع 13 ، 1417 هـ، 1996: 28 .

د - التفريع:

و قد نؤلف بين المتشابهات و المتماثلات في أسلوب متفرع، و التفرع كمصطلح نقدي مستمد من ولع " حازم " بالتقسيمات و التفريعات مستمداً ذلك من قراءاته للتراث اليوناني و ما تركه أسلافه، فراح يقعد لأرائه في جزئيات و تفاصيل دقيقة، ثم تجاوز ذلك إلى تفريع المعاني في الخطاب الشعري. فإذا كانت أجزاء القصيدة تتكاثر و تتضاعف فهي لا محالة تتفرع و يبقى لنا أن نحدد كيفية حدوث ذلك، فهل تتفرع المعاني بأسلوب آلي، أم أن ذلك ينجر وفق عمل منظم و دقيق؟

إن فعل التفريع تابع لعملية التكاثر التي تجري في عمق القصيدة و هو ما يضع أمامنا عدة مستويات من المعاني المتفرعة كـ >> أن يصف الشاعر شيئاً بوصف ما ، ثم يلتفت إلى شيء آخر يوصف بصفة مماثلة، أو مشابهة، أو مخالفة لما وصف به الأول >>⁴⁶⁴.
و من ذلك قول " البحري ":

>> و إذا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ الْـ
مَصْفُورٌ خِلَّتْ لِسَانُهُ مِنْ غَضْبِهِ

إذ تتفرع الصفات الرئيسية المتعلقة بالكلام المتألق إلى صورة الغضب >>⁴⁶⁵ و الرابط هنا هو التشبيه، و الروابط كبيرة بين المعنيين؛ >>فنستدرج من أحدهما إلى الآخر، ويستطرد به إليه على جهة تشبيه أو مفاصلة أو التفات أو غير ذلك مما يناسب به بين بعض المعاني و بعض فيكون ذكر الثاني كالفرع من ذكر الأول >>⁴⁶⁶.

هذه الثنائية تربطنا مباشرة بالمعاني الأوائل و الثانوي، و رغم كون المعنى الأول أهم حضوراً في تشكيل الخطاب، لأنه لا يكتفي بهذه الأهمية و لا يستغني عن مكملاتها من المعاني الثانوي، و لذلك فـ " القرطاجني " يرى بأن تفرع المعاني يتم في عدة صور و انساق تماماً كتفرع الأفنان في النبتة الفتية؛ فلو لاحظنا أغصان شجيرة ما لوجدنا أن بعضها متفرع مباشرة من الجذع الرئيسي و قد يكونان فرعين من جذعين مختلفين، و قد يكون الالتقاء في مركز واحد تتفرع منه الأغصان من جديد، و الأمر نفسه بالنسبة لتفرع المعاني

⁴⁶⁴ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 59 .

⁴⁶⁵ أنظر ابن رشيق، العمدة، ج 2 : 54 .

⁴⁶⁶ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 59 .

في القصيدة؛ ف >> كل معنى فرّع من معنى (...). قد يكون واقعا معه في حيز واحد، و قد يكون بينهما تباين في ذلك، و قد يكون المأخذ فيهما واحدا، و قد يكون متخالفا، و قد يكون أحدهما موجها من بعض جهات التوجيه نحو النسب الاسنادية إلى ما وجه إليه الآخر، و قد يكون أحدهما موجه إلى غير ما وجه إليه الآخر >> 467.

و هي احتمالات غير **منتهية** لتفرع المعاني، صور مبتكرة لما يحدث في الخلايا المشكلة للنص بتشعيبها و دقة تكوينها قريبة من صورة الشجرة، فمثلا تتفرع هذه الأخيرة تفعل القصيدة، و كما تختلف كل شجيرة عن نظيرتها فإن القوائد تكتسب هويتها من نمط تفرعها، و لأن هذا الأخير متباين كانت كل القوائد غير متشابهة... و للتوضيح أكثر سنحاول الوقوف عند بعض الحالات الممكنة لتفرع المعاني و نبدأ بالذي يقع في الحيز الواحد كما في بيت " الكميت ":

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم يُشقى بها الكلبُ 468

فالأحلام و الدماء تشترك في تحقيقها هدفا واحدا و هو الشفاء رغم كون الدماء متفرعة عن صورة الأحلام .

و كلما كثرت المعاني المتفرعة و جب مراعاة وجوه التناسب بينها، ف>> تكون النقلة من أحد المعنيين إلى الآخر فيما قصد فيه التفرع متناسبة، و أن يكون المعنى الثاني مما يحسن اقترانه بالأول و يفيد الكلام حسن موقع من النفس >> 469 فلاحظ أبيات " ابن المعتز " التالية :

وَ كَأَنَّ طَيْبَ رِيَاحِهَا مِنْ نَشْرِه وَ كَأَنَّ حَمْرَةَ خَدِهِ فِي لَوْنِهَا
عَنْ نَعْرِهَا فَحَسْبُهَا مِنْ نَعْرِه حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمِرْأَجُ تَبَسَّمَتْ
فَمَهُ وَ أَحْسَبُ رِيْقَهُ مِنْ خَمْرِهِ 470 مَا زَالَ يُنْجِزُ لِي مَوَاعِدَ عَيْنِهِ

و مثلما تفرعت صفات الحمرة، تفرعت صفات المحبوب، و هما متقاربتان إذ لا يبدو الحشو ظاهرا، فالترج بين المعاني تم بصورة متناسقة فلا إقحام لمعنى على حساب آخر، و هي صورة تنطبق على الروضة التي وصفها " عنتره " و رغم عدم وجود أي علاقة مشابهة

467 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 60 .

468 المصدر نفسه: 501 .

469 المصدر نفسه : 61 .

470 ابن المعتز ، الديوان، دار صادر ، بيروت: 227 .

بين المشهدين إلا أن الشاعر قد جعل المعاني تتفرع من صورة الروضة و الذباب بأسلوب متناسق.

و قد اعتبر " حازم " أسلوب التفرع نوعا من الزينة اللفظية و الصيغة التي قد يؤدي الإفراط في استعمالها إلى إخراج المعنى من سارقه فلا يعدوا ذلك أن يكون إلا >> من قبيل التذليل و الحشو الذي لا **يحسن** <<⁴⁷¹ و لذلك فإن اتباع التفرع يكون حسب حاجة السياق الذي ينتج المعاني ف >> يلمع بذلك في بيت أو فصل غير طويل (...). بحيث تقع المراوحة بينه و بين غيره من الصناعات <<⁴⁷² ، و ما يفهم من حديث " حازم " أن الخطاب بنية مركزية ثابتة تجذب إليها خلايا تتفرع عن هذه البنية الأم، و هذه الخلايا ليست على صفة واحدة، فمنها ما كان ثنائيا أي قابلا للتفرع أو أحاديا غير متفرع أو غير قابل للتفرع فيكون التشكيل بين المختلف و المتشابه و المتحد و المتفرع، فالقصيدة مجال خصب، و >> المذهب المستحسن في الكلام أن يفتن في ضروب الإبداعات الموقعة فيه <<⁴⁷³ أفلا يتصف الخطاب بلغة واحدة، >> و كلما كان الكلام مقتصرًا به على فن واحد من الإبداعات و إن كان حسنا في نفسه، و لم يحسن لأن ذلك يعود إلى سامة النفس، فإن شيمتها الضجر مما يتردد و الولع بما يتجدد و التجدد هو سمة النص الجيد رغم ثبات الجوهر .

هـ المتخالفات و المتضادات:

و المعاني التي يكون التخالف و التضاد هما الواسطة في تحقيق التطالب فيها مقابلة للمتشابهات. و لفهم ما تخالف من المعاني و تضاد يأتي الحديث عن المطابقة مناسبا لذلك.

– المطابقة بين المعاني:

⁴⁷¹ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 61 .

⁴⁷² المصدر نفسه : 61 .

⁴⁷³ المصدر نفسه : 61 .

و المطابقة هي << ' التطبيق ' و ' التضاد ' و ' التكافؤ ' >>⁴⁷⁴ و لا يخالف " حازم " من سبقه في رأيه حول تضاد المعاني، إذ يرى بأن المطابقة تنقسم إلى << محضة و غير محضة >>⁴⁷⁵ و هو ما سماه الدكتور بدوي طبانة التقابل الحقيقي و الاعتباري⁴⁷⁶ .

- فالمحضة مفاجأة / اللفظ بما يضاده من المعنى كقول جرير <<⁴⁷⁷

وَبَاسِطٍ خَيْرٍ فَيَكْمُ بِمَيْمِنِهِ وَ قَابِضٍ شَرٍّ عَنكُمُ بِشِمَالِيَا⁴⁷⁸

فقوله باسط و قابض و خير و شر من المطابقات المحضة و من ذلك قول " المتنبّي ":

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبِرُ الْهَيْجَاءُ⁴⁷⁹

و هو << داخل في الطباق المحض، لأن المراد بالهيجاء الحرب، و هي اسم من أسمائها، فكأنه قال ' الحرب ' فأتى بـضد السلم حقيقة >>⁶ .

- << و غير المحضة تنقسم إلى مقابلة الشيء بما ينتزل منه منزلة الضد و إلى مقابلة الشيء بما يخالفه >>⁴⁸⁰ و المطابقة فيهما لا تقع بألفاظ صريحة و هذان النوعان هما ما قصده " حازم " بقوله : << متقاربات من الأمثال و الأضداد >>⁴⁸¹ فأما متقاربات الأضداد أو << ما تنزل منزلة الضد فمثل قول الشريف

أَبْكِي وَ يَبْسُمُ وَ الدُّجَى مَا بَيْنَنَا حَتَّى أَضَاءَ بِنُعْرِهِ، وَ دُمُوعِي

فتنزل التبسم منزلة الضحك في المطابقة >>⁴⁸² و كذلك في << قول بعض المحدثين:

وَجْهُهُ غَايَةُ الْجَمَالِ وَ لَكِنْ فَعَلُهُ غَايَةُ لِكُلِّ قَبِيحٍ

⁴⁷⁴ بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: 367 .

⁴⁷⁵ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 48 .

⁴⁷⁶ انظر بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: 367 .

⁴⁷⁷ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 48 .

⁴⁷⁸ جرير الديوان : 501 .

⁴⁷⁹ البعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، دار صادر ، بيروت لبنان: 271.

⁴⁸⁰ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 49 .

⁴⁸¹ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 44 .

⁴⁸² المصدر نفسه : 49 .

و ليس ضده [أي الجمال] و إنما ضده الدمامة، و القبح ضد الحسن <<483 و
و بالإضافة للجمال الذي تنزل منزلة القبح في البيت ، مماثلة بين المادي
المعنوي أي بين الحسن المادي و حسن الفعل .

- >> و أما المخالف فهو مقارنة الشيء بما يقرب من مضاده كقول عمر بن كلثوم
بَأْتَا تُورِدُ الرَّأْيَاتِ بِيضًا وَ نُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوَيْنَا 484
فاللون الأحمر لا يضاد الأبيض بل يخالفه و لذلك فقد >> سمي أصحاب صناعة الشعر
ما كان قريباً من التضاد (المخالف) <<485 .

وقد يجتمع الطباق الصريح أي المحض و غير المحض معا كما في قول **المتنبي**:
أزورهم و سواد الليل يشفع لي و أنتني و بياض الصبح يغري لي 486
- طباق السلب و الإيجاب كقول " البحتري " :

تَقِيضَ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَ يَسْرِي إِلَيَّ الشَّوْقُ، مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ
487

فثبت الفعل من جهة و ينفي من جهة أخرى كما في بيت >> **السمؤل**
وَ نَنْكُرُ إِنْ شِينَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَ لَا يَنْكُرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ <<488
و من الجهات الشبيهة بالطباق تضاد المعاني لا الألفاظ >> كقول قيس بن الخطيم:
وَ إِنِّي لَأُئِنِّي النَّاسَ عَنْ مُنْكَلِفٍ يَرَى النَّاسَ ضُلَالًا وَ لَيْسَ بِمُهْتَدٍ
<<489

و بالإضافة للطباق المبني على تضاد المعاني في البيت مماثلة لفظية و هي
الناس ' و قد تضادت المعاني في بيت " بشار " :
إِذْ أَيْقَظُكَ حُرُوبُ الْعَدَا مِنْبَهُ لَهَا عُمَرًا ثُمَّ نَمَ 490

483 ابن رشيق، العمدة، ج 2 : 19 .
484 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 49 .
485 بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: 369 .
486 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 49 - 50 . .
487 المصدر نفسه : 50 .
488 المصدر نفسه : 50 .
489 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 51 .
490 بشار بن برد، الديوان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، الجزء 4 ، الشركة التونسية للتوزيع ، ماي 1976 : 182 .

بين أيقظتك و نم بالإضافة إلى المشاكلة في قوله ثم نم إذا أخذنا بقول " الرماني " المشاكلة 491 .

و بالإضافة إلى هذا يحصل الطباق بتباين ترتيب الألفاظ و المعاني فـ << يجري مجرى المطابقة تخالف وضع الألفاظ لتخالف في / وضع المعاني، و لنسبة بعضها من بعض، فيقع بذلك بين جزأين من أجزاء الكلام نسبتان متخالفتان >>⁴⁹² .

491 أنظر في هذا الفصل المشاكلة .
492 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 51 .

ثانيا: الأغراض الشعرية:

تداول النقاد العرب كثيرا مصطلح الغرض الشعري، فتحدثوا عن تقسيم الشعر إلى <>أربعة أركان و هي: المدح و الهجاء و النسيب و الرثاء، و قالوا: قواعد الشعر أربع: الرغبة و الرهبة و الطرب و الغضب <<⁴⁹³ و رغم تقارب المكونات باعتبار أن الحديث خاص بالأغراض الشعرية، إلا أن هناك فارقا جوهريا إذ تتعلق المسميات الأولى أي المدح و الهجاء و النسيب و الرثاء بمضمون النص فهي من تبعيات لغة التجاوز، و بالمقابل فإن الرغبة و الرهبة و الطرب و الغضب و شحنات نفسية خالصة تتحول تبعا لعوامل طارئة إلى سند نصي تركيبية تجعلنا نتساءل : هل المقصود بالغرض الوازع الذي يحفز للكتابة؟ أم أن الغرض هو الغاية من الكتابة عينها، و التي تتحول إلى متن مادي؟ ما علاقة المكون النفسي بالقرينة النصية؟ و هل الكتابة في أنقى حالاتها بوح بريء عن مكانن نفسية بغض النظر عن نوعيتها؟

و يرى " القرطاجني " بأن <> الأغراض: هي الهيئات النفسية التي ينحى بالمعاني المنتسبة إلى تلك الجهات نحوها و يمال بها في [صوغها] / ⁴⁹⁴ لكون الحقائق الموجودة لتلك المعاني في الأعيان مما يهيئ النفس بتلك الهيئات، و مما تطلبه النفس أيضا أو تهرب منه <<⁴⁹⁵ و الغرض بهذا المفهوم بث لمكانن نفسية و هو ما يفيد التعريف اللغوي للغرض و هو <> شدة النزاع نحو الشيء و الشوق إليه <<⁴⁹⁶.

و قد رأينا في الفصل السابق أن الناقد إذ تحدث عن بواعث الكتابة يسميها بالأغراض⁴⁹⁷ فمصطلح الغرض يأخذ أكثر من موقع فهو الطريقة⁴⁹⁸ أما إذا خصصنا

⁴⁹³ ابن رشيق، العمدة، ج 1 : 108 .

⁴⁹⁴ في الأصل صغوها .

⁴⁹⁵ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 77 .

⁴⁹⁶ ابن منظور، لسان العرب مادة غرض: 195 .

⁴⁹⁷ سبق الحديث عن الجهة.

⁴⁹⁸ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 341 .

* سبق لحديث عن ذلك في دواعي الكتابة .

بالتحديد المحتوى النصي فإن الحديث سيكون عن فن الغرض⁴⁹⁹ و الذي يكون قد تأثر
بتسمية " ابن وهب " 500 .

⁴⁹⁹ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 366 .
⁵⁰⁰ أنظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 301 .

1 - كيف يحصل الغرض...؟

ينشأ الغرض الشعري نتيجة لحالة نفسية خالصة تؤدي إما إلى القبض أو إلى البسط، فيرتبط الأول بالمضرة و الثاني بالمنفعة، و هي نزعة أرسطية لا تحتاج إلى حجة: فالمنفعة إذا قصدتها المتكلم و أرادها المتلقي >> مثل ما يوجد من مناسبة بعض الصور لبعض النفوس فيحصل لها بمشاهدة تلك الصور المناسبة لها نعيم و ابتهاج <<⁵⁰¹ و هو ما سماه " أرسطو " بالرغبة التي ينتج عنها التطهير النفسي، حيث يقع الانسجام بين ما هو متوقع و ما هو حاصل و كائن نصيا، و قد يكون حصول المنفعة للمتلقي إسعافا >> مثل ما يعتمده الإنسان من إسعاف آخر بطلبه فيكون في إسعافه بها منفعة له <<⁵⁰².

و الانسجام حاصل أيضا لوقوع التناسب بين الإشارة و الاستشارة أي بين ما يقدمه المبدع و يتقبله المتلقي، و المنافع عند " حازم " نوعان >>منفعة بالقوة و المال <<⁵⁰³ و القوة هنا ليست مادية كالمال، و ذلك يحدث >> بتشفي النفس فقط مثل ما تحل مضرة يعدو إنسان فينتفع ذلك الإنسان بأن تضعفه له و تقويه على مقاومته و الانتصاف منه، و ربما لم ينتفع من ذلك إلى سرور التشفي فقط <<⁵⁰⁴ و هذا مثل ما يحدث في هجاء القران من الشعراء و الملوك بعضهم بعضا، و مثلما تكون المنفعة المضرة كذلك فيكون الأشياء مقابل الابتهاج، و الإقحام مقابل الإسعاف .

2 - مضمون الأغراض و علاقته بأجزاء القصيدة:

لا يختلف " حازم القرطاجني " مع من سبقه من النقاد العرب في مضمون الأغراض الشعرية فهو يذكر آراءهم في ذلك⁵⁰⁵ إذ يرى بـ >>أن أمهات الطرق الشعرية أربع، و هي التهاني و ما معها، و التعازي و ما معها، و المدائح و ما معها، / و الأهاجي و ما معها <<⁵⁰⁶ إلا أن ما اختلف فيه الناقد مع غيره هو ربطه بين الأغراض الشعرية و

⁵⁰¹ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 338 .

⁵⁰² المصدر نفسه : 338 .

⁵⁰³ المصدر نفسه : 338 .

⁵⁰⁴ المصدر نفسه : 338 .

⁵⁰⁵ المصدر نفسه : 336 .

⁵⁰⁶ حازم القرطاجني ،المصدر السابق: 341 .

* أنظر الأخضر جمعي، اللفظ في التفكير النقدي و البلاغي عند العرب، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 : 343 .

الخطاب الشعري معنى و مبنى و سنعرض لبعض ما يشكل هذا المعنى و ينتج المبنى قياسا على الأغراض الشعرية:

أ - الأغراض الشعرية و المعاني:

تعتبر المعاني الشعرية بالنسبة للأغراض دعامة رئيسية و الجهات* هي ما يربط المعنى بالغرض و مثلما تنقسم المعاني إلى أوائل و ثوان، فإن الجهات أيضا قسمان :
- فمنها ما >> يقع في الكلام مقصودا لنفسه ، و هو ما كان له بالغرض المقول فيه علقه و له إليه انتساب بوجه يوجب ذكره << و هي متفرعة عن المعاني الأوائل و لذلك سميت **بالجهات الأوائل** باعتبارها القاعدة التي تتأسس عليها كل غرض، فإذا كان الغرض مدحا، فإن صورة الممدوح و ما فعله من أفعال جيدة تستوجب المدح هي الجهة الأولى بعيدا عن أي صورة تحسينية يظهر فيها الموصوف مختلفا و ذاك ما تختص به .
الجهات الثواني: و يحتوي >> ما لم يكن له بالغرض علقه و لكن له علقه ببعض الجهات المتعلقة بالغرض، فيذكر تابعا لما ذكر معتمد على جهة إحالة أو محاكاة أو غير ذلك و قد يكون له بالغرض علقه إلا أنه لم يذكر إلا من حيث ما هو تابع لغيره و متعلق به <<507 ، فإن النصوص إما مكثفية ب >> الجهات الأكيدة في الغرض <<508 و ما كان في الأغراض أكيدا / هو المتعارف عليه فالغزل له جهات أكيدة فتتمثل في الاهتمام بشخص مميز و إظهار محاسنه بتودد و حب و كذلك في المدح هناك صور معهودة هي الوصف بكثرة الرماد مثلا و قد يمتد خيال المبدع إلى >> جهات هي أبعد من غرض الكلام من الجهات المقتصر عليها <<509 و هنا تكبر المسافة الجمالية بين المعاني الأول الثواني و قد يتم الاستغناء عن هذه المسافة فتختصر بأن >> لا تستوفي جميع الجهات الأكيدة و يقتصر على ما تيسر منها <<510 .

و قد يكون اختلاف النصوص في مدى استعمالها لـ >> معاني الجهة <<511 فالمقاصد الشعرية يتفاوت و جودها بين نص و آخر ، و ذلك بحسب قوة الشعراء فـ >> منهم من

507 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 216 .

508 المصدر نفسه : 217 .

509 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 217 .

510 المصدر نفسه : 217 .

511 المصدر نفسه : 217 .

في قوته أن يستقصي معاني الجهة إذا شاء، و منهم من لا يبلغ إلا الاستقصاء و يأتي من ذلك بمقدار كاف، و منهم من يقتصر عن المقدار الكافي <<512 .

و قد تنبض بعض النصوص بروح غيرها إذا تم الاعتماد فيها على مبدأ التحسين و التقييح ب <<ملاحظة ما في الجهة التي عدت فيها صفات الحسن أو قلت من الأوصاف التي يرى أنها حسنة حقيقة أو تمويها، و ملاحظة ما في الجهة التي عدت فيها صفات القبح أو قلت >>513 و من خلال هذا التصرف يتم التجاوز مع الجهات لتجاوزها فيما بعد بحيث يظهر الغرض الشعري مختلفا إما حسنا أو قبحا ، و الحسن و القبح هنا عنصران فنيان و حسب ، إذ <<لا يوجد شيء في جوهره قبيح >>514 كما ان الحسن لا يرتبط إلا بالسياق الآني، و هذا التصرف هو الأصل في الكتابة الشعرية لأن التجاوز و محاورة المعطيات الفنية هما ما يؤسس فعل الإبداع.

و قد اعتبر " القرطاجي " عملية التحسين و التقييح أو فعل التجاوز ككل في الجهات الأول للأغراض << من مجالات الشعر الضيقة، و كان أقوى الناس عارضة و أكثرهم تصرفا في هذا ابن الرومي >>515 الذي يجمع بين الصور المتقاربة بأسلوب بديع >> تابع لغيره و متعلق به <<516 و إذا كان المعنى الجوهرى يتأسس في الجهة الثواني فإن التجاوز الجمالي يحدث في الجهات الثواني و يلعب المجاز دوره ليظهر معاني الغرض متصلة بالجهات الأولى رغم تجاوزها لها فنيا و لذلك >> كانت للأوائل عناية بتعليق الأوصاف بهذه الجهات الثواني، و ذلك حيث يكون في قوة الكلام أن يعود من الأوصاف المتعلقة بالثواني ما يفيد مبالغة أو غير ذلك من الجهات الأول <<517 حيث تناسب الجهات فيما بينها إنماء لفعل التشكل الذي تحدثه المعاني.

512 المصدر نفسه : 217 .

513 المصدر نفسه : 217 .

514 جورج سانتيانا ، الإحساس بالجمال : 150 .

515 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 218 .

516 المصدر نفسه : 216 .

517 المصدر نفسه : 216 .

إن فعل التجاوز الذي تنجزه المعاني الثواني من خلال الجهات الثواني يحدث بأنماط مختلفة فهناك التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمبالغة... الخ. وكل مصطلح منها له أنواع وطرق في التوظيف بما لا يمكن الإحاطة به: فـ >> التفاوت في الثواني أكثر لأن الجهات الأول يمكن حصرها في كل فن، و أما الجهات الثواني فقلما يتأتى حصرها لكثرة ما يمكن أن يستطرد من الشيء إليه أو يحال به عليه أو يحاكي به أو يعلق على الجملة به لنسبة في المعنى تقتضي ذلك << 518 و لا نهائية حصر وجوه إخراج الجهات الثواني مقترن بلا نهائية أنماط التجاوز الجمالي الذي يحققه النص الإبداعي >> و كان كل نحو من ذلك ممكناً أن يذهب فيه إلى ضروب كثيرة من الهيئات الحاصلة عن الترتيب الذهني و عن النسب الواقعة بين بعض المعاني و بعض << 519 .

و قد تكون لا نهائية الجهات الثواني مستمدة من ثبات الجهات الأوائل، فوجود هذه الأخيرة متوفرة في قوالب جاهزة ، حافظ للسمو بهذا الجاهز بوجوه كثيرة إثباتاً للجواهر و >> صارت الصور الحاصلة عن جميع ذلك في تشفيح معاني الجهات الأول بمعاني الثواني و إردافها بها كثيرة التشعب بعيدة عن الحصر << 520 .
و نظراً لعدم محدودية الجهات الثواني فإن صور وجودها في الخطاب الشعري تتفاوت أما في الجهات الأول فإن درجة التفاوت أقل.

518 المصدر نفسه: 216.

519 المصدر نفسه : 217 .

520 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 217 .

ب - الغرض الشعري و طول القصيدة:

تتحكم الأغراض الشعرية في نمط تضاعف محتوى الخطاب، و نسق تكاثر الأبيات، و تبعا لذلك يتحدد طولها أو اقتضاها ف <<من القصائد ما يقصد فيه التقصير، و منها ما يقصد فيه التطويل و منها ما يقصد فيه التوسط بين الطول و القصر >>⁵²¹ و كلما تعددت الأغراض تضاعفت الأبيات في النص و ينعكس نقص الأغراض على طولها، و الناقد يتحدث عن أنواع النصوص الشعرية و هي :

المقصرات و القصائد و المتوسطات:

و يدل اسم المقصرات على مضمونها بينما يكون استمرار النظم مضمونا في القصائد التي اهتم بها " حازم " كثيرا عكس المقصرات التي لم يحفل بها لا لنقص فيها **بل لما** اعترى شعراء زمانه من فتور في التعامل مع النص المقتضب باعتباره مجالا ضيقا يتطلب براعة فائقة في فضاء نصي مركز من خلال غرض واحد. فيكون النص مشعا بالمعاني التي تتغذى من الغرض الأم، و هو ما لا يستطيعه المبدع الآني و كذلك لا بد من نص بديل يناسبه ، نص يتغذى من أكثر من غرض و هو الذي تمثله القصائد الطوال باعتبارها مجالا واسعا لإثبات براعة النص بما لا يوحى بنشوية أجزائه .

و بناء على الأغراض تقسم النصوص إلى بسيطة و مركبة، ف << البسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا أو رثاء صرفا >>⁵²² و هو النوع الممثل بالمقصرات، فاشتمال البسيطة على غرض واحد يعني أنها بسيطة و مقتضبة و عمل القوى النازمة فيها يكون مكثفا لكثافة المعاني فيها. و مثل القصائد المقصرة ما يخصص منها للرثاء فقط أو المدح. و << المركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب و مدح >>⁵²³ و هنا نلاحظ أن الناقد يربط دوما بين الأغراض المنتمية إلى الجهة عينها و هو مبدأ التناسب الذي تقوم عليه نظرية " القرطاجني " .

⁵²¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 303 .

⁵²² المصدر نفسه: 303.

⁵²³ المصدر نفسه: 303 .

وافتح القوائد البسطة ىخلف عن المركبة؁ ففى هذة الأخرة >> كل قول نسيبي لا يخلو من أن يكون متعلقا بوصف المحبوب و محاكاته أو وصف بعض أحواله و ماله بذلك علقة من زمان أو مكان أو غير ذلك؁ و أن يكون متعلقا بوصف المحب أو وصف بعض أحواله << 524 أما القوائد البسطة أي التي تشتمل غرضا واحدا >> فأحسن ما تبدأ به وصف ما يكون في الحال مما له إلى غرض القول انتساب شديد كافتتاح مدح القادم من سفر بتهنئته بالقدوم و التيمن له << 525 .

و إعجاب " حازم " بالقصيدة المركبة الأغراض تابع لإعجابه بالقصيدة الافتراضية و التي يعد النص الشعري الكلاسيكي أحد مكوناتها.

و ما يحسب للناقد في هذا عدم ربطه بين مصطلح القصيدة و الكم؁ أو بين القصيدة و قلة أبياتها كما كان ذلك سائدا 526 فالمعتبر في حجم الخطاب الشعري هو مدى احتوائه لمادة غرضية* وافية و ليس هذا فقط بل و بقدر التنسيق بين مختلف الأغراض الشعرية التي لا بد من أبداع نظمها؁ و سبك معانيها؁ بحيث >> يستمر في الأغراض التي على الأنحاء التي لا يوجد للكلام معها اضطراب و لا تنافر << 527 و هذا بالموازاة دائما مع الأسلوب و تحسينه تماثيا و مسار تنامي المعاني التي يبقى طولها أو قصرها أمرا نسبيا أو تصويبها إلى سهولة الرقة أو سلوكها مذهباً وسطاً؁ بين / ما لان و ما خشن من ذلك << 528

الخشونة هي المعاني الموحشة التي ذكرها " حازم " كوصف الحروب مثلاً؁ أما الرقيقة فهي المتعلقة بالغزل مثلاً؁ و الوسطى ما كان الأسلوب فيها مزيجاً بين الوحشة و الأنس و هو الأسلوب الذي قصده الناقد لما تحدث عن التأنيس. و لا يمكن الحديث عن أساليب الشعراء دون الالتفات إلى القراء و المتلقين الذين يختلف تقبلهم لمختلف الأساليب؛ بمعنى أن >>الكلام منه ما يكون موافقاً لأغراض النفوس

524 حازم القرطاجني؁ منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 304 .

525 المصدر نفسه: 305 .

526 أنظر الجاحظ؁ كتاب الحيوان؁ دار الجيل؁ بيروت؁ ج 1 : 92 – 93 .

*فحازم في ذلك متأثر بالجاحظ؁ أنظر يوسف حسين دكار؁ بناء القصيدة في ضوء النقد الحديث: 247 .

527 أنظر ابن رشيق؁ العمدة: 168 – 170 .

528 حازم القرطاجني؁ المصدر السابق: 354 .

الضعيفة الكثيرة الإشفاق مما ينوبها أو ينوب غيرها ، و منه ما يكون موافقا للنفوس المقبلة على ما يبسط أسسها <<529 .

و لأن تقبل القراء لا يمكن رصده أبدا فإن الناقد قد قسم الأساليب <<بحسب البساطة و التراكيب عشرة أنحاء يختلف الناس فيما تميل بهم أهواؤهم إليه من ذلك بحسب اختلاف طباعهم و تلك الأنحاء هي: - 1 - أن الكلام مبنيا على الرقة المحضة، - 2 - أو على الخشونة المحضة، - 3 - أو على المتوسط بينهما، - 4 - أو يكون مبنيا على الرقة و يشوبه بعض ما هو راجع إلى الأسلوب الوسط - 5 - أو يكون مبنيا على الوسط و يشوبه بعض ما هو راجع إلى الرقة، - 6 - أو بعض ما هو راجع إلى الخشونة، - 7 - أو يكون مبنيا على الخشونة و يشوبه بعض ما يرجع إلى الأسلوب الوسط - 8 - أو يكون مبنيا على الرقة و يشوبه بعض الخشونة، - 9 - أو على الخشونة و يشوبه بعض رقة، - 10 - أو يكون مبنيا على الأسلوب المتوسط و يشوبه بعض ما هو راجع إلى الطرفين. <<530 .

529 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 354 .
530 المصدر نفسه: 354 - 355 .

ج - الأغراض الشعرية و الأسلوب:

إن محاولة فهم ماهية الأسلوب عند " حازم " تسوقنا إلى التطرق إلى ما يشكّله و بالتالي الوقوف عند مبدأ التأنيس كنقطة بدء، يتحدث الناقد عن الأسلوب واصفا استمرار المبدع في وصف صورة ما أو جملة من الصور، و الصور عنده إما ايجابية متعلقة بالجهات الأول أو سلبية خاصة بما يناقض الجهات الأول، و هذه الأخيرة تأخذ صفتي السلبية أو الإيجابية؛ ف >> إذا تمادى استمرار الشاعر في الأسلوب على معان من شأن النفس أن تنقبض عنها و تستوحش منها فقد يحق عليه أن يؤنس النفوس من استيحاشها و يبسطها من قبضها <<⁵³¹ و يحدث التحول بتقليص دائرة التوتر >> بمعان يكون حال النفس بها غير تلك الحال لكونها ملائمة للنفوس باسطة لها <<⁵³².

و يحدد " حازم " ماهية >>المعاني الموحشة في الأساليب التي تذكر فيها أحوال الاستطاب إلا لغرض، و ذلك مثل ما يذكر من أحوال الخطوب و أوصاف الحروب <<⁵³³ ، و ليست أمثال هذه المعاني ذوات قيم سلبية خالصة؛ >>فقد يستطيب الإنسان ذكر إيقاع له بأعدائه و ليس كل إنسان يتشفى بذلك تشفيه، و كذلك المرثي قد يقع الإفراط في ذكر المعاني المفجعة فيها من خالص المرثي أشفى موقع <<⁵³⁴.

أما العبارات التي تحمل معاني الإنس، فهي التي ترتبط ب >> جهة وصف المحبوب و جهة وصف الخيال و جهة وصف الطلول و جهة وصف يوم النوى و ما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب <<⁵³⁵.

و يتجدد مفهوم الأسلوب بناء على ما سبق حيث >> تحصل للنفس باستمرار على تلك الجهة و النقلة منه بعضها إلى بعض و بكيفية الاطراد في المعاني صورة و هيئة تسمى الأسلوب <<⁵³⁶ ، فهو مرتبط بالمعنى الذي يفرزه السياق اللغوي لا و وجد الأسلوب مقابلا ل >> منزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية في الألفاظ و

⁵³¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 359 .

⁵³² المصدر نفسه: 359 .

⁵³³ المصدر نفسه: 359 .

⁵³⁴ المصدر نفسه: 359 .

⁵³⁵ المصدر نفسه: 363 .

⁵³⁶ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 363 .

العبارات و الهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض و ما يعتمد فيها من ضروب الوضع و أنحاء الترتيب >>⁵³⁷ .

" حازم " يخالف- " الجرجاني " الذي يقرن الأسلوب بالجانب الشكلي فهو >>الضرب من النظم و الطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره >>⁵³⁸ معنى يقترب كثيرا من المنزع الشعري عند " حازم القرطاجني " و لأن المتلقي ينفر من الأسلوب المشحون بالانقباض فقد دعا الناقد بالمزاوجة بين هذه المعاني و بين جهات أخر أقل انقباضا >> بأن يشعشع المعاني الموحشة من جهة ما يراد إقاؤه لمحل القبول من كل سامع بمعان مؤنسة يتعلق بغير الجهة التي تعلق الموحشة بها >>⁵³⁹ و هو ما سماه بالتأنييس .

و قد قسم " حازم " الأساليب الشعرية >>بحسب مسالك الشعراء في كل طريقة من طرق الشعر، و بحسب تصعيد النفوس فيها إلى حزونه الخشونة و الرقة المحضة هي النسيب الخالص كقول " الأعشي " :

بَانَتْ سَعْدُ وَ أَمْسَى حَبْلَهَا رَابَا وَ أَحَدَتْ النَّأْيُ لِي شَوْقَا وَ أَوْصَابَا ⁵⁴⁰

و أما الخشونة المحضة في قوله أيضا في وصف تبعات الحرب :

و له المُقَدَّمُ في الحرب، إذا ساعة الشَّوْقِ عن النَّابِ كلخ ⁵⁴¹

و قد ركز " حازم " في هذه الأساليب العشرة، على >> الثلاثة الأخيرة و هي التي وقع في جميعها الجمع بين طرفين بأن تسلط الطرفان أعنى الخشونة و الرقة على شيء واحد و كان انبعاثهما من ضمير واحد، فإن هذا يقبح مثل إرداف الرقة في الحب بالخشونة فيه >>⁵⁴² و هو مبدأ الاعتدال الذي يلتزمه " حازم " في كل آرائه، فلا يكون الغزل رقيقا و خشنا في آن واحد، و قد يخالف المبدع الوضع بأن يوجه الخشونة بجانب و الرقة بجانب آخر أو العكس؛ >> فإن انصرف أحدهما إلى غير ما انصرف إليه الآخر، و تعلق بغير

⁵³⁷ المصدر نفسه: 363 .

⁵³⁸ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز: 315 .

⁵³⁹ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 360 .

⁵⁴⁰ الأعشي ، الديوان: 13 .

⁵⁴¹ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 40 .

⁵⁴² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 355.

ما تعلق به ساغ ذلك، مثل ما نجمع بين التغزل و الحماسة في شعر واحد << 543 و أول ذلك >> مقابلة معنى بيت أو شطر غزلي بمعنى بيت أو شطر بيت حماسي << 544 و ثانيه أن يزواج الشاعر بين الرقة و الخشونة لأنه >> يتوقع أن يظن ظان أن ذلك بضعف نفس منه، فيلتفت إلى ما يدرأ عنه ذلك الظن و يشير إلى ما يدل على ذلك بلفظ مختصر في تضاعيف كلامه أو عقبه و ذلك مثل قول " الشريف " :

مَأْلُو عَلَى شِعْبِ الرَّحَالِ وَ اسْتَدُوا أَيْدِي الطَّعَانِ إِلَى قُلُوبِ تَخَوُّقٍ 545

و ثالث الحالات أن يفاضل بين الرقة و الخشونة >> بأن يتحول الشاعر عما له فيه رقة إلى ما له فيه خشونة، و ينصرف عن أحد الغرضين إلى الآخر بالجملة، فيصيره عرض كلامه << 546 كقول " عنتره " :

بَكَيْتُ مِنَ الْبَيْنِ الْمُشْتِ وَ إِنِّي صَبَّورٌ عَلَى طَعْنِ الْقَنَا لَوْ عَلِمْتُمْ 547

فأسلوبه في هذا البيت بين الخشونة و الرقة، و نلاحظ كيف تمت المزوجة بين الخشونة (طعن القنا) و بين الرقة المحضة (البين المشت) و ما تفرع من معان رقيقة كالبكاء و الصبر مرتبطة بالحب، أما الخشونة المحضة فمقترنة بالقنا أي بالحرب .

إن صورة الأسلوب كما يقدمها لنا " حازم " لا يتعلق بقراءة تميز المبدعين فلا يمكن أن نقول أبدا إن أسلوب شاعر ما سهل دقيق كما لا يمكن أن يقال أنه موحش خشن، ما دمنا نقول أن أسلوب هذه القصيدة خشن إن كانت وصفا لحرب أو رقيقا إن كانت غزلا صرفا، أو بالأحرى ما دامت أبيات القصيدة متراوحة بين الرقة و الخشونة، بل _ و بهذا المفهوم _ فإن لكل تجربة شعرية هي القصيدة الحاضرة أسلوبا يسمها، و بتكرار الكتابات و تضاعف الأساليب يتدخل الآخر بشخصيته القرائية لتصنيف المبدعين حسب أساليبهم، و بناء على هذه القراءة يقال فلان يحسن في الغزل ك " عمرو بن أبي ربيعة "، و آخر لا يحسن فيه ك " المتنبي " 548 وهذا التصنيف الذي قدمه " حازم " حول

543 المصدر نفسه : 355 .

544 المصدر نفسه : 355 .

545 المصدر نفسه : 355 .

546 المصدر نفسه : 355 .

547 عنتره الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، 1404 هـ 1984 م : 208 .

548 هذا ما ذكرته بعض الكتب النقدية .

أساليب الشعراء مؤسس على قراءة موسعة لقصائد الشعراء أقرب للدراسات الإحصائية المعاصرة.

إن المتأمل لقضية الأغراض الشعرية يجد أن الناقد قد طور ما وجده قائماً لدى سابقه، فأما ما يتعلق بمضمون الأغراض فلم يضاف إليها شيء ذا أهمية بل إنه قد جمع آراء " قدامة بن جعفر " و قدمها جاهزة بأسلوبها المنطقي. إلا أن الجديد عند " حازم " هو ربطه الذكي بين الغرض الشعري كمضمون أولي للمعاني و بين أجزاء القصيدة متكاملة.

ترتبط المعاني بالأغراض بشدة و تطالب باعتبار أن المعاني تتشكل و تتحدد نوعيتها بأن تكون أوئلاً أو ثوان حسب الغرض الشعري و مستوى التعبير فيه، خاصة و أن ذلك يعتمد على مدى استيعابه الجهة الممثلة للأول أو للثواني بمقتضى الغرض الشعري كما أن الغرض يسير الأسلوب الشعري و يتحكم في طول أو اقتضابه فبقدر تعدد الأغراض كثرت فصول القصائد ،لا و هي النقلة التي أحدثها " حازم " بأن جعل طول القصيدة يقترن بتحدد جهات الأغراض فيها ، و لأن الوزن عنصر مهم في تكوين الموسيقى الداخلية في الخطاب الشعري، و هو ما أدركه النقاد العرب في وقت مبكر⁵⁴⁹ و تفرد " حازم " اتضح في كون أنواع الأعاريض الشعرية تتحدد بحسب الأغراض الشعرية⁵⁵⁰ و درجة الخشونة و الرقة فيها و سلاحظ في العناصر المقبلة من البحث كيف أن الأغراض يمتد تأثيرها في كل زاوية نصية مهما تناهت في الصغر.

⁵⁴⁹ لم نتطرق لهذه الفكرة بالبحث و التحليل لكونها متناولة بطرح مستفيض و علمي انظر:

أ- حسن سويف بكار، بناء القصيدة العربية في ضوء النقد الحديث: 160 - 165 .

ب- جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي : 257 - 261 .

⁵⁵⁰ انظر في هذا المجال د/ سيد الجراوي ، العروض و إيقاع الشعر العربي محاولة لإنتاج معرفة علمية، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة، د ط ، 1993: 16 .

ثالثاً: البناء الفني للقصيدة :

1- الاستهلاكات و المطالع: و هي بمثابة عتبات نصية للخطاب الشعري تطفح بدلالات عميقة، و لأجل ذلك كان اهتمام النقاد بها كثيرة فقد يتحدثوا عن براعة الاستهلال⁵⁵¹ فقيل هو << ابتداء المتكلم بمعنى يريد تكميله وإن وقع في أثناء القصيدة >>⁵⁵² .
أما " حازم " فقد ربط الاستهلال بمثابة الغرة، فلا بد من إظهارها بالشكل و الجوهر اللائقين لأنهما يظهران قوة الفواتح النصية، ف << تحسين الاستهلاكات و المطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه و الغرة >>⁵⁵³ و لم يتفرد " حازم " بهذا الرأي بل كان قد شاركه في ذلك العديد من النقاد* .

فالمطالع ترتبط بالمتن لأنها مجال مركز من المعاني يتم توزيعها إلى الفصول. و لأنها كذلك أول دعائم التجاور القرآني إذ <<تزيد النفس بحسنها ابتهاجا و نشاطا لتلقي ما بعد إن كان بنسبة من ذلك >>⁵⁵⁴ .

فالعتبة البليغة لها من القوة ما يخفي عيوب النظم << و ربّما غطت حسننها على كثير من التخونّ الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها >>⁵⁵⁵ .
إن هذه الشحنة الجمالية، تكتسب قوتها من عدة مقاييس ف << لا يخلو الإبداع في المبادئ من أن يكون راجعا إلى ما يقع في الألفاظ من حسن مادة و استواء نسيج و لطف انتقال فشاكل اقتران و إيجاز عبارة >>⁵⁵⁶ و هي كلها تحسينات تابعة للزينة اللفظية. فكان من أحسن الابتداءات قول النابغة.

كَلَيْبِنِي لِهَمَّ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَ لَيْلٍ أُقَاسِيَهُ بَطْيَاءِ الْكَوَاكِبِ⁵⁵⁷

⁵⁵¹ أنظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 126 .

⁵⁵² ابن أبي الأصعب المصري، تحرير التحرير: 52 ، نقلا عن أحمد مطلوب المرجع نفسه: 126 .

⁵⁵³ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 309 .

* كابن المقفع و ابن الأثير الحلبي، أنظر أحمد مطلوب، المرجع السابق: 126 – 127 .

⁵⁵⁴ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 309 .

⁵⁵⁵ المصدر نفسه: 309 .

⁵⁵⁶ المصدر نفسه: 309 .

⁵⁵⁷ النابغة الذبياني ، الديوان سلسلة شعراؤنا و تعليق الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1419 هـ 1999م : 28.

و هو ما أجمع عليه معظم النقاد، كـ " ابن رشيق " و " أبي هلال العسكري " ... الخ .
- و قد ترجع جاذبية الاستهلاكات الجيدة إلى ما احتوته من معان >> من حسن محاكاة و
نفاسة مفهوم و تطبيق مفصل بالنسبة إلى الغرض و ما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في
المعاني << 558 .

>> و من أحكم ابتداءات العرب قول السمول:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّوْمِ عَرَضَهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ تَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

وَ إِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ النَّتَاءِ سَبِيلٌ << 559

و قد ترجع الصنعة >> إلى النظم من إحكام بنية و إبداع صيغة و وضع و ما ناسب ذلك مما
يحسن في النظم << 560 و قد >> قال بعضهم : أحكم الابتداءات قول لبيد:

أَلَا كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بَاطِلٌ وَ كُلُّ نَعِيمٍ لَّا مَحَالَةَ زَائِلٌ << 561

و كذلك ب >> ما يرجع إلى الأسلوب من حسن منزع و لطف منحى و مذهب و ما جرى ذلك
مما يستحسن في الأساليب << 562

و قد برع " المتنبي " في صفوف الابتداءات⁵⁶³ التي حسنت أسلوبا و منزعا و نظما و من
ذلك قوله:

تُهَنَّا بِصُورٍ أَمْ تُهَنُّهَا بِكَأ وَ قَلَّ الَّذِي صُورٌ وَ أَنْتَ لَهُ لَكَأ⁵⁶⁴

و قد اعتبر " القرطاجي " أن الحسن كله مرتبط بتناسب المطلع مع المقاصد ف >>
ملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته << 565 و
المقصد يرتبط مباشرة بالأغراض الشعرية، حيث إن الشاعر يبتدئ مطلعته قياسا إلى الغرض
الذي يتم الابتداء به. و بناء على تعدد الأغراض تتنوع المطالع؛ فإذا كان مقصده (أي المفتتح

558 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 309 .

559 أبو هلال العسكري، الصناعتين: 433 .

560 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 309.

561 أبو هلال العسكري، الصناعتين: 343 .

562 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 309 .

563 أبو هلال العسكري، المرجع نفسه: 343 - 345 .

564 العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المجلد 1 : 305 .

565 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 310 .

(الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ و النظم و المعاني و الأسلوب ما يكون فيه بناء و تفحيم << 566 كقول " المتنبي " :

سِرْبٌ مَحَاسُؤُهُ حُرْمَتُ دَوَاتِهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدِ موصوفاتها 567

أما >> إذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة و عذوبة << 568 كافتتاح " امرؤ القيس " :

قَفَا نَبِكٍ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلٍ . بَسِطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخْتُولِ فَحَوِّمِلْ 569

فهذه البداية الاستثنائية تخول لأن تكون مطلعاً لا أي شيء آخر .

و أساليب الإغراء النصية حسب " حازم " تتنوع بين <<تعجب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك.

و لا يضمن المعنى بعد المطلع، فالعناية بالبيت الثاني تزداد و في ذلك تتفاوت النصوص و قد يعمد المبدع، إلى جعل البيت الأول محتوياً على تصريح >> التصريح في أوائل القصائد طلاوة و موقعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها << 570.

566 المصدر نفسه : 310.

567 العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: 362 .

568 حازم القرطاجي، المصدر السابق: 310 .

569 الزوزني، شرح المعلقات: 09 .

570 حازم القرطاجي، المصدر السابق: 282 .

2 - نظام الفصول :

يتماشى تكون النص الخارجي مع تضاعفه الجوهري، فلا يمكن الفصل بين ما يحدث في المستويين، و القصيدة التي يعنيها " حازم " مقسمة إلى فصول و هو ما يجعلها عملا منظما و متناسبا الأجزاء إذ >> يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب <<⁵⁷¹ . و يمكن أن نحد الفصل بالمقدمة العزلية أو الطللية إلى غاية موضع الانتقال لوصف الرحلة و الظعن - على سبيل المثال - أي ما يشكل كتلة معنوية واحدة و قد تتعدد فصول القصيدة الواحدة حسب تعدد الأغراض الشعرية.

و يقسم الخطاب إلى >> فصول ينحى كل فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول إلى بعض و ترمى الكلام بها إلى أنحاء مختلفة من المقاصد فالراحة حاصلة بها لافتتان الكلام في شيء مذهبه <<⁵⁷² ؛ لأن ايراد الخطاب الشعري في قسم واحد يستدعي نفسا طويلا في الكتابة و قدرة متميزة على تكوين علاقات نصية بين مجمل أبيات القصيدة دون بتر تضاعف المعنى و هو ما جعل الناقد يفضل القصائد التي تتضمن أغراضا متنوعة و متجانسة.

لقد وعى الشاعر القديم تقسيم الخطاب الشعري إلى أجزاء لتحديد نفس الكتابة، و دفع تضاعف المعاني من جديد و هي الدفعة التي تحتاجها القصيدة لتمتلك عوامل قوتها، فإذا كان الشاعر المتمكن يحتاج إلى تجزئ النص إلى فصول و هو صاحب القدرة البارعة، فكيف هو الحال لمن يعوزه المران و التجربة و البراعة خاصة و أن القول الشعري المسترسل يقتضي قراءة خاصة ف >> النفوس تسأم التمادي على حال واحدة و تؤثر الانتقال من حال إلى حال <<⁵⁷³

لقد اهتم الناقد بالفصول و موادها عندما تطرق للنظم و قوانينه الأربعة و أول هذه القوانين الخاصة بالفصول يتعلق ب >> استجادة مواد [ها] و انتقاء جوهرها فيجب أن تكون مناسبة المسموعات و المفهومات حسنة الاطراد << و الانتقاء الجيد يكون من خلال التجاوز

⁵⁷¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 287 .

⁵⁷² المصدر نفسه: 296 .

⁵⁷³ المصدر نفسه: 296 .

النصي المثمر شرط عد إحداه فجوات نصية سلبية بين المسموع و المفهوم ذلك سند على فكرة المعاني المشتركة كمادة أولية قبل حدوث التجاوز.

- الانتقال :

يحدث الانتقال بين الفصول بذكاء بحيث يكون انتهاء المعنى في الغرض السابق حتميا و منتظرا دونما تكلف لأن أجزاء القصيدة ترتب تريبا تتفاعل فيه الصور المنتجة و كأنما صورة واحدة ممثلة للمعنى الذي يختزله الخطاب.

و إذا اعتبرنا أن الاستطراد * نوع من الانتقال على سبيل التلخيص فإن ذلك يحدث بوتيرة فجائية، بناء على أن ذلك يفضي إلى تذبذب المعنى قياسا على السياق و يعتمد الاستطراد على >> أن يأخذ المتكلم في المعنى يمر فيه يأخذ في معنى آخر و قد جعل الأول سبيلا إليه <<⁵⁷⁴ فالتعاليق مطلوب في الأساس؛ و يفهم من الاستطراد كذلك >> خروج الشاعر من ذم إلى مدح، أو من مدح إلى ذم <<⁵⁷⁵

و " القرطاجني " يدقق كثيرا في مزاجته للأغراض فلا يجمع بين المدح و الهجاء و لا بين الغزل و الرثاء و هو مضمون القانون الثاني للنظم و >> هو ترتيب بعض الفصول إلى بعض (...) [حسب] ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام <<⁵⁷⁶ و لتفادي حدوث تنافر بين الفصول لا بد من غرض وسيط يربط بين الغرضين المتنافرين، و هو ترتيب مثالي تخضع له الفصول إذا انسجمت الأغراض الشعرية و كان الانتقال بينها يماشي وتيرة تكاثر المعاني.

و قد فرّق " القرطاجني " بين الاستطراد و التلخيص قائلا: >> و أهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه بتدريج تخلصا، و ما لم يكن بتدريج و لا هجوم و لكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات استطرادا <<⁵⁷⁷ و نلمس من هذا الحديث أنواعا ثلاثة للانتقال :

1 - فما كان ممهدا له كقول " حسان ابن ثابت " :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَجَوْتُ مَجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ⁵⁷⁸

⁵⁷⁴ أبو هلال العسكري، الصنائع: 398 .

* أول من استطراد هو السموعل أنظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي : 68 .

⁵⁷⁵ أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي : 69 .

⁵⁷⁶ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 298 .

⁵⁷⁷ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 316 .

و الانتقال هنا على سبيل التدرج ف >> حسان لم يعد إلى ما كان عليه من ذكر العاذلة، بل أتم القصيدة مستمرا على ذكر هزيمة الحارث بن هشام و الإيقاع بقومه في يوم الدر <<⁵⁷⁹ 2 - و ما كان الانتقال بجهة الانعطاف و الالتفات، و هو ما سماه " أبو هلال " الاعتراض و الرجوع * و ذلك كقول " امرئ القيس " :

تَطَوَّلَ لَيْلِكَ بِالْأَثْمِدِ وَ نَأَمَ الْخَلِي وَ لَمْ تَرُقْدِ
وَ بَاتَ وَ بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَأَيْلَةِ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَ ذَلِكَ مِنْ نَبَاءِ جَاءَنِي وَ خُبْرَتِهِ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ⁵⁸⁰

فالشاعر قد تمكن من الانتقال عن طريق الالتفات ثلاث مرات⁵⁸¹ و عد هذا من بديع الالتفات.

3 - و قد يحدث الانتقال بما سماه حازم الهجوم مما لا يراعى فيه أي تناسب مع السياق، و هو مما لا يستساغ في أسلوب الخطاب ؛ فالانتقال في حد ذاته تغيير للأسلوب ، فلا يحسن أن يحدث ذلك بفجائية من بيت لآخر و من غرض لآخر تخلصا و استطرادا ف >> النفوس و المسامع إذا كانت متدرجة من فن من الكلام إلى فن مشابه له، و منتقلة من معنى إلى معنى مناسب له ثم انتقل بها من فن إلى فن مباين له من غير جامع بينهما و ملائم بين طرفيهما، وَجَدَتْ الْأَنْفُسُ فِي طَبَاعِهَا نَفُورًا مِنْ ذَلِكَ وَ نَبَتَ عَنْهُ <<⁵⁸² و لذلك فالناقد قد تحدث عن التلطف في الانتقال ، جاعلا ذلك >>بمنزلة المستمر على طريق سهل (...) هو يسير فيه عفوا إذ تعرض له في طريقه و ما ينقله من سهولة المسلك إلى حزونته و من لينة إلى خشونة <<⁵⁸³.

أما ترتيب الفصل فلا بد من تقديم الفصول القصار علي الطوال أحسن من أن يكون الأمر بالعكس فالمقدمة سواء أكانت طللية أو خمرية أو غزلية يستحب أن تكون قصيرة، بينما يسترسل في بقية الفصول فيعدو النظم >> بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق

⁵⁷⁸ احسان النص حسان بن ثابت حياته و شعره دار الفكر سوريان الطبعة 3 ، 1405 هـ - 1985 م : 275 .

⁵⁷⁹ أحمد مطلوب، المرجع السابق: 70 .

* أنظر أبو هلال العسكري، الصنائع: 392 .

⁵⁸⁰ ديوان امرئ القيس ، دار بيروت للطباعة و النشر 1406 هـ - 1986 م : 84 .

⁵⁸¹ أنظر أحمد مطلوب، المرجع السابق: 102 .

⁵⁸² حازم القرطاجني، المصدر السابق: 319 .

⁵⁸³ المصدر نفسه: 319 .

بها كان رائعا في المرأى و إن لم يكن مرتفعا جليلا و إن اختلف نظمه << 584 فضمه الجيد منه في كل التفاصيل الدقيقة فيه .

فإغفال التناسب و الترتيب يؤدي إلى فساد النظم 585 .

- أما القانون الثالث فيختص ب << تأليف بعض بيوت الفصول إلي بعض فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله >> 586 و البداية تربط دوما بالمطلع الذي يفجر الدلالات فتتداعى متناسقة حسب أهميتها بالنسبة للسياق ، << و إن تأتى مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل و الذي له نصاب الشرف كان أبهي >> 587 ؛ فالمقدمات ممهدة للعرض الرئيسي الذي يتم الانتقال إلى صلة ، << علي أن كثيرا من الشعراء يؤخرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل >> 588 و هي تقنية ذكية تطيل الأسلوب و توسع دائرة التواصل مع الخطاب.

- و يختص القانون الرابع بمدى اتصال الشكل بالمضمون، أي العبارة و العرض و هو ما يحدث وفق أساليب أربعة.

- 1- ضرب متصل العبارة و العرض.
- 2- ضرب متصل العبارة دون العرض.
- 3- ضرب متصل العرض دون العبارة.
- 4- ضرب متصل العرض و العبارة.

و هذه الأنواع متفاوتة في الحسن و الاجادة ؛ <<فأما المتصل العبارة و العرض فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقه من جهة الغرض و ارتباط من جهة العبارة >> 589 .

584 المصدر نفسه (319) .

585 انظر د/ عبد القادر هني نظرية الإبداع : 343-344.

586 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 289.

587 المصدر نفسه : 289.

588 المصدر نفسه : 289.

589 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 289.

و تكون العبارة متصلة بالعرض، و في هذا النوع >> بأن يكون بعض الألفاظ الذي في احد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط <<⁵⁹⁰، كما بينا في تشكّل المعاني .

أما >> إذا نيط الفصل فيه معني تعجبي أو دعاء أو غير ذلك (...) هو أفضل الضروب الأربعة <<⁵⁹¹ لأن ذلك يجسد حسن الانتقال، إذ يتمكن الخطاب من الاستمرار مع الفصل الثاني دون بتر المعاني ، و عدم تغيير الغرض عما كانت عليه .

و الضربان الآخران يتفاوتان في الرداءة لأن الانتقال بين الفصول فيه يكون معتمدا علي الفجائية السلبية ف >> لا توصل فيه عبارة بعبارة و لا غرض بغرض مناسب له ، بل يهجم علي الفصل هجوما من غير إشعار مما قبله و لا مناسبة بين أحدهما و الآخر <<⁵⁹².

إن الأسلوب الذي يعبر عنه " حازم " عن النظم مؤسس علي لغة نقدية راقية تستند إلى خبرة كبيرة، هذه الأخيرة جعلته يستفيد كثيرا ممن سبقه من النقاد فلو أمعنا النظر ، لوجدنا أن حديثه في القانون الرابع للنظم عن اتصال الغرض بالعبارة و العكس ، هو صورة مطورة جدا لما كان متعارفا عليه لدى النقاد القدماء " بالشكل و المضمون " و هو ما لم يستطع " حازم " التخلص منه ، إلا أنه منهج الفكرة ؛ إذ لم يجعلها طاغية بل كانت اقانونا يضاف إلى قوانين أخرى هي المشكلة للنظم.

- كما أن اهتمامه بالقصيدة المتصلة العبارة المنفصلة العرض هو اهتمام بتنوع الأغراض الشعرية. أو ما سماه بالقصيدة الطويلة و المركبة التي تختزن دلالات كثيرة تتعلق فيما بينها بتناسب.

3 - الخواتم/ التحجيل:

و كما المطالع فإن ورود الخواتم النصية ضرورية الحيك سواء كانت خاتمة للفصل أو للقصيدة ككل. و هو ما سماه " حازم " بالمقطع فما إن يكبر المشروع حتى يزداد العناية بالأجزاء و الخواتم تكتسي قيمة ايجابية كبرى و ذلك ضمن مصطلح التحجيل.

⁵⁹⁰ المصدر نفسه : 290.

⁵⁹¹ المصدر نفسه : 291.

⁵⁹² المصدر نفسه : 191.

و للشعراء طرائق عديدة في أنحاء قصائدهم؛ فقد اعتمدوا في براعتهم اللغوية بابتكار عبارات تكون أحسن مقطع للقصيدة ، أو أن يوظف أجناسا أخرى فبعض القصائد مختومة << بالأبيات الحكيمة و الاستدلالية >>⁵⁹³ و هو التحجيل .

و " حازم " في هذا المذهب يحاول تثبيت مبدأ الاستعارة بين الأجناس الأدبية للارتقاء بالأسلوب فهو يطبق ما تنتهي إليه القضايا المنطقية من استدلالات و حكم علي الخطاب الشعري، ف << إذا ذيلت أواخر الفصول بالأبيات الحكيمة و الاستدلالية و اتضحت شيات المعاني التي بهذه الصفة علي أعقابها فكان لها ذلك بمنزلة التحجيل زادت الفصول بذلك بهاء و حسنا و وقعت في النفوس أحسن موقع >>⁵⁹⁴ شرط عدم إقحام الفكرة المستحضرة في السياق لأن ذلك بمثابة التحلية فقد قال ب << أن يكون متراميا إلى ما ترامت إليه جملة معاني الفصل إن كان مغزاها واحدا أو يكون متراميا إلى ما ترامي إليه بعضها >>⁵⁹⁵ و قد تنافس الشعراء سابقا في إيراد آخر للقصيدة منظمنا الحكم و الأمثال كقول " امرئ القيس ":

<< أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعَدَمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةٌ وَ بَعْدَ الشَّبَابِ طَوْلُ عَمْرٍ وَ مَلْبَسًا >>⁵⁹⁶

و قد علق عليه العسكري قائلا:

<< فقطع القصيدة علي حكمة بليغة >>⁵⁹⁷

و هنا نتساءل هل يمكن للقصيدة أن تصبح غير مؤثرة و مقنعة إن هي اعتمدت علي مكوناتها الخاصة ؟ أم أن تعالق الأجناس الأدبية وارد ما دامت ذاكرة المبدع تحتفظ بمختلف ظروف العبارات التي تنتمي لمختلف الأجناس الأدبية ؟ و إلي أي حد يمكن للنص الشعري أن يتحمل التوظيفات ؟

إن " القرطاجني " يعتمد الأبيات الاستشهادية كسند نصي أو ما يسمى

les supports التي تعين المعاني الجمهورية خدمة للسياق الأدبي . << و يكون منحواً به منحى التصديق أو الإقناع ، مقصودا به إعطاء حكم كلي في بعض ما تكون عليه

⁵⁹³ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء:300.

⁵⁹⁴ المصدر نفسه:300.

⁵⁹⁵ المصدر نفسه:300.

⁵⁹⁶ أمرؤ القيس ، الديوان: 1117.

⁵⁹⁷ ابو هلال العسكري، المرجع السابق : 443.

مجاري الأمور التي للأغراض الإنسانية علاقة بها مما انصرفت إليه مقاصد الفصل
<<598 فنعد المعاني مؤكدة أكثر و >> يكون في ورود البيت الأخير الذي ينظم حكما
و استدلالا علي أثر المعني التي من أجلها يبين ذلك (...). إعانتا لها علي ما يراد منا تأثر
النفوس لمقتضاها >>599.

و كما هو ملاحظ فان هذه الطريقة بالنسبة "لحازم" مؤكدة للمعني و لذلك اعتبر >> هذا
الفن من صناعة النظم شريفا جدا >>600.

و لأن لكل حبيس خصوصية فلا يمكن تجاوز الحد الأقصى في الاستحضارات ، >> و
ينبغي أن لا يسبق في الاستكثار من هذا الفن من الصناعة ، فإنه مؤدّ إلى التكليف وسامة
النفوس و لكن في بعض نهايات الفصول دون بعض >>601 ، فليست كل الفصول بحاجة
إلى إستشهادات أو تمثيل و إنما يتم ذلك >> بحسب ما يعني للخاطر من ذلك و ينسخ من
غير استكراه و لا تكلف في وزن أو قافية أو هيئة نظامية بالجملة >>602.

و الإلحاح يقتضي من الشاعر أن ينثر في نهايات الفصول لمحات تزيد جاذبية و
رونق ما ورد في الفصول ف >> يقتضب الخاطر من ذلك ما ناسب الغرض ووسعه
مقدار الشعر و تمكن فيه روية و لم يكن قلقا في موضعه من جهة لفظ و لا
معنى >>603.

و البنية القلقة إفرار طبيعي لعدم انسجام بين السياق النصي و ما تم استحضاره ، فإذا ما
سعي المبدع إلى تحلية كل فصل خاتمة استدلالية فقد النص شعريته ، و هي دعوة
صريحة للاعتدال فالخطابة فن أدبي مستقل كما أن للشاعر قداسة فنية واضحة و
المزاوجة بين الفنين لا بد أن تبني علي التناسب لتكون صحيحة قياسا إلى المقصد .
إذ الصورة التي يقدمها "حازم" لنا عن بناء القصيدة و نظم مؤسسة علي تفكير نقدي و
منهج يربط مباشرة بما يجري داخل البنية من تضاعف للصور و الدلالات و رغم أن

598 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء:300.

599 المصدر نفسه:300.

600 المصدر نفسه: 301.

601 المصدر نفسه: 302.

602 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 302.

603 المصدر نفسه: 302.

الجانب الشكلي يعطي أحيانا إذا ما تعلق الأمر بالنظم و البناء – إلا أن ذلك لا يتم بصفة مستقلة بل بالتضافر مع كل مكونات الخطاب.

رابعاً : التدافع بين المعاني :

كثيراً ما تضع القصيدة الشاعر في موقف خاص يحدث خلاله إنتاج لغة خاصة بمعان خاصة تبعا لسياق محدد، فتنساب الأفكار، و تتسارع المعاني، إذ لا يقوى المبدع من التحكم في سلطتها، و قد تنفلت بعض منها و ينعكس حضورها سلبا على السياق الآني و هو ما أطلق عليه الناقد التدافع و بين السياق الذي يحدده الذهن و السياق الذي ترد فيه القصيدة قد يختل الموقف و هو الذي، سماه بعض النقاد و منهم " قدامة " بمراعاة مقتضى الحال فسياق القصيدة **إلا اتحد** و سياق الموقف يؤدي الغرض الذي وجد لأجله فالخطاب مجال منظم رغم تعقيده؛ فلا >>يتعرض فيه إلى ما هو أليق بمضاد الشيء المحاكى به (...) و ألا يتعرض في تخيل حال الشيء المحاكى به ما هو أخص بحال مضاد ذلك الشيء أو مناسب مضاده <<⁶⁰⁴ .

و قد عاب " حازم " هذا النوع من عدم التناسب – كما بينا في الفصل الأول عند حديثنا عن الروية – و لذلك دعا جل النقاد إلى الاعتناء بصورة القصيدة النهائية و لذلك قيل >> فلان يقرض الشعر و يحوكه و ينسجه و يشذره و يعمله و يصنعه و يعقده و ينظمه <<⁶⁰⁵ لـ >>كونه قادحا في غرض القول <<⁶⁰⁶ و لم يحدد الناقد وقوع ذلك في حال الارتجال أو في التروي، و هو الناقد الذي يجتنب الوقوع في الكثير من الزلات إلا أن التدافع الذي يقصد به في هذا المجال، يشمل الارتجال و التروي معا، فإذا كان المرتجل سيء الاختيار لأن الأفكار تنهال عليه فيقدمها كما هي دون تعديل فكيف للمروي أن يسيء الاختيار، بعد جهد حثيث في تحبير القصائد و تثقيفها؟.

إن الناقد في تقومه للأشعار يعتمد على مدى مراعاة ⁶⁰⁷ المتلقي من جهة و مناسبة الغرض عن جهة أخرى، و عندما يتحول المدح إلى ذم أو الذم إلى مدح ، فلا يملك المتلقي إلا أن يتسامح و هي الكلمة التي استعملها " حازم " كرد فعل من المتلقي ،

⁶⁰⁴ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 147 .
⁶⁰⁵ أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني الجزء الأول ، تحقيق عمر عبد الرحمان الساريسي، مكتبة الأقصى عمان، الأردن، 1406 هـ - 1986م : 111 .
⁶⁰⁶ حازم القرطاجني، المصدر نفسه: 147 .
⁶⁰⁷ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 147 .

<<اختباراً، أو لزرّ إلى المسامحة فيه اضطرار >>⁶⁰⁸ لأن العلة تشيب القول فيضطرب فتمتته الأذواق، لأن هذا القول ، << له علاقة لما هو خارج عن غرض القول مما سوى ذلك من أعراض المتكلم أو الموصوف أو المخاطبين >>⁶⁰⁹.

و قد أورد " حازم " نماذج كثيرة لتدافع المعاني و منها بيت " الفرزدق " :

بأي رشاءٍ يا جريرُ وض مآحٍ تَدَلَّيْتُ فِي حَوَمَاتِ تِلْكَ الْقَمَائِمِ⁶¹⁰

فقال له " جرير " : << جعلتني أتدلى على قومك >> ، فالشاعر أراد ذما فتدافعت

المعاني مدحا فالشطر الأول يمهد لذمه بينما يجعله الثاني في أعلى مقام.

و كما هو جلي فإن التركيز على إخراج المعنى بنسق خاص قد يخرج الأمور عن نطاقها و إذا كان " الفرزدق " أراد الذم فقال المدح فإن " جريرا " فعل عكس ذلك بقوله:

يَا بَشْرُ حَقِّ لَوْجَهَكَ التَّبْشِيرُ هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَ أَنْتَ أَمِيرُ

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبِّ جَرِيرِ⁶¹¹

فقال بشر: ما وجد ابن اللخناء رسولا غيري؟ >>⁶¹²

و قد يحدث أن يتعارض، الخطاب الشعري مع مناسبة الغرض و من ذلك قول " أبو نواس " :

أرْبَعُ البلى إن الخُشوعَ أَبَادِ عَلَيْكَ وَ إِنِّي لَمْ أُحْنُكَ وَ دَادِي

فتطير الفضل من ابتدائه >>⁶¹³ و هو الذي ابنتى دار جديدة و ازداد الأمر سوءا ختم القصيدة كما يلي:

<< سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فَفَدْتُمْ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَ غَادِ

استحكمت كراهته لما سمع، فما مر أسبوع حتى ركب بنو برمك >>⁶¹⁴ و هذه الأبيات تبدو جيدة السبك و النظم إلا أن مضمونها يعارض حال المخاطب، فهي مرسلة شعرية

608 المصدر نفسه: 148 .

609 المصدر نفسه: 147 .

610 في الديوان في حومات بدل هامات، المجلد 2، دار بيروت للطباعة: 321 . .

611 جرير ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر : 233 .

612 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 148 .

613 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 149 .

614 المصدر نفسه : 149 .

لم تجد خانتها في التأثير في متلقيها الخالي إلا أن ذلك لا ينفي عنها جودة النظم و الإيحاء في متلقين آخرين بعيدا عن هذا السياق

و من الأبيات التي لم تجد غايتها في متلقيها أيضا قول " أبي صخر " :

تَمَنَيْتُ مِنْ حُلِي عُلْبَةَ أَنْنَا
عَلَى رَمْتِ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفَرُ
عَلَى دَائِمٍ لَمْ يَعْبُرُ الْفُلُوكَ مَوْجُهُ
وَمَنْ دُونَنَا الْأَهْوَالُ وَاللَّجْمُ الْحَصْرُ
فَنَقْضِي هَمَّ النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ رُقْبَةٍ
و يُعْرِقُ مَنْ نَخَشَى نَمِيمَتَهُ الْبَحْرُ

615

و لا يمكن أن نغفل ما لجانب السبك اللغوي من دور مهم في تحقيق شعرية الخطاب خاصة، إذا تعلق الأمر بانتقاء ما جاء من العبارات و الألفاظ ف >> قد تكون للعبارة دلالة على أمر مكروه خارج عما جيء بها للدلالة عليه، إما باشتراك وقع في اللفظ، أو بعرف و استعمال حدث فيه و لو للعامة <<616 و الكراهة قد تكون سوء توظيف لغوي كقول " الصاحب بن عباد " :

ضَمَمْتَ عَلَى أَبْنَاءِ ثُعْلَبَ تَاءَهَا
فَتُعْلَبَ مَا كَرَّ الْجَدِيدَ أَنْ تُعْلَبَ

>> و مما أكد القبح في هذه اللفظة التي هي قوله ثعلب وقوعها قافية، فإنها مقطع الكلام و موضع تخلي السامع و تفرعه لتفقد ما مر على سمعه <<617 فهو تكرار غير مستساغ في نظر " حازم " >> فالسمع أقرب عهدا به، و هو أشد ارتساما فيه <<618 و منها ساقه الناقد في هيئة التدافع أيضا نبو الألفاظ المساهمة في تشكيل الخطاب و كان ذلك >> مما يجب التحفظ منه في المواضع التي يجب فيها التباعد عن الفحش و عن كل ما يتطرق به إليه و صون الكلام من جميع ما يكون فيه إنكار بأمر من أمور الريب و الرفث، و التعرض للأمور التي يفهم منها ذلك، و لو يعرف عامي أو استعمال لأهل **الهزل** <<619 مثل قول " مروان بن أبي حفصة " :

>> يغمرها كل عرق من أرومتها يزداد طيبا إذا العراق لم تطب

615 المصدر نفسه: 153 .

616 المصدر نفسه: 150 .

617 المصدر نفسه : 151 .

618 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 151 .

619 المصدر نفسه: 151 .

فلفظه عرق بعد قوله يمزها قبيح بالنظر إلى ما هو متعارف عند العامة >>⁶²⁰.

و مقياس " حازم " النقدي هنا أخلاقي بحت و هو في هذا متأثر بما ورثه عن النقاد العرب و كذا عن أرسطو و رأيه في الفضائل و يؤكد ذلك " حازم " بقوله : و قد كان بعض الشيوخ الذين أخذت عنهم هذه الصناعة يوصي باجتناب الألفاظ التي يفهم منها علي حدتها أو مع ما يكتنفها معني قبيح و لو بالعرف العامي >>⁶²¹.

من خلال ما انتقاه الناقد من أبيات شعرية و رأيه في تدافع المعاني و اعتبار أن هذا النوع من الكتابة غير صحيحة لاضطرابها الناجم عن مناقضتها للسياق العام الذي تشكّله عدة عناصر منها :

أولا المعرفة اللغوية : حيث يكون الغرض الموجه الأول للقول الشعري ، و به يكون أحسن وضع هو الذي يراعي فيه إيراد الشيء بأحسن وجه ، تأليفا لغويا و معنويا منسجما مع غرض الخطاب . فالتنافر الذي لو عزه حازم في بعض الشواهد التي ذكرها ناجم عن عدم انسجام الضرورة التي تمثلها المعاني الثواني **كبنية نصية** مع بقية البنى المشكلة للنص ، و يؤدي هذا إلي >> التباين بين الألفاظ و المعاني و الأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقا و مقترنا بما يناقضه و يدافعه و يناصره >>⁶²²، و قد يكون الخلل فنيا ؛ إذ تتذبذب القوة علي التهدي و القوة المائزة في انتقاء المعاني و الألفاظ ، مما لا يدع مجالاً لتوظيف ما كان أقل من ذلك جاذبية ، و هو ما يفتح المجال لاحتمالات متفاوتة الحس و هذا كله حسب " حازم " يعصف بقوة تأثير الخطاب و **يقوّض** سبيل التواصل بين المبدع و المتلقي . إلا أن هذه الحكم لا يكتسب صفة القداسة بل أن قراءتنا النقدية هي التي تتحكم في قيمة النص الذي >> لا يحمل في النهاية حقيقة واحدة ثابتة >>⁶²³ . و لو كان النقد موضوعيا لما وصفت هذه

620 المصدر نفسه : 152 .

621 المصدر نفسه : 152 .

622 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 153.

623 سحر محب مشهور مقال : نحو فهم العملية الإبداعية : نظرة تأويلية (دراسة تطبيقية) مجلة فصول مجلد السابع ، العددان 3- 4 ، أبريل - سبتمبر 1987 مصر : 164 .

الأبيات بالتدافع و لا يختص حازم بذلك ، فقد سبق " ابن طباطبا " في وصف بيت **الأعشي** بالغبثاة :

بَأَنْتَ سَعَادٌ وَ أَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا وَ أَحْتَلَّتْ الْعَمْرَ فَالْجُدَيْنَ فَالْفَزْعَا⁶²⁴

و عدها >> من الأشعار الغثة الألفاظ ، الباردة المعنى ، المتكلفة النسخ ، القليلة القوافي <<⁶²⁵

و مثلما فعل "الباقلائي" – أيضا - الذي وسم أبيات " أمرئ القيس " بالفحش إثباتا لإعجاز القرآن الكريم⁶²⁶ و هذا كله يحصل عندما يتدخل السياق الاجتماعي و العرف في تشكيل النقد و القراءة فيصبح الذوق هو الرقيب الحاضر الغائب عند "حازم القرطاجني" في حين نجد أن ناقدا آخر هو " السجلماسي " قد أورد في مؤلفه أبياتا شعرية تماثل التي عدها " حازم " مما تدافعت فيه المعاني لكن صاحب المنزع لم يطعن في النصوص فقد حاول تعديل المصطلح الذي و سمه >> وضع المدح موضع الذم و إخراج مخرجه ، و أما وضع الذم موضع المدح وإخراجه مخرجه <<⁶²⁷ و قد ذكر في ورود المدح في صورة الذم قول الشاعر التالي :

وَ لَأَخْلَوْتَ الدَّهْرَ مِنْ حَاسِدٍ فَإِنَّمَا الْفَاضِلُ مَنْ يُحْسَدُ <<⁶²⁸

وقد علق الناقد عليه >> بأن الممدوح قد حصل في رتبته من يشتم حسدا له فصله، و [نبذه]⁶²⁹ أبناء جنسه ، لأن الفاضل هو الذي يحسد و يوقع <<⁶³⁰ و ذلك كأن نقول >> قاتله الله ، و لعنه الله ما أفصحه <<⁶³¹ ؛ أما ورود الذم في صيغة المدح فهو نوع من الهزأ كقول الشاعر :

يُجْزَوْنَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَ مِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا⁶³²

624 الاعشي ، الديوان ، دار صادر ، لبنان : 105.

625 ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر : 105.

626 انظر احسان عباس في تاريخ النقد العربي القديم: 352.

627 السجلماسي ، المنزع البديع : 296.

628 السجلماسي ، المرجع السابق : 296.

629 في الاصل بذه

630 السجلماسي ، المرجع السابق : 296.

631 المرجع نفسه : 296.

632 المرجع نفسه : 297.

و ذلك مثل ماورد في القرآن الكريم بعد: بسم الله الرحمن الرحيم >> **دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**<<⁶³³.

و كما نري فات القراءة هي لبتي تحدد قيمة النص و حقيقته ، التي تفاوت النقاد القدماء
في الإحساس بهما **فبدا ذلك واضحا** في نقدهم و آرائهم .

⁶³³ سورة الدخان الآية 49.

خامسا: المسافة الجمالية بين المتشابهات *

و ارتباط التماثلات بالمتشابهات أي القرائن المحققة للتشابه لا يفضي إلى سهولة الاهتداء إليها و لا يعني بالضرورة سهولة تقبل المتلقي لها⁶³⁴ ؛ فالتشابه لا يعني قرب المسافة بين المعاني المتشابهة و هو ما كان سائدا لدى النقاد ف >> الشعر في نظرهم هو الاستعارة القريبة <<⁶³⁵ و إلا فما جدوى التجاوز الجمالي ؟ و لذلك >> فان كانت الأمثال أو الأشباه عديدة الوجود لم يحسن الاستيعاب و وجب التخطي فيها من الأشرف إلى الأشرف ، وكان جديرا ألا يناسب منها إلا بين ذوات الشهرة والمناسبة لغرض الكلام <<⁶³⁶ و هو رأي يحسب " لحازم القرطاجني " ، خاصة و أن النقاد قبله قد دعوا إلي ضرورة تقريب المسافة بين المتشابهات . فقد كان التطابق بين طرفي التشبيه من المسلمات⁶³⁷ .

و مع " حازم " بدأت هذه الفكرة تفقد سلطتها، سلطة قد كانت سارية المفعول لدى النقاد فقط ، بينما لم يحترم المبدعون ما سنه النقاد . و قد تحدث حازم عن هذه المسألة و ربطها بتحقيق عنصر المفاجئة عند المتلقي⁶³⁸ في معرض حديثه عن المحاكاة أنواع التشبيهات و هي قسمان : >> فالقسم الأول هو التشبيه المتداول بين الناس و القسم الثاني هو التشبيه الذي يقال فيه انه مخترع <<⁶³⁹ و بينما يرسم الأول بالعادية، يجسد الثاني فعل التجاوز الجمالي >> و هذا اشد تحريرا للنفوس إذا قدرنا تساوي قوة التخيل في المعنيين لأنها أنست بالمعتاد قبل تأثير هالة و هو حكم بعيد الاعتبار لكثير من الأشعار التي اعتبرت ناقصة⁶⁴⁰ و لناخذ علي سبيل المثال بيت " أبي تمام " الذي أورده " أبو هلال العسكري " :

* نستشهد على المتشابهات بالتشبيه .
635 مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد العربي ، دار الأندلس، د ط ، د ت : 109
636 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 46.
637 أنظر نوال الإبراهيم، طبيعة الشعر عند حازم القرطاجني: 84 .
638 أنظر جذور ذلك عند أرسطو و علاقة المسافة باللذة الجمالية ، محمد لطفي اليوسفي ، الشعر و الشعرية، الفلاسفة و المفكرون العرب ما أنجزوه و ما هفوا إليه ، الدار العربية للكتاب د ط ، 1999 م : 166 .
639 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 96.
640 أنظر ابو هلال العسكري ، الصناعيين : 257.259.

كَأَنِّي حِينَ جَرَدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ غَضَبًا صَبَّيْتُ بِهِ مَاءً عَلَى الزَّمَنِ

ولا يكاد يري تشبيهه أبرد من هذا << 641 .

إن البرودة التي استشعرها أبو هلال راجعة إلى بعد المسافة بين طرفي التشبيه ، خاصة و أن " أبا تمام " قد شبه حالة معنوية و هي فقدان الأمل و الرجاء بصورة مادية خالصة و هي *صورة الماء و النار* رغم أن تباعد المشهدين يوحى بقربهما فلا يحتاج لجهد كبير لنقارب بين المشاعر الملتهبة و إصابتها بالخيبة و بين النار الملتهبة و مواجهتها بالماء دون إغفال عامل الزمن في الصورتين و هي الحقيقة التي أدركها حازم في بعض المواطن كالتشبيه و لم يلتزم بها في مواطن أخرى* ، وقد كانت المحاكاة مجالا مفتوحا ليحس حازم أن التجاوز الحالي هو الذي يحقق الفجوة الفنية ؛ ف >> لا تجد النفس للمناسبة بين ما كثر وجوده ما تجد لما قل ، من الهزة و حسن الموقع ، لكونها لا تستغرب جلب العتيد استغراقها لجلب ما عز << 642 .

إن " القرطاجني " يمحو الحد الفاصل بين المتشابه و التشبيه إذ لو رد الكتابة أو الاستعارة البلاغية في مقام المتشبه خاصة إذا كانت النسبة هي الأساس في هذا التأليف مع الاحتفاء بخصوصية كل المصطلحات ؛ فبعد المسافة بين طرفي التشبيه يقربها من قرينة المشابهة التي يمثلها وجه الشبه كما بينا في بيت " أبا تمام " . كما أن لاستعمال الناقد لمصطلح المتشابه بغير الاعتماد علي التكافؤ بين العنصرين يدل علي أن عوالم الكتابة الأصلية تكسر كل الأعراف و صهر القرائن التي تحقق التطالب لا يعني تحقيق التطالب في كل الحالات ؛ ذلك أن التماثل و التشابه قد يقع في أشياء كثيرة الوجود ، و قد لا تقع هذه النسب إلا في أشياء قليلة و هو ما يحيلنا مباشرة على فضاء الاحتمالات . و الاحتمال لا يتجسد نسا إلا إذا وجدت النسبة بين المعاني .

641 المرجع نفسه : 258-259.

* مثل التدافع في المعاني.

642 أبو هلال العسكري المرجع نفسه: 44.

سادسا: السرقات الفنية / حوار النصوص

لا تعني الكتابة الشعرية الانطلاق من العدم، فالقصيدة لا تأتي من فراغ إذ لا تعد >>هبة إلهية أو شيطانية تهبط في غفلة و على حين غرة دون أن يدري لها الشاعر مصدرا <<⁶⁴³ فحياة المبدع مملأ بالتجارب الإيجابية و السلبية و الأحداث التي تترك معالم في نفسه كما ترتسم في ذاكرته، هذا بالإضافة إلى اعتماد الشاعر على رواية الأشعار ، و الثقافات المحلية و الأجنبية، فتصبح هذه الغنائم الفكرية زادا لمخزونه و معينا دسما لرؤياه الشعرية ف >> الذاكرة الشعرية بئر طافحة حتى القرار بخزين لا ينتهي من القرارات المنسية، و لا تتم كتابة القصيدة بمعزل عن تلك البئر الغائصة بخزينا المتلاطم <<⁶⁴⁴ و هو ما يستثمره الشاعر في تكوين النصوص الإبداعية، لتجتمع فيها كل الآراء أو جلها و بعض القرارات الخاطفة لبعض الأبيات القديمة >>الفنانون في الغالب الأعم ينسون محاولاتهم السابقة، و يغفلون قراءاتهم و تأملاتهم و مشاهداتهم، تلك التي تدور حول الفكرة التي تراود اذهانهم <<⁶⁴⁵ فتكون نصوصهم حبلتي بتلك المشاهد و الخبرات، و لأن التعامل مع أي ظاهرة خاضع لسياق ثقافي معين فان النقد العربي القديم تعامل مع هذا الموضوع باهتمام كبير فكان أول ما أصطلح عليه هو **السرقات** ، باعتبار أن القصيدة تحمل بصمات و أفكار صاحبها لا غير ، وإذا حدث و إن ظهرت فيها بعض الأفكار الدخيلة عليها غير مسروقة ، و لذلك كان اهتمام النقاد بالسرقة كبيرا جدا ، لأنها كانت بمثابة الخروج من العرف الإبداعي – حسب تصورهم – قصة السرقة مطروحة كثيرا ⁶⁴⁶ ، في النقد القديم و الحديث مع اختلاف المصطلحات و لذلك فإننا في هذا المقام سنركز علي رأي " القرطاجي " خاصة و أنه عاش في مرحلة زمنية خاصة قياسا إلى بدايات النقد العربي القديم ، و بداية سنطرح بعض الأسئلة و التساؤلات التي نترك الإجابة عن بعضها للقارئ و هي في مجملها تتعلق بالسرقة الفنية ، فهل تعد عيبا فنيا ؟ و بماذا نفسر

⁶⁴³ محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى: 1958 : 248.

⁶⁴⁴ علي جعفر العلق، الشعر و التلقي، دراسة نقدية، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 1 ، 2002 ، 131 .

⁶⁴⁵ محمد مصطفى هذرة ، المرجع السابق: 248 .

⁶⁴⁶ انظر المرجع نفسه: 348.

اقترانها بالنابغين من المبدعين " كابي نواس" و " البحترى " و " أبو تمام " ؟ >> حتى إذا وصلنا إلى " المتنبي " فاض **فيض في المؤلفات في سرقاته** <<⁶⁴⁷ .

و إذا سلمنا جدلا أن السرقة تقصير من المبدع لعدم امتلاكه القدرة الكافية على التجديد و الابتكار فلماذا ظل شبح السرقات يطارد شعراءنا ، رغم إدراكهم بان النقد و العرف يزمانها؟! و هذا يحيلنا إلى مسألة أخرى و هي توظيف النصوص السابقة يتم نوعي من المبدع كما يري ، بعض النقاد المعاصرين؟⁶⁴⁸ و هل كان بعض نقادنا القدماء يدعون إلى نوع من الكتابة الصفرية؟! .

و لماذا >> لم يستتفك النقد العربي في كل عصوره – السرقة الحاذقة <<⁶⁴⁹ و صب جل غضبه علي سوء الأخذ؟

- هل حافظ مصطلح السرقة على حساسيته عند " حازم القرطاجني " ، أم أن المسألة أخذت معه منحي آخر؟ فإذا كان >> الانتحال ، النسخ ، و المسخ ، و الإغارة ، و الإلمام ، و السلخ ، و النقل و القلب <<⁶⁵⁰ و غيرها من المصطلحات تندرج ضمن السرقات فأين يصنف مصطلحات أخرى تبناها كالتصرف و الاقتباس و التصنيف و التلويح ... الخ و أي مصطلح يمكن إن يحتويها في إطار الفن؟! .

و هل يمكن استنفاذ المعاني - فعلا – كلما كثر المبدعون ، و تقدم الزمن؟! .

إن حديث " حازم " عن السرقة هو حديث مباشر عن المعاني ، فالنقاد بصفة عامة لم يحفلوا بالألفاظ لأنها ليست عرضة للسرقة فهي >> مباحة غير محظورة إنما السرقة تتحقق في المعاني البديعية المخترعة <<⁶⁵¹ و قد رأى بعض النقاد العرب بأن آفاق ابتكار المعاني قد ضاقت بالنسبة للشعراء المتقدمين و كان هذا ذريعة للتسامح معهم و لكن هذا ليس مبررا كافيا إذ كيف نفسر حالة السرقة التي حصلت في عصور الازدهار الشعري كالعصر العباسي.

647 ا حسان عباس تاريخ النقد الأدبي : 39.

648 أنظر جابر عصفور الصورة الفنية : 92.

649 المرجع نفسه : 92.

650 أحمد مطلوب ، المعجم مصطلحات النقد القديم : 251.

651 أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحترى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف القاهرة، الطبعة 4 ، 1992 : 346 .

و المعاني عند " حازم " مقسمة إلى ثلاثة أقسام :

فأما القسم الأول >> فهو مثل ما يتداوله الناس من تشبيه الشجاع بالأسد و الكريم بالغمام ، و هذا القسم لا سرقة فيه ، ولا حرج في أخذ معانيه لأن الناس في وحداتها ثابتة مرتسخة في خواطرهم <<⁶⁵² و هو الرأي الذي وجدناه عند الأدمي إذ يقول >> و لم تنزل العامة و الخاصة تشبه الورد بالخدود و الخدود بالورد نثرا و نظما (...) و هو من الباب الذي لا يمكن إدعاء السرقة فيه إلا بتناول زيادة تضم إليه ، أو معني يشفع به <<⁶⁵³ ف >> لا فضل (...) (فيه) لا حد علي أحد إلا بحسن تأليف اللفظ <<⁶⁵⁴ و هذا القسم من المعاني يتجزأ بدوره إلى ثلاثة أنواع هي الاشتراك و الاستحقاق و الانحطاط ؛ >> فإذا تساوي تأليف الشاعرين في ذلك فانه يسمى الاشتراك ، وإن فضلت فيه عبارة المتأخر عبارة المتقدم فذلك الاستحقاق له استحق نسبة المعني إليه بإجادة نظم العبارة عنه ، و إن قص فيه عن تقدمه فذلك الانحطاط <<⁶⁵⁵ و قد تحدث " الجاحظ " عن النوع الأول مع فارق ظاهر في الصياغة فقد اعتبر أنه من الاسوء أن >> يستعين بالمعنى و يجعل نفسه شريكا فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم و أعاريض أشعارهم و لا يكن أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه <<⁶⁵⁶.

و قد تحدث النقاد كذلك عن الاستحقاق و >> من أخذ معني عاريا فكساه لفظا من عنده كان أحق به <<⁶⁵⁷، و أما الانحطاط فذلك ما تعاورته الكتب النقدية من قبح الآخر و سوء الإلتباع⁶⁵⁸ و هنا نلاحظ بأن " القرطاجني " قد بلور أفكار غير ه من النقد و صياغتها في مصطلحات بعضها معروف و الآخر مبتكر .

-أما القسم الثاني ، فهي >> المعاني التي قلت في انقسامها ، أو بالإضافة إلى كثرة غيرها فما كان بهذه الطبيعة فلا تسمح في التعرض إلا شيء منه <<⁶⁵⁹، فهي أقل

⁶⁵² حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 192-193.

⁶⁵³ الامدي المرجع السابق : 346.

⁶⁵⁴ حازم القرطاجني، المصدر السابق :193.

⁶⁵⁵ المصدر نفسه:193

⁶⁵⁶ الجاحظ ، الحيوان ج 3 : 311.

⁶⁵⁷ عبد القاهر الحرحاني ن دلائل الإعجاز ن تحقيق د/ محمد رضوان و د/ فايز الدايبه دار قسيبية : 392.

⁶⁵⁸ أنظر أحمد مطلوب المعجم في سوء الاخذ و سوء الاتباع 317 : 256.

⁶⁵⁹ حازم القرطاجني، المصدر السابق :193

خصوصية من المعاني الأولى مما يوجب الانتباه إذا ما أريد التعامل معها و إظهارها في غير الشكل الذي كانت عليه و ذلك بـ << أن يركب الشاعر علي المعاني معني آخر و منها أن يزيد عليه زيادة حسنة ، و منها أن ينقله إلى موضوع أحق به من الموضوع الذي هو فيه و من ذلك أن يقلبه و يسلك به ضد ما سلك الأول ، و من ذلك أن يركب عليه عبارة أحسن من الأول >> 660 .

و نلاحظ هنا كيف أن مصطلح القلب لا يعد سرقة كما عده النقاد القدامى ، بل هو تمكن منه في تصير القول الجميل أكثر جمالا و قد استشهد " حازم " ببيتين لـ " بشر بن أبي خازم " التالين:

<< إِذَا مَا الْمَكْرُمَاتُ رَفَعْنَ يَوْمًا
وَصَرَ مُبْتَعُوهَا عَنْ مَدَاهَا
و ضَاقَتْ أَدْرُغُ الْمُثْرِينَ عَنْهَا
سَمَا أَوْسُ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا >> 661

و الذي أخذه الشماخ و صاغه كما يلي :

<< إِذَا مَا رَأْيَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ
تَلَقَّاهَا عُرَابُهُ بِالْيَمِينِ >> 662

و قد اعتبر الناقد أن المعنى إذا خلا من التحسين فسد و << ما ليس داخلا تحت تلك الشروط و ما جري مجراها مما يزيد في المعنى زيادة مقبولة فهو سرقة محضة >> 663 .

- و تزداد الخصومة في المعاني الخاصة بالقسم الثالث فهي << المعنى العقيم >> و يظهر من معناها عدم قابليتها للتوليد فهي من الصنف الذي << لم يوجد له نظير و هذه هي المرتبة العليا في الشعر من جهة استنباط المعاني ، من بلغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك >> 664 .

و قد تحدث النقاد كثيرا عن بعض التشبيهات العميقة 665 و لم يجيزوا هذه المعاني لأن ذلك يحدث خلا واضحا و أن المعنى أستنفذ في الصياغة الأولى و من أبرز التشبيهات

660 المصدر نفسه :193

661 المصدر نفسه :193

662 المصدر نفسه :193

663 المصدر نفسه :194.

664 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 194.

665 أنظر أحمد مطلوب معجم مصطلحات النقد العربي القديم : 387-388.

العقيمة، تشبيه الروضة بالذبات لعنتره ، ومع إن " القرطاجني " يتفق مع أسلافه علي إن المعاني العميقة >> لا تفتح ولا تحصل عنها نتيجة ولا يفتح منها ما يجري مجراها من المعاني << 666 . لأنه يفتح مجالا ضيقا لتوليد المعني مستشهد بتشبيه عنتره للروضة الذي أخذه " ابن الرمي " و بعد أن قال " عنتره " :

وَ خَلَا الدُّبَابُ بِهَا يُعْنِي وَحَدَّهُ
هَزَجًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمُتَرَّثَمِ
غَرْدًا يَسْنُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ
قُدْحَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَا وَ الْأَجْدَمِ 667

تناول " ابن الرومي " المعني و صاغه بحده شكل قائلا :

وَ غَرَدَ رِبِيعِي الدُّبَابِ خِلَالَهَا
كَمَا حَثَّ النَّشْوَانُ صُبْحًا مُشْرَعًا 668

و قد علق " القرطاجني " علي هذا قائلا : >> ألا تري أنهم عابوا علي " ابن الرومي " حظه من الاختراع الحظ الأوفر – تعرضه لقول " عنتره " (...) علي إن " ابن الرومي " قد نحا بالمعنى نحو آخر ، حين جعل تغريد الذباب ضربا موقعا علي شدوات الطير، و هذا تخيل محرك علي ما قصد " ابن الرومي " تحريك النفوس إليه و إيلاغها به << 669 و نلاحظ هنا إمام حازم ببعض التفاصيل الدقيقة للإبداع و تلك سمة من سمات نفاذ خاطر و اتقاد الفكر ؛ إذ أدرك أن المبدع الذكي يستطيع مراوغة المعني مهما كان متمتعا ، لتجسيد خرق جديد ، يجعل المتلقي يفكر و يفكر و يبقي القرار غير نهائي مادامت القصيدة لم تكتمل .

و لا يعني هذا استنساخ المعاني لأن >> نقل المعني النادر من غير زيادة (...) من أقبح السرقات ما لا يخفي علي أحد أنه سرقة << 670 . و ينكشف لنا في هذا المجال أن، تعامل " القرطاجني " مع السرقات البحتة مختلف تماما عنه عند بعض النقاد ك " الأمدى " و "

666 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 194

667 الزوزني شرح المعلقات السبع: 106 .

668 الديوان ، ابن الرومي دارصادر بيروت لبنان.

669 حازم القرطاجني المصدر السابق: 194-195.

670 المصدر نفسه: 195.

الحاتمي " و " الصاحب " و " الصولي " و غيرهم فهو لا يناقش فيها كثيرا لأن لا براعة فيه فهو مجرد نقل مشوه فقط .

كما تحدث حازم عن تناول المعاني القديمة و علاقة ذلك بتقدم أو تأخر الشاعر زمنيا و قد حاول " عبد القاهر الجرجاني " أن يعيد صياغة بيت للحطيئة بإبدال كل كلمة بما يناسبها و خاص إلى ما يلي :

>> دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُعَيْثِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

دُرِّ الْمَفَاخِرِ لَا تَذْهَبْ لِمَطْلِبِهَا وَاجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْآكِلُ اللَّابِسُ <<671

و المقياس الذي اعتمده في هذه العملية الإبداعية هو >> النظم الذي هو توخي معاني النحو و أحكامه <<672، و مع أن " عبد القاهر الجرجاني " قد حاول الرد علي مقولة انتساب المعاني لصاحب البراعة و إن كان متأخرا إلا أنه وقع في تناقض جوهرى لأن معاني النحو و إحكامه مهما كانت دقيقة و فنية لا تصنع شعرا ، كما أن هذه الأبيات الجديدة لم تصدر عن شاعر و لنا أن نلاحظ الفرق بينهما و بين قول " المتنبي " :

>> بَسَّ اللَّيَالِي سَهْرَتَهَا مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ بَبَيْتُ يَرْفُدُهَا

مع " البحترى " :

لَيْلٌ يُصَادِفُنِي وَ مَرْهَفَةٌ الْحَشَا ضِدَّيْنِ أَسْهَرُهُ لَهَا وَ نَنَامُهُ <<673

و بينما يعلل " الجرجاني " التفاوت بين الشعراء المتقدمين و المتأخرين باحتمالين: >> إما لأن متأخرا قصر عن تقدم و إما لأنها متأخرة لشيء لم يهتد إليه المتقدم <<674، فإننا نجد " حازما " يري بأن >> الفضل في اختراع المعنى للمتقدم و الفضل في تحسين العبارة للمتأخر ، و القول الثاني الذي حسنت فيه العبارة بلا شك أفضل من الأول <<675 و هو القول الذي تبناه " ابن رشيق " عندما اعتبر >> مثل القدماء و المحدثين كممثل رجلين ابتداء هذا بناء فأحكمه و تقنه ثم أتى الآخر فنقشه و زينه فالكلفة ظاهرة علي هذا و إن

671 - عبد القاهر الجرجاني دلائل الانجاز تحقيق د/ محمد رضوان الدايه ، د/ فايز الداية دار قتيبة : 325.

672 المرجع نفسه : 326.

673 عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق : 327.

674 المرجع نفسه : 327.

675 حازم القرطاجني المصدر السابق : 195-196.

حسن و القدرة ظاهرة على ذلك و إن خشن <<676، ولا أن ننسب الجودة و الإتقان على حساب العصر ؛ >> لأن المعنى لا يؤثر فيه التقدم و لا التأخر شيئاً ، وإنما ترجع فضيلة التقدم إلى القائل لا المقول فيه <<677 و قد كان "القرطاجي" فطنا عندما لم يفسر سبب الجودة التي يتعاون فيها الشعراء كما فعل " الجرجاني " إذ نسبها للنظم ، بل ترك قوله مفتوحاً و قابلاً للقراءة و التأويل ، لأن التفسير يطبق على المعنى فهناك قيم جمالية يعكسها المبدع على خطابه فيكون أكثر ألفاً و إشراقاً ، و لأن قدرات الشعراء تختلف فإن كتاباتهم ستكون كذلك ؛ >> و من ابرز المعنى النادر في عبارة اشرف من الأولى فقد قاسم الأول الفضل <<678، وإبراز المعنى في صورة حسنة يعني تعديله فنياً و بالتالي جمالياً ، كما فعل " الطرماح " مع بيت النابغة :

>> مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُوشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَرِ الْفَرْدِ <<679

فأصبح :

>> يَبْدُو وَ تُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَ يُعْمَدُ

فزاد " الطرماح " عليه أن جعله مسلولاً في حال ظهوره مغمداً في حال إضمار البلاء له <<680 .

إن " القرطاجي " يتعامل مع المعاني بليوننة مثيرة، و سواء أ كانت هذه المعاني مشاعة أو قليلة أو حتى عقيمة ، لا يمنع الشاعر من مداعبتها إذا أجاد فن اللعب بالدلالات ، كما جعل النص بجودته و بدرجة إبداعه الحكم في الجودة ، و هذه الانسيابية في معالجة النصوص هي إحساس خفي بأن الكتابات تتقاطع ، لأن ذلك يحدث فعلاً في لا شعور الفنان الذي يركز على مزيج من >> الخبرات و القراءات التي تنتشر في ثنايا النص لتتجسد بعد ذلك ، عبر مراياها المشكلة صياغة و أبنية و تقنيات <<681 .

676 ابن رشيق العمدة في صناعة الشوك 81.

677 حازم القرطاجي المصدر السابق : 196.

678 المصدر نفسه : 195.

679 المصدر نفسه : 196.

680 حازم القرطاجي منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 196

681 علي جعفر العلق ، الشعر و التلقي : 131.

وليس هذا الإحساس وليد النقد " القرطاجي " بل هو متغلغل في التراث النقدي و هو الدافع للحديث عن الموارد ، و الاحتذاء و الإتياع ⁶⁸²، و هي كلها تجعل النص جمالية وسطى تابعة لنسق ثقافي خاص ؛ فعندما >> يعتمد الشاعر علي مادة قراءته و أهمها بالطبع الأشعار التي قرأها أ وحفظها خلال حياته ، و من هنا يقع التشابه أو التماثل بين بعض أفكاره و صورته ، و أفكار و صور الشعراء الذين سبق أن قرأ لهم و حفظ لهم أشعارهم << ⁶⁸³.

و المبدع لا يمكنه البوح إذا لم يطلق سراح الكون ليسكن في كل خلية من خلايا النص و >> ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم و الصب في قوالب من سبقه << ⁶⁸⁴.

ووعي " حازم " بعثيه الفصل بين لحظة الكتابة و الماضي جعله يتبني القوه علي التشبه بل و يجعلها في مقدمة القوي العشر لما لها من دور فعال في بلورة الفعل الإبداعي فهي تربطه بالنسق الثقافي و >> الشاعر الخلاق هو الذي يبدو في نتاجه كأنه نابع من كل نبضة حية في الماضي << ⁶⁸⁵.

وكما لاحظنا فإن حازما متمهل في إطلاق مصطلح السرقة ، فقد صنف الشعر إلى >> اختراع ، و استحقاق و تركة و سرقة << ⁶⁸⁶، مع اعتبار البراعة و الجودة و الابتكار في التفاوت بين الأصناف الأربعة ؛ >> فالاختراع هو الغاية في الاستحسان و الاستحقاق نال له ، و التركة منهما ما يساوي الآخر فيه الأول فهذا لا عيب فيه ، و منه ما ينحط فيه الآخر عن الأول فهذا معيب ، و السرقة كلها معيبة ، و إن كان بعضها أشد قبحا من بعض << ⁶⁸⁷ ، و السرقة هنا النقل الأجوف ف >> من أقبح المساوي أن يعتمد الشاعر ديوان واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه << ⁶⁸⁸.

682 أنظر أحمد مطلوب : المعجم مصطلحات النقدي القديم : 411-48-38.

683 محمد مصطفي هدارة مشكلة السرقات : 252.

684 أبو هلال العسكري سر الصناعتين .

685 أدونيس سياسة الشعر . دار الآداب - بيروت الطبعة الأولى -1985:266.

686 حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 196.

687 المصدر نفسه : 196.

688 الامدي الموازنة : 346.

لما كان الخطاب الإبداعي فضاء لالتقاء الروافد و المرجعيات الفكرية و الثقافية و الفنية عدت << معاني الشعر كالهواء و المرعي و الماء >>⁶⁸⁹، فهي غير قابلة للنفاد و الرأي القائل : << إذ لم يترك المتقدم للمتأخر شيئاً >> لا يؤخذ به لأن في كل زمان حديداً ، و في كل عصر بديعاً >>⁶⁹⁰ ، و تلك هي طبيعة الإبداع ف << النص يحاور غيره من النصوص من قبل إلى بعد (...) النص خطاب يحرك سائر النصوص يغيرها بأن تتقدم إليه و لذلك كان تفهم النص تفهما للخطاب المتبادل بين النصوص >>⁶⁹¹ . و إذ تتحاور النصوص فيما بينها جمالياً يحدث التجاوز الناجم عن << تعالق النصوص بعضها ببعض >>⁶⁹² .

كما أن << الصور المتكررة ليست سرقة أو نقلاً أجوف لأنماط معينة عبر عنها السابقون بل هي استلهاً لمكونات هاجعة في ألبان و عي الإنسانية، استطاعت أن تتخطى العصور و ظلت تجد استجابة في نفوس الشعراء و المتلقين >>⁶⁹³ ، و فهم هذه العوالم يتطلب وعياً حضارياً بالدرجة الأولى يفهم الماضي و يستوعب الحاضر و يفكر في المستقبل ، و يتعمق أكثر في عملية تحاور النصوص من خلال الحديث عن الاقتباس و التصرف في المنازع .

⁶⁸⁹ دار إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 40.
⁶⁹⁰ دار أحمد مقلوب معجم مصطلحات النقد العربي القديم : 32.
⁶⁹¹ مصطفى ناصف محاورات مع النثر العربي ، عالم المعرفة رمضان 1417 هـ الموافق لـ فبراير شباط 1997. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب الكويتي : 10-11.
⁶⁹² طه عبد الرحمان في أصول الحوار و تحديد الكلام المركز الثقافي العربي ط-2-200 : 47.
⁶⁹³ ريتا عوض أسطورة الموت و الانبعاث في الشعر الحديث الموسوعة العربية للدراسات و النشر الطبعة الأولى نيسان أبريل 1978 - : 12.

الاقتباس:

المنهج الثاني*: الذي تستثار به المعاني فإنها >> تقتبس منه بسبب زائد على الخيال و الفكر <<⁶⁹⁴ فالمبدع لا يكتفي بما يبتكره من صور و نتيجة من دلالات بل يعمل ذهنه و يوجه >> الفكر إلى كلام جريء في نظم أو نثر أو تاريخ أو حديث أو مثل <<⁶⁹⁵ . و " القرطاجني " لا يذكر هنا القرآن الكريم رغم أن الاقتباس ارتبط أول ظهوره بالقرآن الكريم⁶⁹⁶ .

إن النص في تحاوره مع الموروث يحيل على جنس أدبي و الإحالة استحضار لسياقات معينة تستجيب لسياق النص إذ >> يبحث الخاطر فيما يستند إليه من ذلك على الظفر بما يسوغ له معه إيراد ذلك الكلام أو بعضه بنوع من التصرف و التغيير أو التضمين <<⁶⁹⁷ ف >> الذاكرة لا تخزن الصورة فحسب و إنما تصورها و تغير من طبيعتها <<⁶⁹⁸ و لما يتم اقتباس هذه المكونات تذوب في النص فتصبح جزء منه، فالنصوص التي لا تحتك بالذاكرة الجمعية تبقى مجرد بوح رائق لا غير >> لا ينبغي للشعر أن يكون أيضا خاليا مغسولا من هذه الحلي <<⁶⁹⁹ التي تمنحه عبقها إذا أحسن توظيفها؛ >> فيحيل على ذلك أو يضمه أو يدمج الإشارة إليه أو يورد معناه في عبارة أخرى على جهة قلب أو نقل إلى مكان أحق به من المكان الذي هو فيه <<⁷⁰⁰ .

و هنا لا بد من الإشارة إلى أن مصطلح التضمين يختلف معناه من ناقد إلى آخر فبينما يعده >> من محاسن الكلام عند ابن المعتز <<⁷⁰¹ نجد أنه >> من عيوب الشعر عند أبو هلال العسكري، و هو أن الفصل الأول مفتقر إلى الفصل الثاني و البيت الأول محتاج للأخير كقول الشاعر.

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةٌ قِيلَ يُعْدَى بَلَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ أَوْ يُرَاحُ

⁶⁹⁴ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 38 .

* أنظر المنهج الأول من الاقتباس في الفصل الأول.

⁶⁹⁵ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 39 .

⁶⁹⁶ انظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 94 – 95 .

⁶⁹⁷ حازم القرطاجني المصدر السابق: 39 .

⁵ جابر عصفور، الصورة الفنية: 90 .

⁶⁹⁹ ابن رشيق، العمدة، ج1 : 251 .

⁷⁰⁰ حازم القرطاجني المصدر السابق : 39 .

⁷⁰¹ بدوي طباطبة معجم البلاغة : 359 .

قَطَاةٌ غَرَّهَا شَرَكٌ قَبَائَتْ

تُجَادِبُهُ وَ قَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ >>⁷⁰²

و بالمقابل نجد " القرطاجني " حافظ على أصالة المصطلح إذ بقي مرتبطا بالأخذ المبتكر، و الذي يقدم احتمالات كثيرة لتوظيف العنصر المقتبس بغض النظر عن جنسه قصة كان أو مثلا أو قصصا تاريخيا مع ضرورة تناسب السياقين لأن >> توفير هذا التناسب له قيمته في تحقيق الإثارة النفسية >>⁷⁰³.

كما يرتبط الاقتباس بالتناسب فإنه يرتبط كذلك بطبع الشاعر أي مدى حاجة سياق النص لما وظف فيه، فإذا وجدت فيه ثغرة نصية أمسى معها الاقتباس ضرورة في الخطاب؛ >> ليزيد فيه فائدة فيتممه أو يتم به أو يحسن العبارة خاصة أو يصير المنثور منظوما أو المنظوم منثورا خاصة >>⁷⁰⁴ تلمس المتلقي بحسه أولا قيمة التحسين و ما أضفاه على النص لأنه يتذوق ما سهل مأخذه و أحكم مكمته، >> أما من لا يقصد في ذلك إلا الارتفاق بالمعنى خاصة، من غير تأثير من هذه التأثيرات ، فإنه البكي الطبع في هذه الصناعة الحقيقي بالإقلاع عنها و إراحة خاطره مما لا يجدي عليه غير المذمة و التعب >>⁷⁰⁵.

إن قوة الطبع و سلامته تظهر في أدق تفاصيل الخطاب إذا تعلق الأمر بالمفاصل النصية أي المواطن التي يمكن أن تحتوي أثر من الذاكرة، و إذا ما تسرب التكلف لهذه المفاصل انحل عقد النظم، فالمبدع يحتاج في بعض لحظات الإبداع إلى قدرة هائلة للانسياب مع الدلالات و ب >> أن يظهر أنه مقتدر على المناسبة بين المتباعدين و أن يغطي بحسن تأليفه ووضعه على ما بينهما من التباين بعض التغطية >>⁷⁰⁶ تلك التغطية التي يموه بها المتلقي الذي لا تخفى عليه مكانها إن كان بصيرا بهذه الصناعة. و بعض الشعراء يقحمون اقتباساتهم في السياق دونما مناسبة فيظهر ذلك سافرا في الخطاب ف >> يكد خاطره

⁷⁰² المرجع السابق : 358 .

⁷⁰³ صفوت عبد الله الخطيب، مقال الخيال مصطلحا نقديا بين حازم القرطاجني و الفلاسفة، مجلة فصول المجلد السابع، العددان الثالث و الرابع، أبريل - سبتمبر: 1987 : 65 .

⁷⁰⁴ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 39 .

⁷⁰⁵ المصدر نفسه : 39 .

⁷⁰⁶ المصدر نفسه : 31 .

في ما لا تظهر فيه صناعته ظهورها في غيره و لا يتوصل بعد ذلك إلى الغرض المقصود بالشعر من تحريك النفوس <<707 و هذا يحدث خلا في النص.

إن اقتباس المعاني عند " حازم " يعني التصرف فيها إما بتغييرها أي بحذف ما لا يناسب السياق و إبقاء ما يناسبه أو يتضمن الخبر مثلاً في ثانيا النص بما يخدمه و هو ما يحتاج نوعاً من الحيلة كما يقول " ابن طباطبا العلوي " 708، أو يدمجه مباشرة بالإشارة إليه لإقناع المتلقي أكثر و هي كلها تقنيات فنية تزيد الخطاب سحراً كما تجعل المتلقي أكثر ارتباطاً بالنص فيزداد الحوار بينهما و تلك الغاية المنشودة من الاقتباس، و " القرطاجني " يستثمر هذا المصطلح بأحسن صفة؛ إذ يُقتبس العنصر الجميل من الطبيعة و يوظف في النص من خلال المعاني المألوفة، كما تُقتبس الحكمة و المثل ليكتسب النص مصداقية قرائية أكثر بإضافة معنى ما من بيت شعري داعماً به موقفه، فالأقتباس >> هو مقطع يستعار أساساً من مؤلف آخر لتأكيد و دعم ما يقال <<709 و هي كلها مزايا تحسب لـ " حازم القرطاجني " .

707 حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 31 .

708 ابن طباطبا، عيار الشعر:

709 حسن الصديق، المناظرات في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1 ، 2002:

سابعاً : التصرف في المنازع:

يتأسس الإبداع الأصيل على شاعر متميز يهديه ذوق رائد، و كما أن لكل قصيدة شاعراً فإن لكل شاعر منزعاً شعرياً خاصاً به، و هو الذي اعتبره " القرطاجي " السمة التي تميز المبدعين: << و هو المذهب >>⁷¹⁰ ، رغم أن الكتب النقدية تساوي بين المنزع و الأسلوب⁷¹¹ إلا أن الناقد يفرق بينهما؛ فالأسلوب متضمن في الخطاب الوشيجة التي تربط بين المبدع و المتلقي ، بينما المنزع هو الإطار أو الهيئة أي المذهب الذي يمثل الشعراء ، فـ << المنازع هي الهيئات الحاصلة عن كفيات مأخذ الشعراء في أغراضهم، و أنحاء اعتماداتهم فيها، و ما يميلون بالكلام نحوه أبداً، و يذهبون به إليه حتى يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس أو تمتنع من قبولها >>⁷¹² .

و المنزع يملي نمطاً خاصاً في الكتابة يخوله لإحداث وقع متميز في المتلقي إذ يراعيه في << بنية نمطه و صيغة عباراته و ما يتخذه أبداً كالقانون في ذلك كما أخذ أبي الطيب في توطئه صدور الفصول للحكم التي يوقعها في نهاياتها، فإن ذلك كله منزع اختص به أو اختص بالإكثار و الاعتناء به >>⁷¹³

و ما يجعل هذا المنزع لطيفاً و مقبولاً عند القارئ ملاءمته للسجية ، محاكاته المقاصد المألوفة فـ << الذي تقبله النفس من ذلك ما كانت (...) المأخذ فيه لطيفة و المقصد فيه مستطرفاً، و كان للكلام به حسن موقع من النفس >>⁷¹⁴ .

و الذات القارئة لا تتأثر إلا لما لامسها بصدق فني << و المعين على ذلك أن ينزع بالكلام إلى الجهة الملائمة لهوى النفس تسرها أو تعجبها أو تشجوها حيث يكون الغرض مبنياً على ذلك >>⁷¹⁵ ، و هنا يسهم الطبع في تأصيل هذا المنزع الجيد << نحو منزع عبد

⁷¹⁰ أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 407 .

⁷¹¹ المرجع نفسه : 407 .

⁷¹² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 365 .

⁷¹³ المصدر نفسه : 366 .

⁷¹⁴ المصدر نفسه : 365 .

⁷¹⁵ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 365 .

الله بن المعتز في خمرياته، و البحري في طيفياته، فإن منزعيهما، فيما ذهبا إليه من الأغراض، منزع عجيب <<716 .

و لأن منازع المبدعين شيء فإن تقبل القراء لها متباين؛ >> فيستحسن بعضهم من المنازع ما لا يستحسنه آخر، و كل منهم يميل إلى ما وافق هواه <<717 و ناسب طريقة تفكيره.

و لأن قيمة الشعر ضاعت بتدني مكانة الشاعر فإن " حازما " رأى ضرورة احتذاء هؤلاء الشعراء بمذاهب الفحول أي >> متابعة الشاعر لغيره <<718 و إن كان الاتباع ذا مجال ضيق لأنه يختص بالمعنى لا المنزع⁷¹⁹ ، و اقتفاء أثر الشاعر في المنزع مخرج للارتقاء بمستوى الخطاب الشعري ليصبح أكثر تداولاً بين المتلقين فالشاعر >> يمشي على نهج غيره في المنزع و يقتفي في ذلك / أثر سواه، حتى لا يكون بين شعره و شعر غيره ممن حذا حذوه في ذلك كبير ميزة <<720 و هذا المعنى الذي يقترب كثيراً بل و يلامس المقولة النقدية المعاصرة التي تتحدث عن التآلف بين الفردية و الروائع⁷²¹ .

و الشعراء يتفاوتون في منازعهم ، فبعضهم >> يؤثر في شعره أبداً الميل إلى الجهة لم يؤثر الناس الميل إليها و لم يأخذوا فيها مأخذه فتميز شعره بهذا عن شعرهم <<722 و تميز الشاعر عن أقرانه دليل على مروقه عن مناهجهم في القول فيتحدد تبعاً لذلك المكانة و تتأسس العبقورية فيتحقق للخطاب التجدد و الجاذبية و الشخصية التي تقوي المصادقية الفنية عند جمهور المتلقين و خاصتهم على حد سواء و لنا في الشعر العربي نماذج كثيرة فنجد منزع "أبي العتاهية الزهدي " و كذلك >> نحو منزع مهيار و منزع ابن خفاجة <<723 .

716 المصدر نفسه: 365 .

717 المصدر نفسه : 366 .

718 أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 48 .

719 أنظر المرجع نفسه : 38 .

720 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 366 .

721 أنظر عبد الله العشي .

722 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 366.

723 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 366 .

أما المنهج الآخر فهو الذي يناسب الشعراء في عصر " حازم "، فيتعين على المبدع >> بأن لا يسلك أبداً في جميع الجهات التي يميل بكلامه إليها مذهب شاعر واحد و لكن يقتفي أثر واحد في الميل إلى جهة و أثر آخر في الميل إلى جهة أخرى، و كذلك في جهة جهة يأخذ بمذهب شاعر شاعر، فتكون طريقته طريقة مركبة، فيتميز كلامه بذلك و تصير له صورة مخصوصة <<⁷²⁴ و هنا تظهر الموهبة الفذة و تتشابه قوى النظم في التأليف بين المنازع و التميز بينها، و ذلك ليس بالأمر الهين، لأن إثبات هوية النص بين مجموعة احتمالات أمر صعب..

و في هذه الحالة يحاور المبدع أفقه فتتظافر النصوص فيما بينها⁷²⁵، و رغم أن بعض النقاد يتحدثون عن الاتباع في المعاني، إلا أن هذه الطريقة المركبة التي يتحدث عنها " حازم " لو وجدت في عصر متقدم لرفضت لأنها تبعاً لذلك السياق سرقة و لكن تغير السياق أدى إلى تغير المصطلح و بالتالي تغير النظرة إليه، كما تغيرت مصطلحات كثيرة كالأخذ الذي عد سرقة قديماً و أصبح مع " القرطاجني " حسن اقتباس و منه اشتق المأخذ في المنزع، و كذلك مصطلح الملاحظة الذي عده " ابن رشيق " نوعاً من أنواع السرقة⁷²⁶ و لها عند " حازم " من المكانة ما يجعلها إحدى القوى المشكلة للطبع، و كذلك مصطلح الاجتلاب الذي عده صاحب العمدة نوعاً من سوء الأخذ⁷²⁷ و هو عند " حازم " نوع من استئثار المعاني لا غير و اقتباسها، و غيرها من المصطلحات التي ت عدلها و لا ننسب الفعل لـ " حازم " قدر ما ننسبه لاختلاف الأزمنة و أنماط التفكير بالإضافة إلى براعة الناقد التي تجلت في أفكاره الرائدة التي جعلته فريد زمانه .

يستطيع الشاعر المبتدئ أو الذي يحس بعدم تقبل المتلقين لمنحاه أن يستعين على ما حفظه من الأشعار و على قوة التشبه على السجية و أن >> يسلط الفكر و التصور على

⁷²⁴ المصدر نفسه : 366 .

⁷²⁵ أنظر عبد الله العشي، زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، 2005 : 37 .

⁷²⁶ أنظر ابن رشيق، العمدة، ج 2 : 287 .

⁷²⁷ المرجع نفسه : 383 .

استنبانه الطرق التي من أجلها حسن الكلام <<728 في المنزع الذي يراه مناسباً له و ينتقي منه كل ما هو ايجابي و هنا تصبح القوة التشبيهية باعنا على الكتابة لإثبات الذات و مواجهة الآخر الذي يتحول من طرف حيادي إلى وازع و محرض؛ و اختلاف المنازع يجعل أمر جمعهم في بوتقة واحدة عسيرا و لا يتحقق في جميع الحالات ف >> ربما اقتفى من له هذه القوة (التشبه) في منحى كلامه و أسلوبه و منزعه آثار شعراء لم يتواطأ في مجموع ذلك، لكن حسن منحى كلام هذا و لطف أسلوب كلام ذلك و منزع كلام الآخر، فأخذ من كل واحد منهم ما اختفى به و بنى ذلك كلامه <<729 .

أما كيفية التصرف في المنازع فهي تتم بستة طرائق هي:

>> 1 - من جهة تبديل 2 - أو تغيير 3 - أو اقتران بين شيئين 4 - أو نسبة بينهما 5 - أو نقلة من أحدهما إلى الآخر 6 - أو تلويح به إلى جهة و إشارة به إليه <<730 .
و سنتطرق لكل واحد منها على التوالي:

أولا التبديل : أي تبديل جهة بأخرى، فعندما يقصد الشاعر التصرف في منزع أو مجموعة من المنازع الشعرية بالإضافة إلى منزعه و هو الذي فيه مواطن هزيلة تعيق التواصل بينه و بين المتلقين، مما يطعن في شاعريته، و من ثم كانت الحاجة ملحة إلى إجراء عملية تبديل فنية باستئصال كل ما يراه مشينا في مذهبه و استبداله بالنموذج الرفيع الذي تمثله مجموعة المنازع، فإذا كانت العجز في الاستهلالات مثلا عمد إلى اكتشاف هذه التغيرات و تبديلها بما انتقاه من استهلالات برع فيها أصحابها على سبيل التصرف، كما قد يجري المبدع التبديل بين المنازع عينها بتحويرها فيما بينها لتتناسب و منزعه، إذ يستحضر الجيد لتجاوز الرديء و المثير لطبي العادي.

ثانيا / التغيير: و هو من جنس التبديل، فيقال في المعنى >> غيره: حوله و بدله كأنه جعله غير ما كان <<731 و قد عد " قدامة " التغيير عيبا و هو >> أن يحيل الشاعر الاسم

728 حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 342 .

729 المصدر نفسه: 342 .

730 المصدر نفسه: 367 .

731 ابن منظور، لسان العرب مادة غير، المجلد الخامس، الطبعة 2، 1414 هـ، 1994 م، دار صادر، بيروت: 40.

عن حاله و صورته إلى صورة أخرى إذا اضطرتة العروض إلى ذلك <<⁷³² إلا أن التغيير الذي يعنيه " حازم " لا يتعلق لا بالألفاظ و لا بالوزن، بل يقترن بمصعب المعاني مباشرة و لا يمكن أن يكون التغيير ناجحا إلا إذا كان ضروريا في المنزع لا مكان إحداثه من سبيل البهرجة و الحشو المبالغ فيه، فقد يغير المبدع في منزع ما ألفه المتلقون و أصبح غير مؤثر بمنح يهتدي لها فيتأسس المنزع الجديد.

ثالثا/ الاقتران: و هو الجمع بين منزهين متآلفين أو أكثر و هو الذي قصده " حازم " بقوله << يقنفي أثر واحد في الميل إلى جهة أخرى >>⁷³³ ، و الاقتران يستلزم الانسجام بين الجهات المؤلف بينها ، و إلا فإن التكلف يسري فيها، و إذا ما أجاد الشاعر انتقاء المذاهب و إحداث نوع من التطالب بينها نجح الاقتران .

رابعا/ التناسب: و التناسب شرط في النواع الستة فلا تبديل و لا تغيير و لا اقتران و لا انتقال و لا تلويح بدون وجود التناسب بين المنازع، فالمبدع لا يختار منزعا معينا إلا إذا تناسب و طريقتة الشعرية بما لا يحدث فجوة كبيرة بينهما لكي لا يتحول القول الشعري إلى حشو زائف و سرد عقيم، و إذا عدنا إلى علاقة المنازع الشعرية بالتناسب، فإننا نجد أن الشعراء يطلبون النسبة في استحضاراتهم بما يواكب و عيهم الفني و إدراكهم لقيمة اللحظة الجمالية.

خامسا / النقلة بين المنازع: إن الجمع بين المنازع يستلزم أن يتم الانتقال بينها بما لا يشعر المتلقي بوجود فراغات نصية ناتجة عن تدرج مفتعل أو هو بالأحرى نتيجة لسوء التوظيف، فتأليف منزع مركب يحدث انفعالا معينا في المتلقين و أي خلل في النقلة يربك المبدع و القارئ معا و لا يحدث هذا إلا بالمران الكافي و سعة الاطلاع على النماذج الأدبية الرائعة فتتمو ثقة المبدع بنفسه و بقدرته على الانتقال العفوي بين المنازع وفقا للداعي النصي لا غير.

⁷³² قدامة بن جعفر ، نقد الشعر: 250 .

⁷³³ حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأديباء: 366 .

سادسا / التلويح و الإشارة : و " حازم " هنا يساوي بين التلويح و الإشارة، و كذلك الأمر عند " ابن رشيق " الذي اعتبر التلويح نوعا من أنواع الإشارة⁷³⁴ ؛ لأن >> التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد <<⁷³⁵ ، و قد استفاد " حازم " من التعريف اللغوي كثيرا ، فالشاعر يطهر المنزع في مذهبه على سبيل الإنماء و التلويح و الإشارة بحيث لا يبدو تقليدا للمنزع كما استخدمه صاحبه و إنما **يميل** فيه بعض اللمحات و الإشارات التي تزيده جمالا خاصة و أن الومضات الفنية شديدة الوقع على المتلقي إذ تجعله دائم الترقب لما سيأتي .

و ما يعاب على " القرطاجي " في هذه الأنحاء الستة من التصرف في المنازع الشعرية عدم دعمه أقواله بشواهد شعرية عند حديثه عن المذاهب المركبة بغض النظر عن أسلوب التصرف فيها، الأمر الذي جعل النقاد لم يقفوا كثيرا عندها بالبحث و الدراسة .

إن الهدف الأساسي الذي يريد " القرطاجي " أن يبلغه هو أن يواجه شعراء زمانه، و السائرين على نهجهم قصائدهم من خلال منادمتهم ؛ فلا يكفي الشاعر أن يعيش معزولا لكي يبدع، فالقصائد التي تتنفس في زجاجة سوداء لا تعيش إلا هنيهات فقط لتعلن سقوطها في دائرة الترددي..

و لكي لا يتوجه هذا الشاعر إلى طريقتين يؤديان إلى الزوال أحدهما هو النقل البليد كما يسميه " ابن رشيق " ⁷³⁶ أو ممارسة الكتابة الموبوءة، و المسكونة بالإسفاف و الضالة ، على المبدعين أن لا يتوانوا عن البحث عن مخرج لما وقعوا فيه، و لأن تصويب الخطأ لا بد أن يخضع لمقياس فإن ذلك المقياس في القصائد الرائدة التي ينتشي القارئ البسيط عند سماعها فتتغلغل إلى أعماقه، فما بالك بالمتلقي البصير. و هي بوابة فتحت قبل عصر "حازم " إلا أنها كانت مقتصرة على إتباع بعض المعاني الجيدة و النسيج على منوالها⁷³⁷ و ما فعله ناقدنا هو أنه فتح المجال أكثر ليزيد إطلاع المبدع و تكثر قراءاته >> ينمي في نفسه

⁷³⁴ ابن رشيق ، العمدة ، ج 1 : 268 .

⁷³⁵ السكاكي ، مفتاح العلوم، القاهرة 1365 هـ 1937 م : 194 .

⁷³⁶ ابن رشيق ، العمدة ، ج 2 : من 282 إلى 293 .

⁷³⁷ أنظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: 38 .

الأذن الواعية، و الإحساس المرهف و البصيرة الأدبية، و الأساس الفني العام <<⁷³⁸ فتكبر
المسؤولية أمام ناظره إذا ما حضرته الأفكار لإشباع ذاته بالدرجة الأولى و التواصل مع
المتلقي كغاية أكبر .

⁷³⁸ محمد طه عصر ، مفهوم الابداع: 107 .

ثامنا : أشكال التخاطب في الشعر

لا يكتسب الخطاب الإبداعي فعاليته إلا إذا لاقى صدى لدى المتلقي الذي يتوج قراءته السابقة و يختبر أفقه من خلال المحاوراة لتكون الاستجابة فيما بعد و سنتناول هنا علاقة المبدع بالمتلقي بوصفهما طرفي خطاب، فقد اهتم " حازم القرطاجي " كثيرا بعلاقة الشاعر بالجمهور، هذا الأخير الذي يحيل إلى >> حالة عامة من التلقي، إلى أفق عام من التكوين النفسي و الذوقي و المعرفي << ⁷³⁹ و هي الروح التي تنبض بها المعاني الجمهورية، و بناء على هذا يحدث التجاوب إما قبضا أو بسطا⁷⁴⁰ >>بطريقة عفوية << ⁷⁴¹ ، هذا بصفة عامة، أما إذا تعمقنا في لب عملية التخاطب وجدناها تضم مخاطبا هو الشاعر و مرسله شعرية هي القصيدة، و مخاطبا هو المتلقي المرسل إليه.

و خطاب المبدع يتجلى في قصيدته التي تعد فعلا و مثيرا في الوقت عينه، فعلا بالنسبة للمبدع و مثيرا خاصا بالمتلقي الذي يجمع بين الاستماع و المخاطبة فالفصل بينهما وهمي؛ فالسمع يتجاوب مع الصوت الذي >> يستغرق السمع << ⁷⁴² بدوره، لتتحرك القوة الجائمة في المتلقي باعتباره مخاطبا مساهما في انجاز النص و تتعدد أدوار المتلقي في الخطاب بتعدد أدوار صاحب النص في >> المخاطبات مثل أن يكون المتكلم مخبرا و مستخبرا أمرا أو ناهيا داعيا أو مجيبا << ⁷⁴³ .

و قد فصل " القرطاجي " في العلاقة التي تجمع بين الطرفين، انطلاقا من كون الخطاب أداة للتفاهم، فالخطاب إذن يؤسس لغرض الإفادة لكن ما نوع هذه الإفادة⁷⁴⁴؟ فهل كل النصوص تقدم لمتلقيها إفادات ؟ هل يمكن أن نعتبر بأن الإفادة التي تحملها القصيدة

⁷³⁹ علي جعفر العلق، الشعر و التلقي، دراسة نقدية، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 1 ، 2002 : 63 .
⁷⁴⁰ يقصد بالقبض و البسط، انفعال النفس لمقتضى القول سلبا أو إيجابا فإن كان سلبا فهي تنقبض لأن الأمر يسوؤها و إن كان إيجابا فهي تنبسط لأن القول يفرحها.

⁷⁴¹ المرجع نفسه : 63 .

⁷⁴² المرجع نفسه: 67 .

⁷⁴³ حازم القرطاجي منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 14 .

⁷⁴⁴ أنظر مفهوم الإفادة قبل حازم، د / ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، دار التنوير للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1983 : من 133 إلى 148 .

لقارئها هي التواصل فحسب أم أنها تمنحه امتيازاً يجعله يرتقي لتصبح الفائدة بحتة؟ هل النص وسيلة أم غاية بالنسبة لـ " حازم " ؟ و هل لذة القراءة منبعها الإفادة المعرفية أم الجمالية؟ و هل يمكن إيجاد حالة وسطي بين الغرض المعرفي و الجمالي؟ و إذا سلمنا بأن المخاطب يضع أمامنا خطاباً يتضمن معلومة فنية يود من المتلقي أن يشارك في صياغتها للآخرين، فهل المتلقي أيضاً مبدع، و الآخرون هل هم بقية القراء و أي نص سيحتل مبدعين؟ هل هو النص المفتوح؟ .

إن تأثر " حازم " بالفلسفة اليونانية، و بالفكر الأرسطي جعله يتبنى بعض مبادئه كما يبدو ذلك في مواطن كثيرة في مصنفه، و هو ما سنحاول إيضاحه حسب مناسبة المقام لذلك، و أول قضية يسوقنا المجال إليها، هي الغاية من الإبداع أو بالأحرى الهدف الذي يطمح إليه المبدع من وراء القصيدة، ف >> العرب كانت تقول الشعر لوجهين: أحدهما ليؤثر في النفس أمر من الأمور تعد به نحو فعل و انفعال ، و الثاني للعجب فقط . فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه، و أما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل >>⁷⁴⁵ .

يقسم " حازم " الخطاب حسب استفادة المتلقي منه ف >> المتكلم **ينبغي** إما إفادة المخاطب، أو الاستفادة منه >>⁷⁴⁶ و هنا يكون المتلقي إما شاهداً على الخطاب أو طرفاً فيه و لذلك فالخطاب ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول: ما كان حاملاً >> لفظاً يدل المخاطب إما على تأدية شيء من المتكلم إليه بالفعل، أو تأدية معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول >>⁷⁴⁷ و هذا النوع من النصوص هو الذي يستفيد منه المتلقي و هو شاهد عليه لا مشارك فيه .

القسم الثاني: و هو الخطاب الذي يحمل للمتلقي >> لفظاً يدل على اقتضاء شيء منه إلى المتكلم بالفعل أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول >>⁷⁴⁸ و

⁷⁴⁵ ابن سينا : نقلاً عن حازم القرطاجني المنهاج الهامش الأول : 69 .

⁷⁴⁶ حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 344 .

⁷⁴⁷ حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 344 .

الاقتضاء >> هو طلب الفعل مع المنع عن الترك >>⁷⁴⁹ و هنا يكون المتلقي طرفا في تشكيل الخطاب، فالمبدع يستفيد منه و لذلك سمي " حازم " هذا النوع من التواصل استفادة و في موضع استشارة⁷⁵⁰ و هو ناشئ عن الاقتضاء و هنا لا بد أن نشير بأن الإفادة بالنسبة للمتلقي حاصلة إن في التأدية و ذلك جوهرها أو الاقتضاء و في هذا الأخير يتم تبادل الفائدة و لأن القصيدة قول شعري فإن هذا الأخير >> لا يخلو من أن يكون بينا فيقتصر به على الاقتصاص أو يكون مشتكلا فيؤدي على جهات من التفصيل و البيان و الاستدلال عليه و الاحتجاج له >>⁷⁵¹ .

الناقد يضع أماننا نوعين من الخطابات بيّن و **مشتكل** ما مفهوم كل منهما؟ و متى يكون الخطاب بينا هل يتعلق الأمر بالبيان و البراعة أم بالوضوح؟ و هل الخطاب **المشتكل** يكتسب هذه الصفة من دقة نظمه و إبداع تشكيله بالدرجة التي جعلت منه نصا غير عادي، أم أن **الاشتكل** غموض و لبس فقط ؟ .

إن الخطاب من حيث كونه رسالة للمتلقي يتراوح بين البيان و الاشتكال ف >>المعاني منها ما يقصد أن تكون في غاية من البيان (...) و منها ما يقصد أن تكون في غاية الإغماض و منها أن يقصد أن يقع فيه بعض غموض، و منها ما يقصد أن يبان من جهة و أن يغمض من جهة >>⁷⁵² .

و سنركز هنا على الخطاب البيّن و الخطاب المشتكل فقط فهما محل الشاهد في قول " حازم " السابق لأن >> كلام التكلم فيما يؤديه قسمان: قسم يقع فيه لاستدلال >>⁷⁵³ و هو النص المشتكل قد يأخذ هذه الصفة إذا كان >> مضمنا معنى علميا أو خبرا تاريخيا أو محاولا به على ذلك و مشار به إليه فيكون فهم المعنى متوقفا على العلم بذلك المضمن العلمي أو الخبري، أو يكون المعنى متضمنا إشارة إلى مثل أو بيت أو كلام سالف >>⁷⁵⁴ فالمبدع يستدل على رأيه و يحتج له من الأفق المعرفي بحيث يتناص مع التاريخ و الشعر و النثر و

⁷⁴⁸ المصدر نفسه : 345 .

⁷⁴⁹ الجرجاني ، التعريفات: 55 .

⁷⁵⁰ أنظر في المنهاج: 340.

⁷⁵¹ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 345 .

⁷⁵² المصدر نفسه: 176 .

⁷⁵³ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 345 .

⁷⁵⁴ المصدر نفسه : 173 .

هو النص الذي تحدث عنه " القرطاجني " كثيرا لما تطرق للاقتباس و الإحالة و هذا النوع من الخطابات يتطلب قارئاً عارفاً بفنون الصنعة و مطلعاً بمختلف المعارف لأن له أفقا معرفيا يوازي نظيره عند المبدع وكما أن أسلوبه في معالجة هذا الخطاب يكون بـ >> أن يتبع الشيء بما يكون شرحاً له و تفسيراً من جهة ما يكون في معناه أو تكون دلالاته من معنى دلالاته (...) و يكون بأشياء خارجة عن معنى الشيء إلا أن فيها دلالات على إبانة ما أنبهم في الأشياء المقترنة بها << 755 ، و رغم أن التفسير يوضح المعاني شكلياً >> بتعريفها من الأوصاف التي تبعتها عن البيان << 756 إلا أن الجوهر يبقى غامضاً لأننا نجعل سبب الكثافة المعنوية و المعرفية في السياق فيتم اللجوء إلى التأويل >> و بعض الناس بتأويل ما ورد في ذلك تأولاً فيه سلامة من القلب ، و يرى أن ذلك و إن بعد التأويل أولى من حمل الكلام على القلب << 757 .

و يمكننا أن نلاحظ هنا أن استخدام التأويل كآلية للقراءة عند القدماء يختلف تماماً عما يتبناه نقد القراءة و التأويل الحديث؛ فبينما يعتبر هذه التقنية ضرورية لأي متلق قراءة و لا يمكن أن تتم قراءة النص بلا تأويل يرى " حازم " أن تأويل المعاني هو الحل الأخير للتعامل فقط مع النص المشتكل.

أما القسم الثاني فهو الخطاب البين يكون >> الاستدلال فيه << 758 أي ما خلا من كل ما تضمنه النص المركز أو المشتكل من تضمينات و توظيفات معرفية و ثقافية.

إن العلاقة بين القصيدة البينة و بين المشتكلة عند " حازم القرطاجني " يقترب إلى حد كبير من علاقة القصيدة الغنائية بالقصيدة الدرامية في النقد المعاصر من حيث الجزئية و الكلية و كذلك من حيث الغرض و التعقيد و كذا من خلال الكثافة و السهولة.

755 المصدر نفسه: 176 .

756 المصدر نفسه : 177 .

757 المصدر نفسه : 179 .

758 المصدر السابق : 345 .

إن الغاية من النصين هو الاقتناع الذي يؤدي إلى التأثر المطلق بالفكرة ، مما يؤدي إلى الاقتناع بمقتضاها فيترى السياق أكثر ، بإحداث نقطة تلاق مع التراث تؤيد الموقف أكثر.

أما إذا كان المخاطب شريكا في صنع الخطاب على سبيل الاقتضاء لتتوسع دائرة الإرسال مع المبدع / المخاطب إذ >> كلامه فيما يقتضيه من المخاطب قسم واحد في أكثر الأسر لأن الإجابة بالاستدلال أو عدمها في ذلك للخطاب و ليس ذلك من كلام المتكلم إلا أن يحكي ما دار بينه و بين مخاطبه، فيكون ذلك كالتركيب من القسمين و ليس به على الحقيقة لكون ذلك من كلام واحد >>⁷⁵⁹ هذا النوع من الخطابات ثنائي المرجعية بالإضافة إلى خطاب آخر يجمع بين ما قاله المتكلم و المخاطب معاً، و هنا يصبح الخطاب أكثر ديناميكية و هو ما يحدث في فن >> الحوار الذي ينتجه طرف بمساعدة طرف ثان >>⁷⁶⁰ حيث >>يستعمل معرفة [هي المتضمنة في طرف الحوار] دليلاً إلى معرفة أخرى و به يكتسب معرفة جديدة من معرفة سابقة >>⁷⁶¹ .

إن الفرق بين الخطاب الذي يضم المتكلم و المتلقي كرايين مستقلين، و الخطاب الذي يعتبر تركيباً بينهما يحدد وظيفة المتكلم في الخطاب نفي الحالة الأولى يكون الخطاب منتجا أصلاً من طرف المرسل و المرسل إليه و هو ما سماه " حسن الصديق" بالحوار المباشر ⁷⁶² ، و اغلب الظن هنا أن هذا المصطلح هو الترجمة الحرفية لـ le dialogue direct في مقابل le dialogue indirect الذي ينتج فيه المتكلم الجديد الخطاب، و الذي يمثله الراوي ⁷⁶³ و في هذه الحالة يغدو القول إما >> مسلماً أو مجانياً >>⁷⁶⁴ فالمسلم هو الحوار المباشر و غير المباشر.

و هو ما ينطبق على المحاورات الشعرية التي يتقبل الرأي الآخر و التسليم بتفوقه، أما الخطاب الذي يكون الحجاج هو وسيلة بالنسبة للطرفين هو ما سماه " حازم "

⁷⁵⁹ المصدر نفسه: 345 .

⁷⁶⁰ أنظر عبد الله العشي، زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، 2005 : 44 .

⁷⁶¹ محمود يعقوبي في المنطق السوري، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2 ، مصححة ماي 1999 : 114 .

⁷⁶² حسن الصديق، المناظرات في الأدب الإسلامي، الشركة المصرية العالمية لونجمان ، ط 1 ، 2000 ، 245 .

⁷⁶³ أنظر عبد الله العشي، المرجع السابق : 37 – 38 .

⁷⁶⁴ حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 345 .

بالمشاجرة، و هو مركب من تأدية المخاطب نقيض ما أداه المتكلم ، و المتكلم نقيض ما أداه المخاطب و بينما ترى " فاطمة عبد الله الوهبي " بأن المشاجرة هنا بمعنى المنازعة⁷⁶⁵ .

فإننا نرجح أن " القرطاجي " قد قصد بها فن المناظرة التي تتصاعد فيها الانفعالات بغية إثبات البراعة⁷⁶⁶ وفق قانون <<الفعل ورد الفعل >>⁷⁶⁷ و هو أمر منطقي ما دام المتكلم يؤدي نقيض ما يرمي إليه المخاطب، لإثارة السامعين ف <<زيادة حدة التأييد (...) تثير دقة المتلقين الفعل المقصود توليده لديهم، سواء أكان ايجابيا أم سلبيا >>⁷⁶⁸ .

و قد أدرج " حازم " نوعا آخر من النصوص يسمى الإثارة و هو <<مركب من تأدية و اقتضاء، لأن المتكلم يؤدي إلى المخاطب رأبه و يقتضي قبوله >>⁷⁶⁹ و هذا النوع من النص مبني على مدى تقبل الآخر لرأي المتكلم و تجاوبه معه دون تسجيل أي معارضة. و بناء على هذا صنف الناقد الكلام حسب كونه <<تأدية و اقتضاء باعتبار البساطة فيهما و التركيب ستة أقسام >>⁷⁷⁰، و سنحاول أن نحيل كل قسم إلى أصله بالاعتماد على أقوال " حازم " فيكون ورودها:

1 - <<تأدية خاصة >>⁷⁷¹ فهي خطاب ينتجه المتكلم فقط لإفادة المخاطب و هو ينطبق على النص البين و المشتكل على حد سواء.

2 - <<اقتضاء خاصة >>⁷⁷² إذ يحاول المبدع كمتكلم أن يثير مخاطبه و استنارته في قضية ما . و هنا يكون الحوار أساس هذا النوع سواء أكان مباشرا أو غير

⁷⁶⁵ فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجي: 245 .

⁷⁶⁶ أنظر المنهاج : 339 .

⁷⁶⁷ عبد الله العشي، زحام الخطابات: 36 .

⁷⁶⁸ porelan : traité de l'argumentation : 59.

نقلا عن د حسن صديق في المناظرات في الأدب الإسلامي : 189 .

⁷⁶⁹ حازم القرطاجي ، المصدر السابق: 345 .

⁷⁷⁰ لم تخص هذه الفكرة باهتمام بعض النقاد الذين درسوا حازم كـ د / جابر عصفور و فاطمة وهبي ز د / حسن

السداري .

⁷⁷¹ حازم القرطاجي منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 345 .

⁷⁷² 2- 4- 7- المصدر نفسه: 345 .

مباشر أي حسب دور المتكلم فيه إن كان طرفاً أو راوياً و كل وضعية تخضع لإطار زمني و آخر مكاني معين.

3 - << تأدية و اقتضاء >>⁷⁷³ و يظهر فعل << المتكلم [بأن] تؤدي إلى المخاطب رأيه و تقتض قبوله >>⁷⁷⁴ و هو ما سماه " حازم " بالإثارة .

4 - << تأديتان من المتكلم و المخاطب >>⁷⁷⁵ حيث يكون كلا الطرفين <> ' عارضا ' أو ' معترضا ' >>⁷⁷⁶ مبدعا للخطاب و تلك هي المناظرة، لأن المتكلم و المخاطب يتحولان فيها إلى مرسلين يسعيان إلى التنافس⁷⁷⁷ .

5 - << اقتضاءان منهما >>⁷⁷⁸ و هذا القسم مركب من القسم الثاني <> بأن يقتضي المتكلم من المخاطب شيئاً فيقتضي المخاطب من المتكلم شيئاً آخر قبل أن يؤدي إلى المتكلم ما اقتضاه >>⁷⁷⁹ و هذا النوع ينطبق كثيراً على تلك المسائل التي تتم عند اليونان بين المعلم و تلميذه إذ يسأل هذا الأخير معلمه فبجيبه هذا الآخر بسؤال مقابل.

6 - <> أن يكون مركباً من اقتضاء المتكلم تتبعه تأدية من المخاطب على جهة السؤال و الجواب >>⁷⁸⁰ و هنا فإن <> الحوار يعتمد على إستراتيجية الرعية في المعرفة >>⁷⁸¹ و يمكن أن تقيس على هذا المنوال من التقسيم أنواعاً أخرى بالاعتماد على دور المتكلم في الخطاب إن كان راوياً شاهداً أو راوياً مشاركاً، <> بحسب البساطة و التركيب ستة أقسام >>⁷⁸² .

يتبين لنا من خلال هذه التقسيمات و ما سبقها من الآراء، أن " حازم " يهدف إلى تأسيس مشروع تواصل بين المتكلم و المخاطب ، في إطار أنواع الخطابات فتكون لكل منها

⁷⁷³ المصدر نفسه : 345 .

⁷⁷⁴ المصدر نفسه : 345 .

⁷⁷⁵ المصدر نفسه : 345 .

⁷⁷⁶ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد الكلام ، المركز الثقافي العربي، ط 2 ، 200 : 46 .

⁷⁷⁷ عبد الله العشي، المرجع السابق : 44 .

⁷⁷⁸ حازم القرطاجني، المصدر نفسه : 345 .

⁷⁷⁹ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 345 .

⁷⁸⁰ المصدر نفسه : 346 .

⁷⁸¹ عبد الله العشي، زحام الخطابات : 48 .

⁷⁸² حازم القرطاجني، المصدر السابق : 346 .

منهجا خاصا يضم أدوارا يقوم بها المرسل أو المرسل إليه، و بناء على ما تقضي إليه هذه الخطابات من متعة قسم " القرطاجي " الأغراض الشعرية تقسيما جديدا و هو ما ستلاحظه في الفصل الثاني .

و قد حاول الناقد أن يوضح كيفية تأثير الإفادة في المتلقي ، أي القبض أو البسط، لكي تصبح هذه المنفعة أي الإثارة << ذاتها جوهر الجمال >>⁷⁸³ فالخاطب الأصيل ليس لسانا عن المجتمع، و الأخلاق و الفضائل بل هو الذي يحرك فينا الإحساس بقيمة المجتمع و بقيمة القيم الجميلة ، و إلا فما المنفعة التي كان يجنيها المتلقون في سوق عكاظ أو **المريد** ؟ .

و لا يمكن أن ننفي التأثير الواضح بالفلسفة اليونانية سواء على مستوى التقسيمات الكثيرة أو على مستوى استخدام بعض التقنيات بالاحتجاج و الاستدلال القياس و ذلك دون **اغفال** التطور الكبير الذي بلغته الأساليب الحجاجية لدى الفرق الإسلامية ، و رغم أن "حازما" رفض بعض آرائهم خاصة ما تعلق يقصي صدق الشاعر و كذبه إلا أنه تأثر بأساليبهم في الحجاج .

كما أن المتلقي يأخذ دورا مهما في هذه المخاطبة فهو تارة مستفيد و أخرى مفيد، فأحيانا يكون مجرد شاهد على تكوين الخطاب و أحيانا و نجده طرفا فعلا كما في المناظرات و الحوار مثلا؛ بحيث لا يقل أهمية عن مكانة المتكلم فكلاهما مبدع بطريقته مع اختلاف الأسلوب و المنحى. كما استطاع أن يقدم لنا طريقة فنية في الاقتباس من المنازع الشعرية بما يزيد الخطاب جمالا و تأثيرا .

كما تمكن أن يطور بعض المفاهيم النقدية الخاصة بالنص و التي كانت سائدة قبله لمفهوم السرقات، بالإضافة إلي تبني مصطلحات نقدية خاصة به و أخرى عدل مفاهيمها.

قد يخطر ببال المتلقي أن يتساءل ماذا أضاف "حازم القرطاجي" إلى المعنى؛ خاصة وأنه يتعرض لمصطلحات تناولها النقاد قبله كالمبالغة والمقابلة ، و التفسير، و التقسيم ... الخ .

⁷⁸³ جورج سنديانا ، الإحساس بالجمال: 171 .

و إجابة علي ذلك نقول بأن الفرق واضح في المبدأ ، إذ يختلف توظيف النقاد لهذه المصطلحات ، عما جاء به حازم ، فقد اكتفي كل من " قدامة " ، وابن رشيق . وأبو هلال العسكري برصد مختلف المصطلحات النقدية و البلاغية بأسلوب تقريرى بحت ، بينما نجد حازما يربط بين هذه المصطلحات و يجعلها طرفا مساعدا في تكوين المعني في الخطاب عن طريق القرائن التي يوفرها لتطالب .

لقد استفاد حازم كثيرا من كونه شاعرا مبدعا في كيفية بسط آرائه للآخر ، فمثلا لا تقدم القصيدة مضمونها جاهزا إلا بعد أشواط كبيرة من المكايدة المعرفية و النقد ، فان الناقد كان مبدعا في تقديم كيفية تشكل المعاني ، و هو ما حدث بطريقة لمّاحة ، و طرح ذكي إذ لم يتطرق للأمر بصفة كلاسيكية ساردا تفاصيل العملية في فقرات متتالية ن وإنما نثر أفكاره كمنثرات متفرقة في مؤلفه و هو ما جعل الاهتمام بهذه الشذرات متفاوتا . و نعني بالشذرات حديثه عن التضاعف، و التطالب ، و التكاثر ، و التشاكل و التماثل و التناسب و التقابل ... الخ . و هي كلها على وزن تفاعل تشكل متحدة الأضلاع المتقابلة لخلية نشيطة وظيفتها إنتاج المعنى فالحديث عن تكاثر معاني الخطاب الشعري أحيانا و تضاعفه في مواضع عدة لم يكن حديثا عابرا ، فالفكرة كانت معززة عندما يتعلق الأمر بحاجة المعاني بعضها بعضا و تطالبها وإذا كانت البنى في الخطاب تتبرعم فان الأفكار الأصلية و الممثلة بالمعاني الجمهورية تتضاعف، تماما كما في الخلية البيولوجية .

أما إذا غاب الانسجام بين العناصر ، ولم يكن التناسب هو الرابط بين الصور الشعرية فان التكاثر سوف يتم بطريقة فوضوية فتدافع المعاني في غير محلها .

كما أن الخطاب الشعري يعرف حالة من التكلفة لإنتاج المعاني التي لا يتم إنتاجها علي مستوي البيئة العميقة فحسب ، بل أن كل عناصر القصيدة تساهم في هذا التشكيل إن على مستوي الأغراض ، كمادة أو البناء العام و هو ما يجعل تكاثر المعاني لا يتم في إنسيابية ساذجة ، فذلك يتم وفق منهاج معين يخضع لعدة مقاييس

و الصورة التي ينقلها لنا حازم عن تشكل المعني تتقاطع إلى حد بعيد مع ما تقدمه الدراسات السيميائية الحديثة⁷⁸⁴ و قد استفاد الناقد مما سبقه فيه من الآراء و الأفكار التي استغلها بذكاء فكان تجاوزه جماليا بالدرجة الأولى ، و مع أن مصطلح التكاثر قد ذكر عند "ابن طباطبا" ⁷⁸⁵ قبلا/ إلا أن هذا الأخير لم يستثمر القيمة الدلالية و الفنية للمصطلح ، إذ أشار إليه إشارة عابرة و هو ما حاول " القرطاجني " البحث عنه في نظريته الشعرية . و قد أفاد كذلك من فكرة المعاني المطروحة التي طورها "عبد القاهر الجرجاني" و اعتبرها مادة أولية و استحالت هذه المادة الأولية مع "حازم" ما سماه بالمعاني الأصلية أو الجمهورية.

و قد حاول "حازم" أن يفهم ما يدور في رحم القصيدة من تفاعلات قياسا إلى الخطاب الافتراضي الذي كان يراوده خاصة مع تداعيات انهيار الذوق الفني في عصره وبهذا فان القصيدة التي يتصورها حازم و يطمح إلى تجسيدها في عصره ، ليست هي القصيدة الجاهلية فقط كما يري بعض نقادنا العرب ⁷⁸⁶ ، إنها قصيدة تحمل بعض الولاء لعصر سالف لكنها تتنفس في سياق مختلف فتكون تبعا لذلك مختلفة . و قضية السياق عند " حازم القرطاجني " مجال خصب للبحث و الدراسة ، فالملاحظ أن الناقد لا يفصل السياق عن الكون الشعري ، و هو ما تهتم به الدراسات التداولية المعاصرة .

784 خاصة عند غريماس (أنظر الدكتور عبد الله العشي) .

785 ابن طباطبا، عيار الشعر:

786 انظر حسن يوسف بكار ، المرجع السابق () .

الفصل الثالث:

المتلقي

يحتوي هذا الفصل على:

المقدمة.

أولاً: مفهوم الشعر في ضوء علاقته بالمتلقي .

ثانياً: المعاني الجمهورية .

ثالثاً: المحاكاة و التلقي .

رابعاً: التخيل و التعجب .

خامساً: المتلقي و القوى الإبداعية .

سادساً: الغموض و التلقي .

سابعاً: القراءة بين التمويه و التأويل .

خاتمة .

مقدمة :

اهتمامات أولى :

اهتم النقاد العرب بالمتلقي اهتماما خجولا أشبه ما يكون بوميض برق لا يكاد يضيء **حتى يخبر** من جديد؛ إذ لم يتجاوز الآراء الانطباعية غير المؤسسة ، لكونه مجرد لمحات خاطفة في عالم النقد - آنذاك - رغم أن الشعر اكتسب مكانة مميزة لدى جمهور المتلقين؛ إذ << لم يكن المتلقي العربي غائبا عن الأدب العربي القديم >>⁷⁸⁷ كما أن نظام الجماعة كان متأسلا في الشعر العربي إذ << لم يكن ينظر إلى الشعر على أنه تراث أمرؤ القيس و زهير و النابغة و الأعشار و ذي الرمة، و غيرهم ، الشعر العربي - عندهم - تراث ينتمي إلى الأمة - كجماعة متميزة - أكثر مما ينتمي إلى أفراد مختلفين >>⁷⁸⁸ ؛ فالشاعر لا يكتب إلا و المتلقي حاضر و متماه في النص بل << هو موجود في وعي المبدع >>⁷⁸⁹ و من ثم كان الاهتمام به تابعا للعناية بالشعر >> فانتاجه في أي حقل (...) تحكمه منظومة من القواعد تتجاوز طبيعته اللسانية، إذ تتداخل فيها شبكة من العلاقات الاجتماعية و السياسية و الثقافية <<⁷⁹⁰ كتجربة متكاملة العناصر .

و لعل أولى هذه الاهتمامات ما ورد في صحيفة " **بشر بن المعتمر** " المشهورة إذ اعتبر أن << مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة >>⁷⁹¹ و لا شك في أن المنفعة إشارة إلى المتعة، متعة القراءة و اكتشاف أسرار الكلام.

⁷⁸⁷ غازي مختار ظليمات، أدبنا القديم و نظرية التلقي، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد السادس، العدد 23 ، 1420هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت: 5.

⁷⁸⁸ مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس ، د ط، د ت: 100.

⁷⁸⁹ محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1 ، 1995 : 228 .

⁷⁹⁰ محمد صالح الشنطي، نظرية النقد العربي في ضوء الخطاب الثقافي العام ، مجلة رؤى العدد الأول ، السنة الأولى جمادى الأولى 1418 سبتمبر ، 1997 . مسحوبة من الأنترنت (. http : // www . Adabi hail . gov sa / maga .

php ? verid= 1 Ssecid=8 بتاريخ : 2005/05/20 .

⁷⁹¹ ابن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر، ج: 1 : 191 .

و هي القضية عينها التي ذكرها " الجاحظ " إي اللذة إلا أن اهتمام " الجاحظ " كان أكثر دقة إذ ركز على عنصر الإفهام، الذي يتضمن متلقيا يفصح له القول فيفهم المقصود.

أما " عبد الله بن قتيبة " فقد فسر الاهتمام بالمتلقين من خلال عناية الشعراء بمقدمات قصائدهم التي تحتوي ما يشد القراء بها؛ فعلى الشاعر أن يتخير أرق النسيب >> ليميل القلوب و يصرف إليه الوجوه و ليستدعي إصغاء السامعين الاستماع <<⁷⁹² .
و نجد بعد ذلك لمحة ذوقية عند " ابن طباطبا العلوي " الذي ذكر بأن الشعر باعتداله يحقق متعة خاصة مرتبة عن >> وضع الكلام مواضعه <<⁷⁹³ و غير بعيد عن " ابن طباطبا " نقف مع " الأمدى " و قد كانت معالجته للتلقي من زاوية غير مباشرة إذ جعل معظم اهتماماته ينصب على النقد بصفة خاصة، و ما يجب أن يتحلوا به من صفات موضوعية و علمية، غير أن هذا الاهتمام لم يقصد به جمهور المتلقين على اختلاف طبقاتهم، لأن " الأمدى " كان ناقما على شطط بعض النقاد و أراد من خلال آرائه أن يكون صورة مثالية للنقاد النموذجي و قد كان هذا رأي " الصولي " أيضا قبل " الأمدى " ⁷⁹⁴ .

و نجد بعد هؤلاء ناقدا آخر هو الفيلسوف العربي " أبو نصر الفاربي " الذي من خلال تأثره بالفلسفة تحدث عن المحاكاة و الأقاويل الشعرية المخيلة، و علاقتها بالمقول له فالمبدع من خلال هذه الأساليب >> يستنهض (المتلقي) لفعل شيء باستفزازه إليه <<⁷⁹⁵ و كذلك فعل " ابن سينا " بأن ركز على القضايا عينها و بأسلوبه الخاص أثناء ترجمته لكتاب فن الشعر.

و بعد هذه المرحلة بدأ التركيز على المتلقي يتضاعف تباعا و خاصة بعد ازدهار نظريات الإعجاز القرآني >> فقد أوجد النص القرآني فضاء جديدا من التعامل بين

⁷⁹² ابن قتيبة، الشعر و الشعراء : 7.

⁷⁹³ ابن طباطبا ، عيار الشعر: 44.

⁷⁹⁴ احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي: 12.

⁷⁹⁵ الفارابي ، إحصاء العلوم، نقلا عن احسان عباس، المرجع السابق: 221. .

النص و المتلقي >>⁷⁹⁶ خاصة مع " عبد القاهر الجرجاني " الذي قعد لوضع المتلقي في المكانة التي يستحقها؛ بأن تعرض لقضايا شتى كالغرابية، و اللذة الفنية و غيرها من القضايا التي تخص المتلقي، و نستطيع القول بأن >> النقد العربي ممثلا في الجاحظ و عبد القاهر قد اطمأن إلى أن بروز الشيء من غير معدنه هو الصيغة المثلى للنص ليحقق التأثير >>⁷⁹⁷ .

ليترجع بعد هذا القرن هذا الاهتمام بالأدب و يضع معه النقد بصفة خاصة و بالوصول إلى القرن السابع نلمح صورة هذا المتلقي تنبعث من جديد كطائر خرافي من خلال الناقد العربي " حازم القرطاجني "؛ الذي أعاد الاعتبار للمتلقي و ذلك لإدراكه قيمة هذا الأخير ف >> النصوص الأدبية ليست من إنتاج الأديب أو الشاعر فقط بل هي من إنتاج المتلقي >>⁷⁹⁸ أيضا و بذلك يكون التفاعل بين المتلقي و المبدع من خلال النص ، هذا الأخير الذي إذا امتلك زمام تأثيره في متلقيه فقد أدبيته و >> منح النصوص قيمة عالية... فخلود العمال الأدبية إنما هو خلودها في نفوس متلقيها >>⁷⁹⁹ .

مشروع حازم القرطاجني:

الذي يهدف من خلاله إلى ضرورة الاهتمام بالمتلقين ، باعتبارهم الجذوة المستعرة التي تمنح الحياة للنصوص، هذا الاهتمام الذي يساير تطور العملية الإبداعية عبر كل مراحلها و حتى قبل بدئها من خلال المفاهيم العامة و هو ما سنحاول التطرق له في هذا الفصل و أول المفاهيم هو مفهوم الشعر و علاقته بالمتلقي، فهل يكتسب الشعر عند " القرطاجني " فاعليته من خلال متلقيه؟ و سنغوص فيما يحقق فاعلية هذا الشعر، و تأثيره من تخييل و محاكاة و بهذا نكون قد دخلنا في صميم الفعل الإبداعي، فالمبدع لا بد أن يستحضر دوما قارئه و خصوصا أثناء الكتابة إذ لا يكفي أن يكون القارئ ضمن متصورات المبدع قبل البدء كمفهوم >> بل يحضر في لحظات

⁷⁹⁶ مجمد مبارك، استقبال النص عند العرب، ط 1، 199، بيروت: 14.

⁷⁹⁷ المرجع السابق : 21.

⁷⁹⁸ المرجع نفسه : 9.

⁷⁹⁹ المرجع نفسه: 9 .

الإبداع ، و يحضر بعدها ليستقبل المراسلة الشعرية و يتحقق و يفحص و يؤول و يفسر
<<800

و هو ما يجنب الوقوع في مزلق كثيرة >> لأن الغفلة عن القارئ لحظة الكتابة قد تدفع بالمبدع إلى الاعتناء بما يمكن أن يكون عليه القول فيسرف في التزييق و الزخرف و ينجذب إلى ما في اللغة (...) من إغراءات تجعله يضرب في فيافيها و يستجلى مجاهلها و يصبر أغوارها <<801 ، الأمر الذي يجعل المبدع يستعمل تقنيات تجعل قوله غامضا، بالاستعانة بالتمويه و الكناية فكيف يتعامل المتلقي مع هذا الاحتيال و الغموض؟ و هل يؤدي هذا النوع من الإبداع إلى قطع مجال التواصل بين القارئ و النص؟ أم أنه يفتح مجالات أوسع للقراءة؟

أم أن هذا المتلقي يملك كذلك خبرات تمكّنه من القراءة النقدية السليمة.
و سنحاول **الإجابة** في هذا الفصل كذلك عن أسئلة كثيرة خاصة بتصور
القرطاجني " للمتلقي و تعامله مع النصوص الإبداعية، هل هي بحاجة إلى تفسير أو شرح، أم هي بانتظار مبدع ثان يعيد صياغتها من جديد؟
و إذا كان الأمر كذلك فما هي القضايا التي تحوّل هذا القارئ البسيط ليتدرج من مقام لآخر بغية الاتحاد مع مبدع النص الأصلي، و هل يمكن فعلا أن يحدث هذا الاتحاد و هل يعني ذلك امتلاك زمام النص؟ .

تلك هي بعض القضايا التي سنتناولها في هذا الفصل.

أولا : مفهوم الشعر في ضوء علاقته بالمتلقي:

يرتبط مفهوم الشعر عند " القرطاجني " ارتباطا وثيقا بالمتلقي، فإذا كان مدلول هذا المصطلح في اللغة هو الفطنة و الشعور، فإن هذا الشعور لا يكون مثمرا إذا لم يحدث

800 فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني : 33.
801 شكري المبخوت، جمالية الألفة(النص و مقبله في التراث النقدي، المجمع التونسي للعلوم و الآداب بيت الحكمة، 1993، ط 1، : 1.

بين طرفين أو أكثر و هو ما ينطبق على حد الشعر عند الناقد فهو >> كلام موزون مقفى من شأنه أن **يحبّب** إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها و يكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه <<802 .

و قد أدرك " القرطاجني " أن القول الشعري لا يمكن أن يكون خلّاقاً و مميزاً إلا إذا أثر في متلقيه ، و القيمة الفنية تتجلى من التأثير و الانصياع لسلطة الخطاب، أما الأمور التي تحقق هذه السلطة فهي >> بما يتضمن من حسن تخيل له، و محاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك <<803 .

و قد أوعز الناقد هذا التأثير لبراعة الشاعر في التخيل، أو حسن هيئة المحاكاة أو مدى صدق و شهرة المعنى؛ أي أن كل عنصر منها كفيل بإحداث الهزة الجمالية ، إذا كان متقناً كما يمكن حدوث التأثير أيضاً باجتماع هذه العناصر في قول شعري واحد و كنتيجة ايجابية يحدث الاستغراب و التعجب ، و الذي يعرفه حازم بأنه >> حركة للنفس إذا اقترنت بحركاتها الخيالية قوى انفعالها و تأثرها <<804 في مقابل حركة الجمود⁸⁰⁵ كتجاوب سلبي مع النص عندما لا يوافق محتواه أفق تقبل المتلقي، و سنتحدث عن علاقة الخيال بالتعجب، و لكن قبل ذلك نتطرق لفكرة التأثير في حد ذاتها كفكرة مستقلة من جهة و متصلة بالمعرفة من جهة ثانية فحالات الاستجابة للنصوص حسب " القرطاجني " أربع سواء أكانت الاستجابة سلبية أم ايجابية و يصفها كمايلي:

أ - إذا كانت المعاني معروفة عند المتلقي تأثر و بالتالي كانت استجابته ايجابية .
ب - إن من المعاني مما يعرفه المتلقي لكنه لا يتأثر لمقتضاها فاستجابته سلبية ناجمة عن سلبية المعاني بالنسبة لأفق توقعه .

ج - و هناك معان إذا تعرف عليها المتلقي تأثر كانت استجابته ايجابية .

802 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 71 .

803 المصدر نفسه: 11 .

804 المصدر نفسه: 71 .

805 المصدر نفسه: 72 .

د - كما نجد معاني لا يعرفها الجمهور و لا يتأثر لها فاستجابته سلبية. و
يمكن أن نعيد تصنيف هذه الحالات للاستجابة حسب مقولة " القرطاجي " عن المعاني
الأصيلة و الدخيلة.

فإذا كانت المعاني في الأقوال الشعرية >> مما يعرفه الجمهور من فهم لغتها و
يتأثر لها <<⁸⁰⁶ فإن هذه المعاني أصيلة : من أجل ذلك حدث التأثير أما إن كانت >>
مما يعرفه و لا يتأثر له << فهي غير أصيلة فعدم المعرفة يقتضي تعلمها أي دخولها
لحقل التأثير، و إذا كان مم تتأثر له إذا عرفه فهي معان عريقة و هي تتوازي مع الفئة
الأولى.

أما الصنف الثاني فهي المعاني الدخيلة الصرفة >> و أحسن هذه الأشياء التي تعرف و
يتأثر لها أو يتأثر لها إذا عرفت <<⁸⁰⁷ و من أجل إبراز كيفية حدوث هذا التأثير لا بد
من الوقوف قليلا عند فكرة المعاني الجمهورية و علاقتها بالتأثير أو بالأحرى علاقتها
بالملقى .

⁸⁰⁶ حازم القرطاجني، المصدر السابق: 21 .
⁸⁰⁷ المصدر نفسه : 21.

ثانيا : المعانى الجمهوريّة:

إن الهدف السامي الذي من أجله يبذل الشعراء هو التأثير في المتلقي؛ فالغاية المثلى هي إنشاء افعال ما بداخله يكون بمثابة الاستجابة الفعلية، لمنبه في شكل مرسل شعري و حسب " القرطاجي " فإن هذا التأثير يكون إما قبضا أو بسطا فأما القبض فينفر النفس من محتوى القول و يجعلها ترفضه، و أما البسط فيجذب المتلقي إلى القول داعيا إياه لطلب الأمر تلك هي الإشارة الموجبة التي جعلها الناقد تتأسس على المعرفة فأحسن الأشياء هي التي تعرف ويتأثر لها أو يتأثر بها إذا عرفت << 808 .

فلا بد إذن أن **نكتته** ماهية هذه المعرفة التي ما إن اقترنت بالمعاني إلا و اهتز المتلقون و تأثروا بها.

و على هذا الأساس أسس " القرطاجي " آراءه النقدية، معتبرا أن المعاني المتضمنة في القول الشعري إن كانت مألوفة لدى القراء فإن المسافة الجمالية بينهم و بين النص ستتقلص تدريجيا فالحديث عن المعاني عند " القرطاجي " لا يخرج عن نطاق الحديث عن عملية القراءة و استجابة المتلقي للنص باعتبار هذا أن المتلقي هو مشكل الخطاب الشعري، و محل الشفرات اللغوية، و لذلك لا يمكن لهذا النص إلا أن يحتوي ما قد يتصوره ذهن المتلقي، خاصة في ظل الرداءة التي سادت في عصر الناقد إذ << أصبحت الشعرية في / الشعر إنما هي نظم أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمه و تضمينه أي غرض اتفق على أي صفة اتفق >> 809 .

أيقن الناقد – بعدئذ - أن الشعر لا بد أن يحمل في مضمونه معاني مألوفة لدى المتلقين فتصبح جزءا من أفق توقعاتهم ليستطيعوا تبعا لذلك أن يستعدوا **لنقبل** هذا الفن، و هو << الاستعداد الذي يكون بانطواء السامع على هوى يكون غرض الكلام المخيل

808 حازم القرطاجي، المصدر السابق : 21 .

809 المصدر نفسه: 21 .

موافقا له فينفع له <<810. فالتواصل يحدث و منه الإقناع ثم التأثير بقدر معرفة المتلقي للمعاني المتضمنة في القول الشعري.

و قد اعتبر الناقد أن المؤلف من المعاني أكثر إثارة للتعجب و هي في مجملها بما فيها من <<خيرات و شرور أو يتوهم أنها كذلك منها أمور يشترك في معرفتها و إدراكها الخاصة و الجمهور و منها أمور ينفرد بإدراكها و معرفتها الخاصة دون الجمهور <<811.

و إذا دققنا النظر في هذا القول نجد أن الناقد يضعنا أمام **مستويين** من المعاني الموجهة إلى صنفين من المتلقين عامة و خاصة، فالعامة يعرفون المعاني ثم يدركونها بينما الخاصة يدركون المعاني ثم يعرفونها من خلال إدراكهم و الفرق في **التقبلين** واضح في المبدأ أو إن كان مختلفا في مسار عملية الفهم. و قد ركز " القرطاجني " على المعاني التي يشترك فيها الخاصة و لكي يرتفع مستوى العامة فيواكبوا القراء المختصين من أجل ذلك << كانت **علقة** جل أغراض الناس و آرائهم بالأشياء التي اشترك الخاصة و الجمهور في اعتقادهم أنها خير أو شر <<812 و بناء على هذا سمى المعاني التي << فطرت النفوس على استلذاذها أو التألم منها أو حصل لها ذلك بالاعتیاد << بالمعاني العريقة: و هي أيضا المقاصد المألوفة و المدارك الجمهورية **813** أو الأغراض الأصيلة.

تكتسب هذه المعاني عراققتها من المتلقي نفسه لأن << لها حقائق موجودة في العيان و لها صور موجودة في الأذهان و لها من جهة ما يدل على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام <<814.

بمعنى أن المعاني المحتواة في النص في جوهرها و بعيدا عن المحاكاة و التخيل صورة مباشرة لما هو حاصل << في أفهام السامعين و أذهانهم <<815 و تلك هي المعارف أو

810 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 124.

811 المصدر نفسه: 20.

812 المصدر نفسه: 20.

813 المصدر نفسه: 20.

814 المصدر نفسه: 19.

المدارك العريقة أو الأصلية، و بالمقابل فإن <<ما انفرد بإدراكه المكتسب الخاصة من الجمهور غير عريق في الصناعة الشعرية بالنسبة إلى المقاصد المألوفة و المدارك الجمهورية >>⁸¹⁶ و هو ما سّماه بالمعاني الدخيلة ؛ إذ يرى بأن <<المعاني التي إنما يكون وجودها بتعلم و تكسب كالأغراض التي لا تقع إلا في العلوم و الصناعات و المهن >>⁸¹⁷ و لذلك فهي دخيلة على اللغة الأدبية.

رام " القرطاجي " من وراء هذا التصنيف أن يبحث في أدبيه الأدب من خلال لغته التي تميزه عن غيره و قد أستبعدها الناقد معتبرا إياها معيبة لكونها دخيلة في الكلام بحسب الغرض.

و الميزة التي تفصل بين المدارك الأصلية و الدخيلة هي الطبع فالمعاني الأصلية تدرك دونما تكلف عكس المعاني الدخيلة .

و لا يترك " القرطاجي " فكرة المعاني هذه مفتوحة للتأويل ، فلا يعني مجرد وسمها بالجمهورية أنها عادية أو نثرية أو سهلة الإدراك للوهلة الأولى؛ ذلك أن هذا المعنى الأصيل في جوهره يتم تجاوزه بالشكل فيغدو مختلفا بإكسابه منظرا يثير الإعجاب >> إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخيل و المحاكاة في أي معنى اتفق ذلك >>⁸¹⁸ و على الشاعر الجيد أن يجمع بين قول مألوف غير بعيد عن أنواق الجمهور بحيث يكسب إقناعه و تأثيره من التخيل و المحاكاة قول يستطيع من خلاله >> أن يعرف كيف يقدم المألوف و كيف يتأتى للمستغرب؟ و يعيد تقديمه للمقول له، و يفاجئه و يحقق له الهزة الجمالية التي تحركه نحو الاستلاب الجمالي >>⁸¹⁹ .

و ما على المتلقي إلا أن يحسن التعامل مع هذا المعطى الجديد الذي اكتسى هالة من >> التشفيق و التخفيف من كثافة العالم و حجب الأشياء، و إعادة التعرف على

⁸¹⁵ حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 19 – 20 .

⁸¹⁶ المصدر نفسه : 20 .

⁸¹⁷ المصدر نفسه : 28 .

⁸¹⁸ المصدر نفسه : 21 .

⁸¹⁹ فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجي : 237.

هويتها و هي معرفة بالعالم تقدم عبر المحاكاة و غير التخيل و عبر القول الشعري بمختلف وسائله و آلياته <<820 .

و هو ما يستلزم استعدادا خاصا و مرانا كافيا ليتحول المتلقي بهذا الانجاز إلى باث جديد للمعرفة و هو الهدف الذي من أجله دعا " القرطاجي " إلى فكرة المعاني الجمهورية، فالشعر لن يكتسب قيمته الفنية الجمالية إذا كان مستغنيا عن القراءة الناقدة ، بل يكتسب هذه القيمة بالقراءة و إذا كان القارئ يميل إلى ما ألف من المعاني كالقصص مثلا فذلك لأن طبعه يهديه، و لا يكفي الطبع وحده للقراءة رغم أنه يكتشف هذه المعاني العريضة في لب القول، لأن المعاني ليست معروضة للمتلقي في النص ذلك أن لها من الشفافية ما يجعلنا نحس أننا امتلكنها حتى تتلاشى هاربة من متناولنا.

و يقسم الناقد هذه المقاصد المألوفة إلى ثلاثة أقسام حسب اللذة و الألم ف << الأشياء التي فطرت النفوس على استلذادها أو التألم منها أو ما وجد فيه الحلال من اللذة و الألم >>821 و تبعا لهذا التقسيم يكون تفصيل هذه الحالات كالآتي:

- معان >> تكون مفرحة محضة يذكر فيها لقاء الحبة في حال وجوده و اجتلاء الروضى و الماء و ما ناسبهما و التنعيم بمواطن السرور و مجالس الأانس <<822 و هو ما ينتج لذة في تخيل هذه المواقف و استحضارها.

- معان >> (مفرجة) يذكر فيها التفرق و التوحش و ما ناسب ذلك بالجملة أضداد المعاني المفرحة المنعمة <<823 فيكون التألم منها و من استحضارها.

- أما الصنف الثالث فهو الذي يختص بالشجو* الجامع بين اللذة و الألم هذه المعاني التي >>تذكر فيها **مستطبات قد انصرمت فيلند** لتخيلها و يتألم لفقدائها فتكون

820 المرجع السابق: 233.

821 حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 21 .

822 حازم القرطاجي ، المصدر السابق : 21 - 22 .

823 المصدر نفسه : 22 .

* و هي المعاني التي تقترن بمبدأ التأنيس الذي ذكر في الفصل الثاني :

طريقة شاحبة << 824 حيث تلتئم اللذة و الألم؛ فاللذة الحقيقية قد تفضي للألم عندما يكون الإحساس عميقا و صادقا فذكر اللقاء مثلا يفرح لكن مجرد كونه ذكرى ماضية يدعو للتأثر و التألم.

و كما هو واضح فإن الأساس الذي صنفت وفقه هذه الحالات أساس نفسي خالص مبني على الانفعالات النفسية و ما ينجر عنها من إحساس باللذة و الألم و هو ما سمّاه " حازم " بالقبض و البسط هذه الثنائية التي جعلها بؤرة التجاوب بين المتلقي و النصوص؛ فالمحاكاة و التخيل عناصر تستمد الفاعلية اللازمة من المعاني الجمهورية لمواجهة متلقي النص.

و ما يعاب على الناقد في تقسيماته الثلاثة أنه حصر اللذة و الألم أو هما معا من خلال استشهادهما في **النسيب** فقط؛ فالتقاء الأحبة يثير لذة، و افتراقهما يثير التألم. و تذكر اللقاء يؤدي إلى نشوة التذكر، تذكر اللقاء، ولذة معرفة أن هذا اللقاء قد انصرم. فليس **النسيب** و العزل فقط الحالة التي تؤدي إلى ذلك فهناك مواضيع أخرى تولد اللذة و الألم كالوفاء مقابل الخيانة، و الحرية مقابل العبودية... إلخ من المواضيع التي فطرت النفوس على التأثر بها طبعاً لا تكلفاً. و هو ليس عيب " القرطاجي " و حده، فذلك هو شأن أغلب النقاد الذين تعرضوا لمصطلحي للقبض و البسط.

كانت هذه فكرة " القرطاجي " عن المعاني الجمهورية و التي تتقاطع إلى حد ما مع ما يقتضيه الجماعة المفسرة⁸²⁵ التي سنتها نظريات التلقي الحديثة باعتبار أن هذه الجماعة هي التي تنشأ قانون **القراءة** بعرف ضمني لا يمكن لعمليات القراءة أن تتجاوزه.

و هو الهدف عينه الذي أراده " القرطاجي " لكن العرف وضع للشعراء خدمة للمتلقين، و لا يعني هذا سهولة المقصد في الكتابة و القراءة لأن التأليف الشعري الذي يعتمد على الجمع بين المعتاد و المستغرب ليس بالأمر الهين، كما أن استخراج المؤلف من خلال المستغرب ليس كذلك بالأمر اليسير.

824 المصدر نفسه : 22 .

825 عبد العزيز حمودة، المرايا المجذبة، من البنيوية إلى التفكيكية، عالم المعرفة، الكويت، أفريل: 1998 : 228..

و سنتتبع تجليات المقاصد المألوفة في المحاكاة كما في التخييل أي في النظم بصورة عامة، خاصة إذا أحسن المتلقي التعامل معها، و في كل مرحلة من مراحل القراءة الإبداعية و قد ندرك سبب تبني " القرطاجي " لهذه القضية أي قضية الجمهور الذي من خلاله تكتسب النصوص الإبداعية مصداقيتها، فالخطاب لا تتحقق فاعليته الجمالية و الفنية إلا بين يدي متلق يحسن قراءته بأسلوب فني مناسب.

ثالثاً: المحاكاة و المتلقى :

لا يتطرق " القرطاجني " لمسألة إلا و كان المتلقي قطبا رئيسيا فيها، إذ عند حديثه عن المحاكاة الفنية يقرنها بالقول له استعدادا و استيعابا و لم يكن تبنيه لفكرة المعاني المألوفة أمرا عارضا، فهو ينم عن دراسة معمقة للوضع الاجتماعي و الثقافي ككل، و الكون الشعري بصفة خاصة. " القرطاجني " يرمي إلى أن يتبوأ الشعر منزلة بين منزلتين، بحيث **يتأتى له البين عن الإسفاف** الذي وصل إليه جراء فساد الأوضاع من جهة، و منه يدنو شيئا فشيئا من النموذج الرائع الذي عرف في العصور السابقة، و إذا كان الجمهور قد انصرف عن تذوق الفن، فذلك راجع إلى أن هذا الأخير لم يعد يستجيب لمتطلباتهم.

و لأجل ذلك رأى " حازم " ضرورة بناء الشعر وفق تصور بمس مشاعر و أحاسيس الجمهور طبعاً و وسمت بالأصالة تبعاً لذلك >> المتصورات التي في فطرة النفوس و معتقداتها العادية << 826 .

الشعر الذي ينشده الناقد - بصورة أوضح - قول محاكى يعتمد فيه على الخيال الفني بدقة، و تحسين بالاعتماد على نوق رفيع يحمل في جوهره مادة أصيلة غير بعيدة عن طبع المتلقي و مستوى تقبله ف >> على القائل أن يعرف كيف يقدم المؤلف، و كيف يتأتى للمستغرب و يعيد تقديمه للمقول له، و يفاجئه و يحقق الهزة الجمالية التي تحركه نحو هذا الاستلاب الجمالي << 827 .

المطلوب من القائل إذن أن يتجاوز الواقع و يقدم للمتلقي توليفه فنية محكمة و ذكية، و على هذا الأخير فيما بعد أن يكتشف سر جماليتها و يفككها لكي تتحقق الهزة التأثرية و التي هي في الأصل >>هدف جمالي القصد منه إحداث الاستلذاذ أو اللذة << 828 .

826 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 22 .

827 فاطمة عبد الله الوهبي، المرجع السابق : 237.

828 فاطمة عبد الله الوهبي، المرجع نفسه: 237.

المحاكاة هي التي تجعل المؤلف مستغربا و بالتالي مؤثرا، كما تجعل المتلقي يهتز إما قبضا أو بسطا، فيتحقق الوقع الجمالي الذي يتوخاه كالقائل أو بالأحرى يتفرد الفنان الأصيل عن غيره >> فحازم يحوم بها [المحاكاة] حول المؤلف و المعتاد و إعادة تقديم العالم و الأشياء من زاوية لم تعهده <<829 و يؤكد قائلاً: >> إن أفضل الشعر ما حسنت محاكاته و هيأته و قويت شهرته أو صدقه... الخ <<830 ، هذه المحاكاة التي تلفت انتباه المتلقي و تجعله يتأثر و يعجب فيهتز؛ إذ >> للنفوس تحرك شديد للمحاكيات المستغربة لأن النفس إذا خيل لها في الشيء ما لم يكن معهودا من أمر معجب في مثله و جدت من استغراب ما خيل لها مما لم تعهده في شيء ما يحده المستطرف لرؤية ما لم / يكن أبصره قبل <<831 .

و تحرك النفس البشرية بالمحاكاة الجيدة التخيل أمر جميل رغم كونه طبيعياً، ذ ترتبط المحاكاة بالنفس البشرية كطبع أصيل فيها بعض النظر إن كان الشيء المحاكي >>حقيقة، أو كان ذلك لا حقيقة له فيبسطها التخيل للأمر و يقبضها عنه <<832

فأكثر ما يشدّ نظر المتلقي و يلفت انتباهه هو مدى تناسق الصورة الفنية مهما ضمت في داخلها عناصر إذا اجتمعت في الواقع **فمقتتها** الأعيان و **مجها** الأنواق >> فيكون المفرح ليس نفس تلك الصورة و لا المنقوش بل كونها محاكاة لغيرها إذا كانت قد **أنقنت** <<833 .

فدقة الإتقان و جماليته هو ما يجعل الشيء مؤثرا و إذا كان " حازم " قد ركز الأساليب التي تجعل المحاكاة جيدة، فإن العنصر الأهم هو تجاوب المتلقي مع هذه المحاكاة ، و كيفية حدوث ذلك دون تكلف و كيف يتحول هذا المعطى الطبيعي إلى قطعة جميلة من شأنها أن تؤثر و تحدث هزة جمالية متكاملة ، بالرغم من مرور هذه القطعة بمرحلة

829 المرجع نفسه: 237 .

830 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 71.

831 المصدر نفسه : 96 .

832 المصدر نفسه: 116.

833 المصدر نفسه : 117.

الافتراضية فالقارئ عندما يقارب بين عناصر هذه المحاكاة يتولد لديه إحساس بالارتياح، >> إذ تمثل ما تعرضه المحاكاة على القارئ لونا من الاستلذاذ بالتطابق بين المعرفة الأولى المتخفية في طيات الذاكرة و المعرفة الجديدة التي يقدمها النص << 834 .
>> و الذاكرة هي كل ما رآه و خزنه ذهن المبدع و المتلقي علي حد سواء
فالتبيعة التي تحاكي في الفن تشمل الأمور الواقعية و الخيالية و المادية و العقلية التي تدخل التجربة الإنسانية، وتسهم في تكوين أو تلوين حياتنا الفكرية و الشعرية << 835 .

فإذا وظف الشاعر محاكاة لشيء هو في الأصل موجود في الطبيعة، فإن العبارة البديعية هي التي تؤثر فيه أكثر من المادة عينها >> و لهذا نجد الإنسان قد يقوم المعني بخاطره علي جهة التذكر و قد يشار له إليه ، و قد يلقي إليه بعبارة مستقبحة ، فلا يرتاح له في واحد من هذه الأحوال ، فإذا تلقاه في عبارة بديعية اهتز له و تحرك بمقتضاه << 836 .

وإذا فصلنا حركة التأثر عن فعل المحاكاة الفنية فإن هذه الأخيرة تفقد معناها و قيمتها معا ، باعتبار أن المحاكاة الأصلية هي >> التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء أو الهروب منه أن يكون ما يحاكي به الشيء المقصود إما له النفس نحوه مما تميل النفس له . و إن يكن ما يحاكي به الشيء المقصود تنفير النفس عنه مما ننفر النفس أيضا << 837 وما خرج عن هذا الإطار أي الطلب و الهروب – فووقع التعجيب له نادر .

و لأن المتلقي يشاطر المبدع في التجربة الإبداعية ، فإن هذا الأخير يستحضر لحظة الكتابة، إذ يشير حازم بأن الشاعر في محاكاته يوظف أقوالا و أغراضا في نصه تقابلها في ذات المتلقي >> هيآت تلك الأمور و تنشق صورها الخيالية << 838 .

834 شكري المبخوت، جمالية الألفة: 42 .
835 اسماعيل الصفي، المحاكاة مرآة الصيغة و الفن ، ط 1 1409 . 1989. دار المعرفة الجاه الاسكندرية : 13.
836 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الادباء : 118.
837 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 113 .
838 المصدر نفسه : 97 .

فالمبدع يعبر عن تجربته الجمالية بالموازاة مع أصداء تجربة المتلقي الذي رسم " القرطاجني " ملامحه ، إذ افترض تزوده بمادة أولية بالإضافة إلى مكتسبات أخرى على الشاعر أن يراعيها أثناء كتابته ، لكي يكون المتلقي مهيباً و مستعداً لتقبل **لخطاب** .

أما عن ماهية هذا الاستعداد ف >> يكون بانطواء السامع علي هوى يكون غرض الكلام موافقا له فينفع <<⁸³⁹ للنص الذي احتوى علي الهوى . و بالرغم من أنه يبدو للوهلة الولي غريبا بالنسبة للمتلقي نظرا لمحاكاته و تخيله إلا أنه يحمل في جوهره فكرة أو عرضا مألوفاً ، ف >> الأقاويل الشعرية أشد الأقاويل تحريكا للنفوس ، لأنها أشد إفصاحا عما به علة الأغراض الإنسانية <<⁸⁴⁰ وإذا أمعنا النظر في أقوال " القرطاجني " عن الاستعداد نجده قد جعل هوي السامع أساسا يبني عليه الشاعر قوله إذ قدمه كركيزة للاستعداد ، بمعنى أن المتلقي هو الذي يحفز المبدع على القول الشعري و الإجابة في نظمه ، نظما يحفز المتلقي كذلك علي القراءة الإبداعية الناقد .

و من الجدير بالذكر- في هذا المجال - أن المتلقي لا يؤثر فيه القول المؤلف، ولا الفكرة التي تناولت غرضا وجدانيا إلا إذا كان وقعه كبيرا بفعل المحاكاة و التخيل اللذين يجعلانه مثيرا و مؤثرا في الوقت عينه بفضل تحقيقه لعنصر المفاجأة التي ينتظرها المتلقي.

أما الإثارة فهي إثارة الخيال و الحواس للتفكير و التحليل و اكتشاف أسرار التعجيب ، أو ما سماه " حازم " بالقبض و البسط و أما التأثير فهو بالانصياع للقول ب >> تحريك النفس إلى طلبه بما من شأنها أن تهرب عنه، و ما قصد تحريكها إلى الهرب منه بما من شأنها أن تطلبه <<⁸⁴¹ ليقع فيما بعد فعل التعجيب الذي يقترن بالإتيان بمعنى مألوف في شكل مستغرب .

839 المصدر نفسه: 124.

840 المصدر نفسه: 188 .

841 المصدر السابق: 113.

ثالثاً/ 1 - شروط المحاكاة:

ذكر " القرطاجي " أن تحقق الهزّة التأثرية في المحاكاة أمور ثلاثة لا تقوم المحاكاة بدونها:

- درجة الإبداع فيها
 - بحسب ما تكون الهيئة النطقية بها .
 - بقدر ما تجد النفوس مستعدة لقبول المحاكاة و التأثر لها .
- هذه الشروط الثلاثة جعلها – مرتبطة و مبنية حسب أركان العملية الإبداعية من خطاب، و قائل، و متلق إذ يُنسب الابتكار و الجودة إلي القول أي إلى القصيدة. أما الهيئة النطقية فتنسب إلي القائل ومدى تمرّسه و تمكّنه و الإيجادة في كيفية تبليغ القول، و امتلاك الخبرات. أما الاستعداد فينسب إلي المتلقين و هو الشرط الذي سيتم التركيز عليه هنا.

إن استعداد المتلقي لتقبّل المحاكاة يقلص المسافة الجمالية بين القائل و الخطاب، أو بالأحرى **يشظيها** لأن الفكرة الأصلية و الأصيلة لما سيقدمه النص هي مخزون أولي مشترك بين المبدع و المتلقي و تبقي النقطة الفاصلة بينهما و هي محور التوتر، هي مقدار جودة صنع هذه المحاكاة ، أي الأمر الذي يفعل الحوارية بين المتلقي و النص >> الكاتب يخاطب المتلقي مباشرة و يدعو للإسهام معه في عملية تكوين النص <<⁸⁴² .

و هنا ينشأ الحوار و تتشابك الوظائف في محاولة مستمرة في هدم الدلالة و بنائها من جديد و صوغ الكتابات المتكررة للنص ، و قد قسم " القرطاجي " هذا الاستعداد لتقبل المحاكاة إلي قسمين:

⁸⁴² حميد الحمداني، القراءة و توليد الدلالية غير عاداتنا في قراءة النص الأدبي المركز الثقافي الأدبي العربي ط 1 2003 .13:

ثالثاً/ 1 - 1 - القسم الأول يقع >> بأن تكون للنفس حال وهوى قد تهيأت بهما لأن يحركها قول ما بحسب شدة موافقته لتلك الحال و الهوى>>⁸⁴³ ، هذا النوع من الاستعداد مؤسس على فكرة الأغراض المألوفة أو المعاني الجمهورية كمادة أولية، فالمتلقي لا يتفاعل مع أي نص إلا إذا امتلك بعض خيوطه و لو كان هذا الامتلاك وهمياً و افتراضياً ليكون التناسب بين مدركاته و معطيات هذا المقدم إليه لـ >> يلقي اقتراحات المؤلف ثم يعيد بناءها من جديد لنكشف نصه الخاص >>⁸⁴⁴ .

أمامنا إذن صنفان من النصوص أحدها واقع من إنشاء المبدع ، و الآخر ممكن و افتراضي أو بالاحري نموذجي مؤسس في وعي المتلقي و هو نص يستند على أمور كثيرة ، وإذا كنا قد وسمناه الافتراضية فذلك راجع لقيامه على عدة ركائز من بينها أفق توقع المتلقي الذي تتأسس وفقه القراءات المتتالية لنص مفرد أو عدة نصوص ، >> ومعني ذلك أن أي قراءة لا تبدأ من فراغ بل هي قراءة تبدأ من طرح أسئلة تبحث لها عن إجابات >>⁸⁴⁵ مقنعة في النص المقدم . هذه الأسئلة أو التساؤلات لا تنشأ أيضاً من فراغ بل يوجهها و يوطرها أفق الترقب و استعداد القارئ يمنحه امتيازات تجعله يسأل و يحاول الإجابة من خلال التفكيك و التحليل و التركيب و الإحالة .

وإذا سلمنا باعتبار أفق انتظار معطى مكتسباً بالإضافة إلى ما عرف من المعاني و الأغراض **بالدربة**، أضف إلى ذلك ما تم اكتسابه من مهارات في الاستقراء و تقنيات في القراءة و التأويل المعرفي ، و تفسير المموه و حل الشفرات اللغوية ، فان هناك معطيات أخرى فطرية يملكها المتلقي الناقد و هي الطبع السليم الذي يؤسس الذوق الفني و البصيرة الناقدة التي تميز بين الأعمال و تنتقيها بالإضافة إلى الإحساس بالجمال و التأثير له دون تكلف . دون أن ننسى بأن الأغراض المألوفة في جزء منها تصنف ضمن الأمور الفطرية و في آخر تصنيف ضمن المكتسبة ، فالفطرية منها هي كون النفس تتراح لمعاني قريبة منها بالفطرة و هو ما ألق عليه " القرطاجني " ، أما المكتسبة فهي

⁸⁴³ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 121 .

⁸⁴⁴ عيد الحميد الحمداني، القراءة و توليد الدلالة: 13 .

⁸⁴⁵ نصر حامد بوزيد ، الخطاب و التأويل ، المركز الثقافي الغربي ط 1، 2000 :6.

تبعات هذه المعاني المألوفة أي ما يلفها من تنميق و رونق هما في الأصل مكتسبان من المحاكاة و التخيل.

استعداد التقبّل عند "القرطاجني" مكون مما هو أصيل في حد ذاته بالإضافة إلي تقنيات تكتشف المحاكاة و التخيل و اللغز و الكتابة فالتمويه ، و تفككها تباعا هذه العملية بمجرد تكرارها مع نصوص كثيرة ينشأ استعداد قبلي للتجاوب مع هذا الزخم و الركام المعرفي و الثقافي .

>> فمعنى القصيدة و قيمتها يكمنان في نصها ذاته <<⁸⁴⁶ و هي القيمة التي سمّاها حازم بالمفاجأة و هي هذه الصدمة الناجمة عن المواجهة بين الاستعداد أو التهيئ النفسي و المعرفي وما سيقال، أي ما هو موجود فعلا في النص المقدم .

أما عن ماهية هذه الصدمة فقد تكون ايجابية أو سلبية ، فأما الايجابية فتنشأ عند القارئ الايجابي الذي يضع النص بأفقه الماضي و الحضاري و قراءاته ليجد أمامه نصا جديدا يخرق أفق توقعه خرقا ايجابيا يجعله يبحث عن قوانين نصية لتعديل و تحسين هذا الخطاب من خلال اكتشاف أسرار النص ،صورة تقترب من صورة الناقد العارف الذي يواجه السماء المنبسطة أي النص ، بعضاه الوهمية أي الاستعداد وأفق التوقع إذ >> يرسم عليها **بطرف عصاه** مربعا وهميا يستطيع أن ستقرئ منه ، حسب قواعد معينة ،حركة طيران الطيور [غياب الدلالة] تتبع المعلق في النص مناطق معينة للقراءة لكي يستطيع أن يرصد فيها هجرة المعاني و نشوء الثغرات و انتقال المقتطفات<<⁸⁴⁷

فينشأ التفاعل بين النص و المتلقي ليتم التجاوز إلي لغة هي لغة القراءة كبديل للغة الكتابة و يتم من خلال هذه القراءة الإبداعية قراءة النص ، قراءة مختلفة و هنا تحدث الهزة التأثيرية أما الصدمة السلبية فهي تحدث إما لأسباب ذاتية متعلقة بالمتلقي أو موضوعية خاصة بالخطاب الأدبي ؛ لأن المتلقي إذا كان غير مزود بما يخوله لفتح النصوص فان المرسلّة الشعرية ستكون مبهمة و لا يمكن إيعاز هذا القصور إلي الخطاب بل العجز في المتلقي تكويننا و استعدادا ، إذ >> ليس السماع وحده كافيا للحكم

⁸⁴⁶ شفيح السيد ، قراءة الشعر و بناء الدلالة، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، رقم الابداع 3941 / 1999

⁸⁴⁷ عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبه :337.

علي النص الجيد >>⁸⁴⁸ . بل هناك عوامل أخرى سبق ذكرها تساهم في ذلك ، أما إذا كان الخلل في الخطاب فان الصورة المتمثلة للنص الافتراضي الراسخ في ذهن المتلقي ستجعل من المسافة الجمالية بين النصين طويلة لأن النص المقدم كبديل بعيد تماما عما كان يتوقع أو يستعد له و هو ما ينطبق على الأدب في عصر " حازم القرطاجي " .

⁸⁴⁸ سرحان جفان ، التأويل في النقد الأدبي الحديث ، مجلة علامات في النقد رجب 1423 2002 سبتمبر المجلة 12 الجزء 45 : 352 .

ثالثاً/ 1 - 2 - أما النوع الثاني من الاستعداد الذي يقدّمه " القرطاجني " فهو >> أن تكون النفوس معتقدة في الشعر انه حكم و أنه غريم يتقاضي النفوس الكريمة **الاجابه** إلى مقتضاه بما / أسبلها من هزة الارتياح لحسن المحاكاة << 849

و يرتبط هذا الصنف من التهيؤ بالتكوين الشخصي للمتلقّي؛ أي التربية الجمالية في التذوق الجمالي للمتلقّي بصفة عامة و الناقد علي وجه الخصوص، بالإيمان بجاذبية و تأثير سلطة الجمال و الفن علي النفس البشرية ، و نظرا لتردي أوضاع الفن في عصر حازم الذي لاحظ أن هذا الاستعداد << معدوم بالجملة في هذا الزمان >> 850 و هو ما يجعلنا نقول بأن هذا الاستعداد يرتبط بعامل ظرفي فهو لا ينطبق علي القرن السابع بل يرتبط أكثر بعصور الشعر الذهبية ، حيث كانت ثقة المتلقّين بأنفسهم توازي ثقتهم بأدب شعرائهم و لذلك فان بعض النقاد يري بأن هذا الاستعداد << عقد ضمني بين القائل و المقول له عقد يتضمن وجود سامع يستقبل القول الشعري >> 851 فهو في الحقيقة ميثاق بين المتلقّي و النص لا غير .

و إذا كان هذا الاستعداد ينص علي الإيمان المطلق بتأثير الشعر حتى يصبح نبوءة جديدة فان هذا يتأسس علي طبع سليم في إدراك الأشياء الجميلة و << الطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام و البصيرة بالمذهب و الإغراض من شأن الكلام الشعري أن ينحني به نحوها >> 852 .

وكما نلاحظ فان الطبع الأصيل وحده بإمكانه أن يؤسس هذا الاستعداد عند المتلقّي و يربّي بداخله ذوقا راقيا مؤسسا يهديه حسّ جمالي يخوّله لاكتشاف مكامن النصوص و سدّ ثغراتها . << وفق منطلقات تجعل القائل يرسل القول الشعري و هو يعرف أن هناك مرسلا إليه يستقبله وفق اعتقاده بسلطة القول الشعري و يستسلم لأثره و تأثيره الجمالي >> 853 .

849 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 121.

850 المصدر نفسه 124.

851 فاطمة عبد الله الوهبيي نظرية المعني عند حازم القرطاجني : 236.

852 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 199.

853 فاطمة عبد الله الوهبيي ، المرجع السابق : 236.

وهو ما يولد حميمية شديدة و ألفه جيدة بين المتلقي و النص، و بعد تدريب متواصل ومران حثيث ينشأ إحساس بسحر الأعمال العظيمة و جاذبيتها ليتأصل هذا النوع من الاستعداد بالتدرج نتيجة لتنامي تجربة القراءة الإبداعية فيصبح بإمكان متلق بهذه الدرجة >> أن يتسلح ... لتلقي القول الشعري بالنية الصادقة المخلصة لاستقباله و احترامه و تخريجه علي الوجه الذي يمكن قبوله من وجوه الصحة ، ويحتال في تخريجه **بدلاً من تخريجه** << 854

إلا أن هناك عوائق في عصر الناقد ، حالت دون نشوء هذا النوع من الاستعداد ، و قد ذكر " القرطاجني " كيف أن الذات المتلقية قد انصرفت عن تذوق الفن عموماً و الشعر خصوصاً ، و أن القراء قد >> صرفوا النقص إلي الصنعة ، و النقص بالحقيقة راجع إليهم و موجود فيهم << 855 ذلك لأنهم ظنوا >> أن الشعر نقص و سفاهة << 856 لأن الشعر ما عاد يؤثر فيهم ، كما أنه لا يستجيب لمتطلباتهم الجمالية ولا يعكس آمالهم و تطلعاتهم ..

و ما زاد الأمر سوءاً، النصوص التي تماثلت في رداءتها و تدني مستواها >> و كان منزلة الكلام الذي ليس فيه إلا الوزن خاصة من الشعر الحقيقي منزلة **الحصير المنسوج من البردي و ما جرى**، مجراه من الحلة المنسوجة من الذهب و الحرير لم يشتركا إلا في النسج كما لم يشتركا الكلامان إلا في الوزن << 857 .

و بقدر استيعابنا لهذه الوضعية الصعبة على مستوى كل الأصعدة يزداد تقديرنا للجهود التي بذلها " حازم القرطاجني " في هذا المجال و إذا دققنا الملاحظة في الاستعدادين معا نجد أن ما يجمع بين الأول و الثاني و صفهما بالافتراضية لغيابهما لدي المتلقي في عصر الناقد من أجل هذا هو يطمح إلى تأسيسهما من جديد وفق قاعدة متينة بالقضاء علي جوانب النقص التي أدت إلى هذا الانحطاط و السوء .

854 فاطمة عبد الله الوهبي ، المرجع السابق: 240

855 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 124- 125.

856 المصدر نفسه: 124.

857 المصدر نفسه : 125.

كما أننا نلاحظ أن غياب الاستعداد الثاني هو الذي أفضى إلى تلاشي الاستعداد الأول ؛ ذلك أن فقدان الشعر لقيّمته أفقده تلك السلطة العجيبة في التأثير ، و التي توازي السّحر ، مما أدي إلي اتساع الهوة بين المتلقي و النص فحدثت القطيعة التي كان من أخطر تجلياتها فقدان الثقة في الشعر و الشعراء ، أو بالا حري بالفن كله .

و إذا كان التلقّي قد مرّ بهذه المراحل العصبية، فكيف لنفس السامع أن تتطوي علي صورة متضمنة في كلام القائل!، و كيف لهذه الهزة أن تتحقق إذا كان المتلقي بعيدا عن النص الشعري ، نائيا عن تفاصيل الكتابة الإبداعية و أبجديات القراءة السليمة !! >> فالتذوق ليس عملا فطريا بل هو يتحصل بجهد وإدراك و رويّة <<⁸⁵⁸ .

و يمكن أن نقول بأن نشوء الإحساس بسلطة الفن قياسا على زمن الناقد، لا يمكن أن يحصل إلا بعد سنوات من الرياضة و الجهد و المثابرة – و هو ما يحدث فعلا – حيث يتأسس الذوق الفني لدى أجيال المتلقين المتميزين ، و هو ما يجعل هذه الآراء و غيرها مفتوحة فهي موجهة لمثلث مثالي وفق أفق تقبل افتراضي كذلك، ممنهج و مأسس في آن واحد .

⁸⁵⁸ محمد المبارك، استقبال النص عند العرب : 22.

مجل القول هنا أن القول الشعري الذي يتضمن المحاكاة أو التخيل يحقق الهزة التأثرية المقصودة بناء على طريقة حبك هذه المحاكاة و إيراد التخيل فيها، كما يعود ذلك إلى مدى استعداد المتلقي للتقبل و قابليته للتأثر .

>> و كما هو ملاحظ فإن حدود المتلقي واضحة المعالم عند حازم فهو حينما يعالج قضايا المحاكاة يذكر الشاعر بأهمية الخلفية المشتركة بينه وبين المقول له ، مؤكداً على شرط تقدم معرفة كليهما بالأشياء موضوع المحاكاة <<⁸⁵⁹.

فإذا كان المبدع يتهيأ للكتابة الإبداعية محاكاة و تخيلاً و تمويهاً، فإن المتلقي يستعد للقراءة الإبداعية نقداً و استنباطاً إذ يتحول إلى ناقد حصيف يمتلك زمام القراءة من خلال الكتابة مزوداً بما هو فطري و مكتسب من الخبرات و الاستعدادات و التي تكبر في كل مرة و مع كل قراءة مع الحرص الدائم غلي إنماء هذا التهيؤ لأن تضاوله و غيابه << يبطل (...) فاعلية الشعر و التخيل >>⁸⁶⁰ كما تفقد المحاكاة هزتها و تعجيبها باعتبار أنها تقوم على مدى استعداد المتلقي لتذوقها و فهمها .

⁸⁵⁹ انظر فاطمة عبد الله الوهبي ، نظرية المعنى عند حازم : 238 - 139 .
⁸⁶⁰ شكري المبخوت ، جمالية الألفه: 09 .

رابعاً: التخيل و التعجيب :

مثلاً تربط المحاكاة بالمعاني المألوفة ، فإن التخيل كذلك يستمد فاعليته منها ف >> للشاعر أن يبني كلامه على تخيل على شيء شيء من الموجودات يبسط النفوس له أو يقبضها عنه <<⁸⁶¹ فينجم عن هذا الوضع لذة فنية و إحساس بقيمة الجمال يوازي درجة إدراك المألوف من المعاني؛ ذلك أن >> الالتذاد بالتخيل و المحاكاة إنما يكمل بأن يكون قد سبق للنفس إحساس بالشيء المخيل و تقدم له عهد به <<⁸⁶² .

و المدارك التي وسمها " القرطاجني " بالأصلية هي التي يحسن التخيل فيها >> لأن مناسبة المعني للحال التي فيها القول و شدة التناسب بها [أي المعاني الأصلية] يعاون التخيل علي ما يراد من تأثير النفس لمقتضاه <<⁸⁶³ .

ومن جهة أخرى فان هذا التخيل هو الذي يجسّد لهذه المقاصد تأثيرها في المتلقي؛ لأن الصورة التخيلية في القول الشعري تقابلها صورة أخرى ينتجها خيال المتلقي، إذ تستجلى >> الخواطر هيأت تلك الأمور و تنسق صورها الخيالية <<⁸⁶⁴ . فالأمر الذي يحدث التعجيب في المتلقي من جهتين :

أ - من جهة ابداع محاكاة الشيء و تخيله .

ب - و من جهة كون الشيء المحاكي من الأشياء/ **المستغربة** و الأمور

المستطرفة .⁸⁶⁵

و يبلغ الإحساس بهذا التعجيب أوجّه عند حدوثه في الجهتين و >> تلك الغاية القصوى من التعجيب ، و للنفوس إلى **ما بلغ** هذه الغاية تحريك شديد <<⁸⁶⁶

أما التخيل كفاعلية فنية فهو >> أن يتمثل للسامع من لفظ ا لشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه و نظامه ، و تقوم في خياله صورة ينفعل لتخيّلها و

⁸⁶¹ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء :23.

⁸⁶² المصدر نفسه :118.

⁸⁶³ المصدر نفسه :90.

⁸⁶⁴ المصدر نفسه :27.

⁸⁶⁵ المصدر نفسه :127.

⁸⁶⁶ حازم القرطاجني، المصدر السابق :127.

تصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رويّة إلي جهة من الانبساط أو الانقباض <<867.

فالناقد هنا يتناول الخيال كأنفعال أي كاستجابة لفعل ، و>> الانفعال هو الكيف الشعوري الذي يطرأ علي المتلقي بوصفه مستقبلا لفعل الإبداع التخيلي <<868؛ الفعل خاص بالمبدع و الاستجابة متعلقة بالمتلقي ،فالمبدع يحرك متلقيه >> بتخيل المعاني بالشعور بها و اجتلابها من جميع جهاتها <<869 مقدا بذلك نموذا يستجيب له المتلقون استجابة تنبني عن هزة جمالية و لذلك >> فكلما اقترنت الغرابة و التعجيب بالتخييل كان أبداع <<870

فالنص المبدع يلغي الواقع المادي بواسطة الخيال ، و مهما بلغت الصورة المخيِّلة درجة كبيرة في التناقض و القبح و تلك لمسات الجمال في القبح، " فابن سينا " يقول بأن >> التذاذ النفوس بالتخييل أو الصور القبيحة المستبشعة عندما تكون صورها المنقوشة و المخطوطة و المنحوتة لذيدة إذا بلغت الغاية القصوى من الشبه بما هي أمثلة له فيكون موقعها من النفوس مستلذا <<871 و الصورة المخيِّلة بحذق تؤثر في المتلقي إذ >> يحسن موقع التخييل في النفس أن يترامي بالكلام إلى أنحاء من التعجيب فيقوى بذلك تأثير النفس بمقتضى الكلام <<872

و لأن المعاني المألوفة لا تبدو كذلك في الخطاب الشعري ، حتى لا يكاد المتلقي يميزها لأول وهلة من شدة غرابة صيغتها، بفضل المحاكاة و التخييل و غيرهما من الأساليب ، فان أثرها يتضاعف تبعا لهذه الغرابة ، ذلك أن >> التعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلل التهدي إليها ، فورودها **مستندر**

867 المصدر نفسه :89.

868 عاطف جودة نصر، الخيال مفهوما و وظائفه:150.

869 حازم القرطاجني، المصدر السابق :200.

870 المصدر نفسه . 91.

871 المصدر نفسه : 116.

872 المصدر نفسه : 90.

مستطرف << 873 لأن النفس لم تألفه ولذلك فهو >> يفجؤها بما لم يكن به لها
استئناس قط << 874

و بالمقابل فان كان المعني مألوفاً مضموناً و ظاهراً لم يحدث ذلك >> لأنها أنست
بالمعتاد فر بما قل تأثرها له << 875

و مصطلح الاستغراب في حد ذاته في اللغة هو الإتيان بالأمر الغريب و هو ما >>
تدعن له النفس فتنبسط لأمر أو تنقبض عن أمور (...) و بالجملة تتفعل له انفعالا
نفسانيا غير فكري << 876

بمعني أن النفس تصدق الخيال الفني بينما الفكر يستشعر ذلك دنماً إيمان به >>
فكثيراً ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقا << 877

و أما السبل التي يقع بها **التحسين** فيقبلها المتلقي فهي كثيرة و منها :
- أن يستعين بقوته المخيلة التي بها >> يتصور في الذهن شيء من طريق الفكر و
خطرات البال << 878 .

- أو ما يقع أثناء عملية القراءة إذ يؤدي التأثير بصورة موجودة في النص إلى تذكر
أخرى و استحضارها و هو شبيه باقتران شئيين أي >> بأن نشاهد شيئاً فنذكر به شيئاً
<< 879 آخر أو ب >> أن تحاكي لها [النفس] معنى بقول تخيله له << 880 .

و هذه الطرق على اختلاف مناهجها تخضع للقوة المخيلة **القارئ**؛ فالمعنى المقدم
في النص مهما بلغ درجة كبيرة من تكامل عناصر من خلال النظم و المحاكاة و
التخييل فإنه يبقى قاصراً إذا لم تفعله القوة المخيلة للمتلقي الذي يحور المؤلف ليحمله
غريباً فرؤية " القرطاجي " للتلقي >> لا تتحرك على قطب المعتاد و المؤلف، بل

873 حازم القرطاجي، المصدر السابق : 90 .

874 المصدر نفسه : 96 .

875 المصدر نفسه : 90 .

876 المصدر نفسه : 85 .

877 المصدر نفسه : 85 .

878 المصدر نفسه : 89 .

879 المصدر نفسه : 89 .

880 المصدر نفسه : 89 - 90 .

تنحو إلى كسر المألوف و ما يتوقعه المتلقي، و تفاجئ أفاقه بالمستطرف و النادر الوقوع بالمستغرب و حينما يزحزح عما توقعه نحدث له لذة الانفعال و الهزة الجمالية <<881 .

هذه الهزة التي تولد الاستغراب ، و هو من تبعات التأثير الايجابي بمقتضى الخطاب >> و مصطلح الغرابة أو الاستغراب عند حازم مرتبط بمصطلح التعجب <<882 فالمعنى غير المألوف أي الغريب يجعل المتلقي يتعجب له كمتأثر يتلقى خطابا يتضمن مدلولات غريبة ، غرابة فنية طبعاً بتخييلها الذي يتفاعل مع تخيل القارئ فيحسّ هذا الأخير بمتعة التلقي، و هي >> لذة مرتبطة بما يحركها من مؤثرات نفسية و تخييلية <<883 و كل هذا خاضع لاستعداد المتلقي الذي ذكرناه في خضم حديثنا الخاص بالمحاكاة باعتبار أن التخيل هو روح المحاكاة و شريانها النابض .

هذا الاستعداد الذي ينطلق المبدع منه، إذ >> يرسل القول الشعري و هو يعرف أن ثمة مرسل إليه يستقبله وفق اعتقاده بسلطة القول الشعري <<884 و " القرطاجني" رأى بأن >> تحرك النفوس للأقوال المخيلة إنما يكون بحسب الاستعداد <<885 باعتباره حركة مؤسسه و اهتمام الناقد بهذا الجانب اهتمام بمضمون الشعر من خلال القراءة الإبداعية.

881 فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني: 86 .

882 المرجع نفسه: 298 .

883 المرجع نفسه: 234 .

884 المرجع السابق : 236 .

885 طراد الكبيسي ، في الشعرية العربية ، قراءة جديدة في نظرية قديم ، و منشورات أنحاء الكتاب العرب دمشق سوريا

. http W.W.W O.W.U. dam org/ look/ 04 201 – T - / Book 04 – Sdo 05 htm . تاريخ السحب : 07 / 2005/ 03 .

خامسا: المتلقي و القوى الإبداعية:

تجمع دراسات التلقي الحديثة علي اعتبار عملية القراءة ، إبداعا ثانيا للخطاب الشعري و من خلال هذه العملية يتقارب المبدع و المتلقي في الكفاءات و المهارات ، وإذا عدنا " للقرطاجني " نجده يؤكد علي أن عملية القراءة ليست بالأمر الهين و لذلك فهو يرقى بالسامع البسيط إلي مراتب عليا معرجا به لمصاف المبدعين ، **ليغدو صنوا** للشاعر بحيث يتقاسمان >> أرضيه واحدة و يشتركان في السياق و المهارات و في الثقافة أيضا التي تجعل القائل تحرس ألا يفقد تواصله معه <<⁸⁸⁶.

يكتسب المتلقي خبرة في القراءة ف >> يكون مقدار فضل التأليف على فضل الطبع و المعرفة بالكلام <<⁸⁸⁷.

و هو الذي جعل النقد صفة خاصة بالمتلقي الذي يزاحم مكانة المبدع بشروط⁸⁸⁸.

" و بناء على فكرة التوحد هذه سنعد حديثنا عن المتلقي عند القرطاجني "، و تحديدا على القوى الفاعلة في عملية النظم، فالمتأمل بدقة و تمحيص للقوى و طريقة ترتيبها واستيقاها يدرك إدراكا لا يعرفه شك أنها تنطبق على المبدع كما تنطبق على المتلقي، و لا نقصد بالمتلقي - هاهنا - صاحب البصيرة القاصرة العاجزة عن النفاذ إلى جوهر النص بل نقصد بذلك قارئاً فعليا ينسج النص من جديد و هو ما يصطلح عليه بالشاعر بالقوة لا بالفعل* .

و الحديث عن قوة التشبه بالنسبة لهذا النوع من المتلقين أمر يديهي، فذلك جزء من تركيبته، و هو الذي يمتلك كل سمات الشاعر، أما تعامله مع النص فمبني عن الأسئلة التي يطرحها و الإجابات التي يفترضها، هل توازي نظيرتها عند المبدع؟ أم تبقى >>

886 فاطمة عبد الله الوهبيي نظرية المعني عند حازم القرطاجني : 241.

887 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 144.

888 المصدر نفسه: 144.

* أنظر عبد الله العشي.

مجرد اسقاطات مباشرة لأسئلة متعددة في ذات المتلقي تبحث عن إجابات بالاستناد إلى مقارنة التفاعل بين بنية النص و بنية الفهم << 889 .

و هذا ما يولد حوارا جدليا بين المقول له و القول الشعري، لأن هذه الأسئلة باعتبارها << نقاطا و مواضع فراغ أو إبهام يقوم القارئ بملئها (...) تمثل جوهر الخلاف بين بنية النص و ما يضيفه القارئ إليها من تجسيديات << 890 .

و لأن المبدع يكتب نتاج تراكمات ثقافية و قراءات سابقة بالإضافة إلى كل ما يعيشه من تناقضات و عذابات، فإن المكتشف و المنتج الجديد للنص لا يفعل ذلك أيضا من فراغ، بل يقرأ باستحضار ما يعادل كل ما يسبق الكتابة عند المبدع، فأفق توقعه يختزن كمًّا هائلا من المعارف و القراءات التي تجد لها منفذا في النص الجديد فيشترك الإحساس بالمسؤولية ، مسؤولية القراءة الإبداعية و كل هذا بالاستناد على النص الافتراضي الذي تتم القراءة وفقه، كما كانت الكتابة الأولى مبنية على نص افتراضي أيضا، و هو ما يقرب المسافة أكثر بين النصين و بالتالي بين الشاعر و المتلقي.

على المتلقي أن يلم - بالإضافة إلى ما سبق - كل تفاصيل الكتابة الشعرية ، لكي يملك << القوة علي تصور كلييات الشعر و المقاصد الواقعة فيها ، و المعاني الواقعة في تلك المقاصد << 891 .

و مقاصد الشعر كثيرة ترتب حسب أولويات الكتابة الجديدة أي القراءة الجمالية ، فإذا ركزنا علي القراءة النقدية الجمالية بدأنا أول الأمر بمباني القصيدة من خلال شكلها العام الذي تحدده الفصول في كيفية تأسيسها من حيث الطول و القصر ومن خلال المضمون و وشائجه بسبك العلاقات المعنوية من خلال اتساق النظام ، فاذا ما وعى المتلقي مكونات هذه الفصول ، انتبه إلى مدى انسجام الأغراض مع المعني العام للنص

889 بشرى صالح، نظرية التلقي أصول و تطبيقات، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء ، المغرب، الطبعة الأولى 2001 : 49 .

890 عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة : 229 .

891 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 200 .

، وما تحمله من أفكار >> فالقارئ ينشئ فرضية حول ما سيحدث (...) في بقية الفصول <<892 .

ليتسنى له ملاحظة القوافي و تناسقها مع المبني العام للقصيدة >> فقد يوجد في عبارة... منها كلم يصلح أن تقع قوافي تكون كل عبارة منها فيها كلمة في كل ما عداها من العبارات كلمة تماثلها في المقطع <<893 .

و لأن الشاعر قد يعتمد لتوصيل عمله إلى أساليب عدة ك >> أعمال الحيلة فيما يستحسن من الحشو ، أو المعاني التي يكون في اقترانها بالمعني المقصود <<894 و يجب علي المتلقي أن يفهم هذه الكليات و المفاهيم و يبحث >> عما يهئ الكلام بتلك الهيئة من ضروب الترتيبات و الوضع <<895 .

أما القوة الأخرى فهي التي تمكن المتلقي من >> تصور صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن و كيف يكون إنشاءها أفضل من جهة وضع بعض المعاني و الأبيات و الفصول من بعض <<896 ، فالمتلقي يطمح دوما لأن تكون القصيدة انضج و أكمل معنى و مبني ، و بهذا تغدو >> القراءة و كأنها امتحان مستمر بفرضه النص لتقديم قدرات القارئ علي التوقع <<897 .

هذا القارئ الذي لا ينتظر من المبدع إلا أن يقدم له نصا من شأنه أن يحركه و يؤثر به ، نص تكون فصوله منسجمة مع أغراضها >> بالنظر إلي صدر القصيدة و

892 حسن مصطفى سحلول ، نظريات القراءة و التأويل الأدبي و قضاياها منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا 2000.

http W.W.W O.W. U. dam lorg/01/ study01/ 136 m-s/ look 01/sdo 11-htm

تاريخ السحب: 2005/ 03 /10

893 حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 20.

894 المصدر نفسه: 209.

895 المصدر نفسه: 209.

896 المصدر نفسه : 200.

897 حسن مصطفى سحلول ، المصدر السابق.

معطفها من نسيب إلي مدح و بالنظر إلي ما يجعل خاتمتها إن كانت محتاجة إلي شيء معين في ذلك << 898 .

و هذا يخص مرحلة ما قبل استقبال النص ، أما و قد أصبحت القصيدة في تناول المتلقي الذي يبني >> نصه نتيجة للعلاقة الحوارية بين النص و المتلقي [وبناء علي ذلك فهو] يعبر عن الاستجابات الفنية التي يتطلبها فعل التلقي في النص << 899 .

أما فكرة التصور في حد ذاتها فمحلها ذهن المتلقي الذي حزن نصوصا بقدر تزايدها ، بقدر ما يكون الطموح إلي إيجاد نص بديل يتجاوزها جميعا في ربط الفصول ببعضها و تناسبها مع مطالعها ، نص يتجاوز أخطاء النصوص السابقة و شوائبها ، فالنص بعيدا عن عملية القراءة لا قيمة له إذ يبقى مجرد >> مادة جاهزة لا يتم إدراك قيمتها إلا بما يقدمه المتلقي << 900 ، الذي لا يجسد فعل التصور إلا بالاستعانة بأفق توقعه الذي يساهم في >> تحديد استقبال القارئ للنص أو حدوث المعنى << 901 .

وبعد أن يتسنى للمتلقي رسم صورة افتراضية للقصيدة بالاعتماد علي الخيال الذي يدخل في حيثيات القراءة الفعالة ، يتمكن بواسطة هذه >> القوى على (...) تخيل المعاني بالشعور بها و اجتلابها من جميع جهاتها << 902 .

فالنص يضع أمام قارئه مجالا خصبا من الأفكار المشبعة بالمعاني المكثفة، وما عليه إلا أن يشغل قوة التخيل لديه لتقصي مكنوناته ف النظم المحكم و المكثف يعطي احياءات تشغل الأبعاد المختلفة و المدلولات المشبعة للفظه ، و اللفظة كمعطي حسي تثير الخيال و تجعله يتصور أبعادها الواضحة و الخفية << 903 هذه الأبعاد التي تأخذ موقعا في حيز

898 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 200.

899 حميد الحمداني القراءة و تولية الدلالة: 51.

900 حسن سحلول، المرجع السابق

901 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 200.

902 المصدر نفسه: 200.

903 مقال من مجلة أفق **النفاتة** و التراث نظرية النظم عند الجرجاني، السنة 8، العدد 31، رجب: 1421 هـ، أكتوبر

2000: 42.

الخطاب ، من أجل ذلك يعتبر التخيل عماد الكتابة الإبداعية لأنه يثير نظيره عند المتلقي فيدفعه نحو التقبل الايجابي.

و هنا يبدأ الاحتكاك المثمر بين المتلقي و الخطاب لانتاج الدلالات ، في عملية موازنة جمالية بين النص الافتراضي المخيل، و النص الموجود ، و الذي يسعي الخيال فيه إلى خلق مجموعة >> من الأمارات الدالة علي القيمة التي يمنحها ...[المتلقي] للنص << 904 .

أما وقد أذكيت حاسة التخيل ، و تم بواسطتها إيجاد حالة واحدة من بين عدة حالات ممكنة يبدأ المتلقي ب >> ملاحظة الوجوه التي يقع بها التناسب بين المعاني و إيقاع تلك النسب فيهما << 905 ؛ هذه الخطوة التي ترتبط مباشرة بالخيال باعتبار أن >> الصلة بين المخيلة والانفعالات صلة وثيقة << 906 ، و يقصد بالانفعالات هنا التأثير و الإعجاب و بالتالي الشعور باللذة أو الألم ، هذه الانفعالات التي تؤدي مباشرة إلى البحث عن الدلالات و كخطوة أولى لقوة الملاحظة التي تعتبر في حد ذاتها قوة فعالة و مساهمة في تعزيز تفكير المتلقي و تسديد اهتدائه .

و قد أكد " حازم " على فاعلية هذه القوة بالنسبة للمتلقي حين رأى بأن >> لقوة النفوس تفاضل في ملاحظة الجهة / النبيهة في نسبية معني الي معني و التنبيه إليها << 907 .

فالشاعر في نظمه يناسب بين المعاني و الألفاظ و يفعل كذلك بين المباني و الأوزان و قوافيها ، وما علي المتلقي إلا التفتن لهذه المكونات التي تتمثل في >> التشبيهات و التتميمات و المبالغات و التعليقات و غير ذلك من ضروب الوجوه التي تكسب الكلام حسنا و إبداعا << 908 .

904 حسن سحلول ، المرجع السابق:

905 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 200.

906 محمد المبارك ، استقبال النص عند العرب : 243.

907 حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 44 .

908 المصدر نفسه : 44

وكلما كانت هذه الأمور نادرة الذكر أو الحديث >> كانت النفوس بذلك أشدّ إعجابا و أكثر له تحركا <<⁹⁰⁹؛ فتحدث الهزة التأثيرية ، دون أن نغفل بأن البحث في حد ذاته لذة خاصة تزداد مع ازدياد تمتع النص .

و يزداد ارتباط المتلقي بالنص بامتلاكه قوة أخرى هي >> القوة إلى التهدي إلى العبارات الحسنة الوضع و الدلالة علي تلك المعاني <<⁹¹⁰ .
إن على المتلقي الذكي أن يمتلك قوة خاصة تمكنه من الاهتداء إلى الجمل اللائقة التوظيف ، و الألفاظ الجيدة السبك و تألفها مع المعاني التي شكلت جوهرها ، بالإضافة إلى تصيد ما تألق من الأفكار الأنيقة ، ليستطيع في خطوة تالية تفكيك هذه العبارات بغية رصد المعاني الخفية من خلال استيعاب المعاني الجلية ، و اكتشاف الغاية التي من أجلها تم النظم بهذا الشكل ، و هل كان وقع الخطاب سيختلف لو لم يكن النظم على هذا النسق ؟ وإذا اعتبرنا أن هذا النظم أو بالأحرى هذه الكتابة حالة ممكنة اهتدي إليها خيال المبدع ، فهل ثمة إمكانيات أخرى بوسع المتلقي أن يعيد تشكيل الخطاب من وفقها ؟

و إذا ما اهتدى المتلقي إلي هذه الأمور و غيرها من التحسينات التي عمد إليها المبدع و التي تحدث الهزة في المتلقي فإن قراءته تكون فاعلة و ايجابية بقدر ايجابية الخطاب ذاته . و مثلما يدقق الشاعر في نظم العبارات و تأليفها بحيث تروق للمقول له ، فلا **ينأى** في أسلوبه عن الرصانة و الأصالة . على المتلقي أن يتقطن إلى مواضع الاتساق و يهتدي لإسرار النظم.

و بعد أن يهتدي المتلقي لكيفية تشكل الخطاب الأدبي يستعين >> بقوة الاحتيال في تسيير تلك العبارات متزنة و بناء مبادئها علي نهاياتها، و نهاياتها على مبادئها <<⁹¹¹ .

⁹⁰⁹ المصدر نفسه :46.

⁹¹⁰ المصدر نفسه :200.

⁹¹¹ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 200.

واحتيال المتلقي يختلف تماما عن احتيال المبدع لأن هذا الأخير يتحايل في وصفه على المتلقين ، بإيهامهم بإيجابية قضية ما على حساب أخرى ، أو بإخفاء أمر بغية إظهار آخر ، أو صرف ذهن المتلقي عن فكرة ما لإثبات فاعلية فكرة أخرى. أما احتيال المتلقي فيمكن في مراوغة المعاني و الدلالات من خلال آلية التأويل لاستقراء باطن النص فهو >> اللعب المعقد (الذي يتم به) استخراج كل المعاني و الدلالات المحتملة <<⁹¹². **بصح** التأويل إذن خطوة بديهية عندما يتبادل المبدع و المتلقي الأدوار >> حين يود متلقي النص المعقد إن يستحيل هو نفسه إلي بات فيصطنع طائفة من الإجراءات التأويلية ابتغاء تبليغ متلقيه ما فهم هو من النص المبعوث <<⁹¹³.

عندما يبلغ المتلقي هذه المرتبة العالية من الاستيعاب يحقق ذاته كمنتج ثان للجمال ؛ فيحس باللذة الفنية لأن نية القراءة الإبداعية لم تبقي مكتومة في ضميرنا لنفس و لكنها تبدو للوجود نتاجا <<⁹¹⁴ جديدا بذاته.

و نتيجة للانتقال بالقراءة من مرحلتها الكامنة إلي مرحلتها الفعلية ، يغدو الخطاب مجالا حيويا تتفاعل فيه العلاقات و الأنساق اللغوية ، و في خضم هذا التحوار الجدلي مع النص علي الملقي أن يحوز علي قوة تيسر له >> الالتفات من حيز إلي آخر و الخروج منه إليه و التوصل به إليه <<⁹¹⁵.

وإذا ركزنا علي فعل القراءة في حد ذاته فإن الانتقال يكون من البنية السطحية للخطاب إلي أعرق بنية فيه ، مع الاستيعاب الكامل لمكونات البنية الفوقية و الشفرات التي تربطها بالبنية العميقة .

أي الشفرات التي تجعل الانتقال إلي البنية الجوهرية في النص أمرا تلقائيا ، و إذا ما تمت هذه النقلة الدلالية ، يتم الربط بينها و بين ظاهر الخطاب أي اللغة الخارجية

⁹¹² عبد المالك مرتاض التأويلية بين المقدس و المندس، مجلة عالم الفكر، مجلد 29، ع 1 سبتمبر : 265 .

⁹¹³ المرجع نفسه: 266 .

⁹¹⁴ عبد المالك مرتاض ، المرجع السابق: 260 .

⁹¹⁵ حازم القرطاجني ، المصدر السابق: 200.

للنص و ذلك طبعا بعد تفكيكها إلى ابسط جزئياتها ، في عملية بناء و هدم
افتراضية **للبنى** وهنا يجوز للمتلقي أن يتناول >> قراءة النص انطلاقا من سياقه و نسقه
معا علي النحو الذي يراه هو لا علي النحو الذي كان يراه المؤلف<<⁹¹⁶.

في هذه الحالة بالذات يحاول المتلقي استحضار أفق توقعه الذي من خلاله يسد
ثغرات الخطاب بالاعتماد علي اللغة التي يخرج منها أي لغة النص بعد أن أدرك **كنهها**
، ليصل في الأخير إلى اللغة الأصلية التي جسدها الخطاب .
و بعد الفراغ من لغة الانتقال من حيز لآخر يكتمل تشكل الخطاب بين يدي المتلقي فينتقل
إلى مرحلة أخرى و هي >> تحسين بعض الفصول ببعض و الأبيات بعضها ببعض و
إصاق بعض الكلام ببعض علي الوجوه التي لا تجد النفوس عنها نبوة <<⁹¹⁷ و
تحسينات المتلقي تختلف عن نظيرتها عند المبدع ، في الدرجة و المستوى ،
فالقراءة في حد ذاتها عبارة عن فعل تحسين فنّي ذكي و مستمر في آن واحد ، تحسين
يقّكك و يربط في الوقت عينه ، و هو ما يولد نشوة خاصة عند المتلقي . و تجدر
الإشارة – هنا- أن لكل متلقي تحسيناته الخاصة به ، و التي تؤسسها قراءاته السابقة ، و
خبرته بالإضافة لأفق انتظاره ، و ما يتوقعه من الخطاب . الذي علي المتلقي أن يتحمّل
مسؤوليته بدلا من الشاعر ، فلا يجوز له >> أن يطلب من القارئ أن يفهم الصورة
الذاتية التي هي في ذات الشاعر ، بل عليه أن يقدم مفاتيحها في نصه <<⁹¹⁸ .

و بناء علي هذه القرائن يواصل المبدع الثاني تحسينه المنظم للنص لإتمام الصورة
الكلية للعمل بسلسلة من التعديلات الافتراضية كالحذف و الزيادة ، التقديم و التأخير بغية
اكتشاف ما ضمّر من الدلالات و هنا يتوازي عمل المبدع و المتلقي لامتلاكهما
القوة علي التحسين.

⁹¹⁶ عبد المالك مرناص، المرجع السابق : 267.

⁹¹⁷ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 200.

⁹¹⁸ جودت الركاني / الحدائث النبوية في معرفة النص الأدبي، مجلة آفاق الثقافة و التراث، السنة الثالثة، العدد 19 ، ربيع
الثاني، 1416 ، سبتمبر 1995 : 18 .

و ما من قوة تنظم و تهدي كل هذه القوى إلا القوة المائزة حسن الكلام من قبيلة بالنظر إلى... (الكلام نفسه) وبالنسبة إلي الموضوع الموقع فيه الكلام <<919؛ >> فالمتلقي الحصيف هو الذي يري مالا تراه العين <<920 البسيطة ، يميّز النظم الجيد للعبارات ، و العبارات الحسنة التوظيف .

لقد كان " القرطاجني " واعيا جدا لما أدرج هذه القوة ضمن بقية القوى خاصة و أن الوضع الأدبي في عصره آل إلى حالة مزرية، إذا أصبح المتشاعرون يرصّون ما عنّ على خواطرهم الفاسدة من ألفاظ و معان ، و قواف دونما اهتمام بما يؤلف بينها؛ ذلك أن >> الطباع قد تداخلها من الاختلال و الفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللحن ، فهي تستجيد الغث و تستغث الجيد من الكلام ما لم تقمع بردها إلى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية، فيعلم بذلك ما يحسن وما لا يحسن <<921 فإذا كان الوضع بهذا السوء كله فإن لنا أن نتصور تشكل القصائد المقدمة إن جازت عليها هذه التسمية، بناء و لغة و المعاني التي تضمنها، من أجل ذلك كان من الضروري وضع حائل بين المتلقي و هذا الجو ، بامتلاكه هذه القوة التي تفصل بين الجد و العبث، فنجعل هذا المتلقي يعي >> الفرق بين المواد المستحسنة في الشعر و **المستقبحة** <<922.

و قد جعلت هذه القوة في نهاية كل القوى، إيمانا من الناقد بأنها جزء في كل منها، كما أنها تشملهن جميعا.

فالمتلقي الذي بإمكانه اكتشاف القرائن الجامعة بين المعاني ، ثم تصور الصورة الكلية للقصائد، بعد استيعاب شامل لكليات القول الشعري من مبان وقواف و غيرها . و بخياله المتقد يعقد المناسبة بين مختلف المعاني على اختلاف أنواعها، فيلحظ ببصيرة عالية وجوه المناسبة بين هذه المعاني و القرائن و مدى **ترابطها ببعض**. فيهتدي للتوظيفات الجيدة للأنساق و الدلالات ، مؤولا معاني الخطاب منتقلا من مستوى إلى آخر، محلا و محسنا و مشكلا للمعاني المؤتلفة مع الألفاظ.

919 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 201.

920 **جودت الركابي، المرجع السابق: 18 .**

921 حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 26

922 المصدر نفسه : 28 .

متلق بهذه الجدية، و بهذه القدرات الجمّة في التعامل مع النصوص الإبداعية و بهذا الثقل يمتلك لا محالة قوة يفرق بوساطتها بين مختلف الأبنية و الأنساق و غيرها، فهي بمثابة الوازع الجمالي الذي يهدي حاسته الجمالية و يروّض ذوقه الفنّي ليهيأ لتقبل النصوص و نقدها.

إن بإمكان المتلقي المزود بهذه القوى العشر أن يحلل الشفرات اللغوية للخطاب الأدبي، و يعقد العلاقات بين مستويات النص بعد الاستيعاب الكامل لمجريات القول الشعري مفهوماً، و إجراءً بالإضافة إلى استغلال كل ما من شأنه أن يساهم في فهم النص من أمور فطرية كالطبع و الموهبة زيادة على هذه القوى العشر التي تعتبر في مجملها جزء من الطبع و مروضة بالمران و الدربة، و كثرة القراءات و المطالعات.

هذه القوى التي تجعل فعل القراءة مثمرا خاصة إذا تضاعف تمتّع النص ؛ فما يقدمه المتلقي من بدائل في القراءة مرهون بجودة النص و مدى مناوشته لأفق الآخر. و إذا ما تضافرت هذه القوى مجتمعة جعلت من القارئ مبدعا آخر بعد الشاعر. مبدعا من شأنه أن يضيف للفعل الإبداعي عن طريق إخراجة من جديد وفق ما يتطلبه الخطاب من جهة و اللغة الناقدة من جهة أخرى .

هذه المشاركة هي إثبات لمصداقية القارئ و النص معا، ليبقى مفتوحا في انتظار محاولات أخرى تربط بين الأفقين ليكونا معا نصا يفترض أن تتشابك بنياته مع أفكار النص الأول .

سابعا: القراءة بين التمويه و التأويل :

و غير بعيد عن المحاكاة و التخيل، ينتقل " القرطاجي " لأساليب أخرى يستعين بها المبدع لإقناع المتلقي أكثر و التأثير به، و نقصد بذلك أسلوب التمويه أو الحيل الشعرية، و الذي يحيل معناها اللغوي على معناها الإصلاحي؛ فالتمويه مشتق من << ما الشيء بالشيء و موها خلفه عن كراهة، و موه عليه الخبر إذا أخبره بخلاف ما سأل عنه >>⁹²³.

و ما يعيننا في هذا التعريف هو القسم الأول، لأن الثاني منه يتعلق **بمحسن** بديعي معروف في العرف البلاغي و هو أسلوب حكيم.

و أما النوع الأول فهو الذي سماه الناقد بالاحتيال الشعري الذي يعتبر << لب عملية التخيل هو مرتبط بالقول الشعري حال كون القول كاذبا و هو من أخرج مواقف الشعرية التي تحتاج إلى براعة و إبداع في القول و التمويه >>⁹²⁴ هذه البراعة التي << توجد في كثير من الناس بالطبع و الحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات، التي يحتاج فيها إلى تقوية **الظنون** في شيء ما على أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك و التدريب في **احتذائها** >>⁹²⁵ فالعبارة الإبداعية إذا كانت جيدة من حيث نظمها و محاكاتها و يخيلها فلا **ضير** في << استحداث طرق أخرى يغير بها المؤلف بإعادة صياغته و إظهار الأمور في غير محلها العادي، إذ يعتمد من وراء هذا تغيير صورة الواقع المنقول يعيد الشاعر تشكيل المكرر من الكلام و المحاكيات بشكل جديد >>⁹²⁶.

و يكون التمويه في << الأقاويل الشعرية ... [التي] تختلف مذاهبها و أنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل >>⁹²⁷ و يقصد " القرطاجي " بالجهات الثلاث ما يلي:
928 الأولى << ترجع للقول نفسه >>
929 و الثانية نظم << ما يرجع إلى القائل >>
930 و الثالثة فهي << ما يرجع إلى المقول فيه >>

فأما الجهة التي يقع فيها التمويه في جهة المقول فيه فهي براعة الصياغة للمقول فيه و << محاكاته و تخيله لما يرجع إليه أو بما هو مثال بما يرجع ... [لـ] ما هو، فلكي يبتعد الشاعر عن الصيغ المتداولة و الأقوال المكرورة التي استنفذتها الأغراض التي **نات** فيها الأنواق أما

⁹²³ لسان العرب ، مادة ماه ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة 2 ، 1414 هـ - 1994 م : 545 .:

⁹²⁴ حازم القرطاجي منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 227.

⁹²⁵ المصدر نفسه: 63 - 64 .

⁹²⁶ فاطمة عبد الله الوهبي ، نظرية المعنى عند حازم القرطاجي : 238 .

⁹²⁷ حازم القرطاجي ، المصدر السابق : 346 .

⁹²⁸ المصدر نفسه: 346 .

⁹²⁹ المصدر نفسه: 346.

⁹³⁰ المصدر نفسه: 346 .

الجهة الخاصة بالقول أو ما سماه ناقداً بـ << الاستدرجات [ف] تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يتقبل قوله، أو باستمالة المخاطب و استلطافه >>⁹³¹.

و كما هو جلي فإن هذا الاحتيال اللغوي أو التوظيفي، القصد منه تحريف مجال تركيز القارئ ليغفل عن مناح يشوبها القصور أو جعله ينهمك بحالة وجدانية معينة بغية إيهامه بقضية ما من حيث صدقها و قابليتها للتأثير.

و إذا أردنا حصر هذه التمويهات فإننا نجدها تتمحور حول مايلي : << إظهار القائل من المبالغة في تشكيه / أو تظلمه أو غير ذلك >>⁹³² ، و معنى هذا أن يتقمص القائل دورا يجعله ضحية في عين المتلقي بوصفه بطريقه مبالغ فيها نوعا ما << بأشراب الكآبة و الروعة و غير ذلك كلامه و ما يوهم أنه صادق، فيكون ذلك بمنزلة الحال فيمن ادعى أن عدوا وراءه و هو مع ذلك سليب ممتع اللون >>⁹³³.

إن هذه الفكرة رغم فاعليتها في الخطاب الشعري، إلا أنها ستكون أكثر فاعلية إذا طبقت على الشخصيات الروائية و خاصة الدراما المسرحية لأن ذلك يجسد الموقف فيعطيه إحياءات أكثر و انغماسا أكثر في لب الشخصية فيحدث مباشرة أن << النفوس تميل إلى تصديقه و تقنعها دعواه >>⁹³⁴.

أما في الشعر فإن فعل هذا يحرك أحاسيس المتلقي و يجعله ينفعل << بأن يحتال في انفعال السامع لمقتضى القول باستلطافه و تقريضه >>⁹³⁵ * ولأن المستمع للوهلة الأولى و الذي يتحول من متلق إلى ناقد هو من يحدد قيمة النص فلا بد من << إيقاع الحيل (كفكرة إضافية) التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان للعمدة >>⁹³⁶.

فالنفس الإنسانية لا يلج إلى أعماقها إلا أضعف إحساس و أرق نبرة، من أجل هذا الأمر كان تخير ما قرب من النفس و يسر مأخذه بغية بث شيء عظيم يتخفى وراء ذلك الإحساس الشفيف ، كما أن بإمكان الشاعر أن يشكل توليفة لفظية يزاوج فيها بين الشعر و الخطابة، فالشعر بنظمه و محاكاته و تخيله يؤثر في متلقيه كما أن الخطابة باستدلالاتها و قياساتها تقنع و لأن التعود على شكل واحد في صيغة واحدة يجعل المتلقي يشعر بالسامة ، رأى " القرطاجني " أن بإمكان الشاعر أن يمزج بين الشعر و الخطابة لتشكيل صياغة جديدة ف << صناعة الشعر لها أن تستعمل شيئا من الإقناع كما أن صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئا يسيرا من المتخيلات >>⁹³⁷.

931 المصدر نفسه: 64.

932 المصدر نفسه : 340 .

933 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 347 .

934 المصدر نفسه: 347 .

935 المصدر نفسه: 347 .

* يعتبر الانفعال حسب نظريات التلقي المعاصرة جزء من عملية القراءة و التقبل.

936 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 346 .

937 حازم القرطاجني، المصدر السابق : 347 .

و إذا كان الناقد قد ركز على الشيء اليسير فذلك مخافة أن يفسد كل من الخطابة و الشعر و << يمنع الجنس، فتبقى الخطبة خطبة و الشعر شعرا >>⁹³⁸ و إذا ما تم الأمر بحيث استفاد كل جنس من الآخر، و أمكن للشعر أن يستعير من الخطابة إقناعها و << و ما كان بهذه الصفة فهو أفضل موقعا في النفس >>⁹³⁹ و الاعتدال في هذا الأمر واجب << فلا **تتغلب** أسلوب و ليست الاستعارة بين الفنين يعيب فني ، و إذا كان الشعر قد استعار الاقتناع على أسلوب الإمتاع فتخرج الصناعة عن سبيلها فطرتها >>⁹⁴⁰ .

و ليست الاستعارة بين الفنين عيبا فنيا؛ و إذا كان الشعر قد استعار من الخطابة إقناعها في القرن السابع ، فقد استعار الفن الدرامي من المسرح في العصر الحديث الأمر الذي، يجعلنا نتساءل : هل أن لغة الشعر رغم تعدد مستوياتها و تمفصيلاتها و رغم تشعب الأساليب الشعرية يعوزها الابتكار و التجديد لهذه الدرجة بحيث يصبح الفضاء الشعري قاصرا في بعض أركانه مما يؤدي إلى ضعف قدرة المبدع على التأثير في المتلقي أم أن هذا الأخير هو الذي استنفذ طاقة القراءة في الشعر فأصبح محتاجا لبدائل أخرى من شأنها تحريكه . أم أن التمازج بين الأجناس الأدبية و التزاوج بين الفنون أمر وارد ما دام هذا الفعل لا يجعلنا نقر يفقد هوية هذه الأجناس ؟

و لا يعد " القرطاجي " مبدع هذه الفكرة أي تبادل الأفكار و التقنيات بين الفنون ، كأسلوب من أساليب التحديد في فن القول قصد استمالة القراء ، فقد كان مسبقا بالناقد صاحب الذوق الجمالي "ابن طباطبا العلوي " الذي رأى بان الشاعر لكي يبتكر في مقاصده عليه أن يأخذ من فن الترسل ما يجعل القصيدة تتجاوز سقوطها في أزمت تكرار المعاني ، فعلى الشاعر تتبع << منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم و تصرفهم في مكتباتها >>⁹⁴¹ و هذا ضرب من ضروب التمويه.

و على كل حال فإن << التمويه خاضع لسلسلة من العمليات و التحويلات التركيبية الهدف منها أن يخرج النص علي غير ما هو متوقع لإرضاء هذا القابع في و عي القائل >>⁹⁴² . و بناء علي ذلك يجيز " القرطاجي " توظيف الكذب في القول الشعري ليكون << مقتعا و موهما أنه حق بتمويهات و استدراجات ترجع إلي القول أو المقول له >>⁹⁴³ ، و رغم أن " حازما " قد اعتبر << أن أفضل الشعر ما حسنت محاكاته و هيئته، و قوية شهرته أو صدقه ، أو حتى كذبه و قامت غرابته >>⁹⁴⁴ و إن كان قد ركز علي الصدق ، فهو لم ينكر الكذب الفني بل أشار إلي ضرورة إخفائه ، هذا الإخفاء الذي لا يتحقق إلا بتمويه المتلقي ، و أكثر

⁹³⁸ فاطمة عبد الله الوهبي، المرجع السابق : 228 .

⁹³⁹ حازم القرطاجي ، المصدر السابق : 347 .

⁹⁴⁰ محمد اقبال عروى، من قضايا النقد القديم ، الحكمة و المثل، مجلة آفاق الثقافة و التراث، (الكويت) السنة 9، العدد

34، ربيع الآخر 1422 هـ ، يوليو 2004 : 66 .

⁹⁴¹ ابن طباطبا، عيار الشعر: 44 .

⁹⁴² فاطمة عبد الله الوهبي نظرية المعني عند حازم :238.

⁹⁴³ حازم القرطاجي، المصدر السابق: 346 .

⁹⁴⁴ المصدر نفسه :71.

من ذلك انه احتسب هذا الانجاز >> حدقا للشاعر [لـ] اقتذاره ترويج الكذب وترويجه علي النفس و اعجالها إلى التثأر له قبل ، بإعمالها الرويية في ما هو عليه ، فهذا يرجع إلى الشاعر وشدة تحيله في إيقاع الدلسة للنفس في الكلام >> 945 .

للتمويه الذكي الأثر الكبير في النص الشعري ، إذا أحسن الشاعر توظيفه بأسلوب يحرك الساكن و يثير الثابت بإثارة انتباه المخاطب >> و إحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحاكم ، و كلام خصمه غير مقبول >> 946 فيكتسب الكلام دلالات إضافية و ذلك باستغلال مكونات الخطاب ، لغة ، معني ، و مبني تقسيما و خيالا ... الخ . إلا أن الإكثار منها بلا وازع ، يفضي إلى مفعول سلبي خاصة بعد أن يكتشف المتلقون سوء استعمالها ؛ إذ يكتشفون مواقعها >> بطباعهم و يهتدون إليها بأفكارهم >> 947 .

و كنماذج أخرى عن الحيل التي تؤثر في المتلقي و تجعله يعتز >> بنسب الكلم المستندة إلى ضمير المتكلم كثيرا >> 948 . فالشاعر إذا وضف ضمير المتكلم " نحن " على سبيل المثال ، فالمتلقي لا محالة يحس لا إراديا اشتراكه في الفعل و بالتالي باندماجه في الإحساس شعوريا و هو ما يؤدي إلى وحدة التجربة الشعرية . دون أن ننسي ما للضمير " أنا " من رونق خاص يجعل المستمع يتقرب تنمية القول ، و ابرز مثال علي ذلك أننا لا نكاد نستحضر " أبو الطيب المتنبي " إلا و قلنا
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي و أسمعت كلماتي من به صم 949
فلا بد أن " القرطاجني " قد أحس هذا الوقع الذي نحدثه مثل هذه الألفاظ إذا وظفت .
أما إذا كان القول موجها للمخاطب فأفضل الاستعمالات >> ما تقع فيها الصيغ الأمرية و ما **بازائها** >> 950 ، مما يجعل الفعل الإبداعي حركة جماعية يتشاطرها المبدع مع متلقيه .
و الحكم ذاته يقال علي الصيغ الخطابية و الأوصاف التي تقرب المسافة بين الموصوف و المقول له >> و أكثرها يستعمل ذلك مع ضمائر الغيبة >> 951 كلما أحسن الشاعر انتقاء أساليبه تحقق الغرض المنشود من الكتابة الإبداعية و حدثت الهزة الجمالية و بقدر اختلال النظم و سوء استغلال الترمويهاات مجتها الذواق و لم تستسغها الخواطر مثل >> ما يتكرر من المسموعات الدالة على مأخذ مأخذ من ذلك >> 952 لأن التكرار يسوق للاستطراد علي نحو من ذلك، إلى تكرار يستثقل و يزول به طلب الكلام و هو الشيء الذي يفقد الاحتياال رونقه و بريقه .

ومثل ذلك أيضا المزج بين ضمائر المتكلم و المخاطب ثم الانتقال للغائب ؛ فالمتلقون >> يسأمون الاستمرار علي ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلي الغيبية

945 المصدر نفسه : 72 .

946 ا حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 64 .

947 المصدر نفسه : 64 .

948 المصدر نفسه : 347 .

949 ديوان المتنبي ، دار الجيل ، بيروت : 332 .

950 حازم القرطاجني المصدر السابق : 346 .

951 حازم القرطاجني ، المصدر نفسه : 347 .

952 المصدر نفسه : 347 .

السأم ناتج عن هذا الانتقال الفجائي بعد أن حدث توافق مبدئي بين المتلقي و ضمير المتكلم أو المخاطب فيثمر هذا الانسجام بينهما. و من الترميزات التي يسيء المبدع استعمالها فتؤثر في المتلقي سلبا أن >> يتلاعب المتكلم بضميره فتارة تجعله **محكم** على الاختبار عن نفسه و تارة يجعله كافا أوتاء فيجعل نفسه مخاطبا و تارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب ، فذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب و إنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض <<⁹⁵⁴ فبناء الكلم على هذا النسق غير مستحب؛ لأنه يجعل فكر المتلقي يتذبذب فلا يتم التواصل مع النص ، فاستخدام نبرة المتكلم **الذي يمنح للمتلقي الاحساس في انتمائه للسياق النصي** بينما المخاطب يجعله ينتقل إلى مقام مختلف يكون فيه السامع طرفا حياديا في عملية التواصل .

و تدل لفظة التلاعب التي وظفها " القرطاجني " على سوء الاستعانة بالتمويهات الذي يعود إلي نقص المران و الطبع . و مما لا يستفز القارئ أيضا >> أن يستمر في كلام طويل علي وصف حالة ساذجة <<⁹⁵⁵ لان ذلك يؤدي إلي الملل إلا الذي يفقد الجو الشعري تماسكه و جديته .

و تفاديا لهذا الموقف رأى " القرطاجني " بأن يجمع الشاعر بين صورتين يربط بينهما جامع خفي >> مثل اقتران وصف حالة المحب بوصف حالة المحبوب <<⁹⁵⁶

كما أن >> تركيب تركيب و صيغة صيغة و ضرب بعضه ببعض على الهيئة الملائمة في كل مذهب يذهب فيه و ينحني به أذ و أطيب من الجمود به علي حالة واحدة في كل نحو من أنحاء الكلام <<⁹⁵⁷، و كما هو معروف فالقصد من الترميز إيهام المتلقي و **شغله** عن الالتفات إلى ما قصر من الأغراض ، و لكي يتم ذلك نصح الناقد الشاعر بالاعتدال، و هي دعوة للمتلقي >> بأن لا يحذف من المقاييس إلا ما يكون في قوة الكلام دليل عليه من مقدمة أو نتيجة أو قصة مستثناة <<⁹⁵⁸

الحذف إذا يجوز في الحالة التي يدل فيها ما بقي من الحذف على المحذوف و أما فعل الحذف في حد ذاته ، فيكون تفاديا للتطويل كما يكون في >> المقدمة التي يظهر فيها الكذب و يقع في جملة من المقدمات القياس الصادقة إذ تطوى إحداها ... قصد إلا لتخفيف خاصة <<⁹⁵⁹

و كذلك فان توالي المتشابهات سواء كانت استنتاجات، أو تشابهات أو أوصافا يجعل سبك

⁹⁵³ المصدر نفسه : 348.

⁹⁵⁴المصدر نفسه 348.

⁹⁵⁵ حازم القرطاجني ، المصدر السابق : 348.

⁹⁵⁶المصدر نفسه :348.

⁹⁵⁷ المصدر نفسه : 348.

⁹⁵⁸ المصدر نفسه : 65.

⁹⁵⁹ المصدر نفسه : 65.

النظم رتبيا لا إبداع فيه .
بناء علي ما تم ذكره نجد أن المبدع هو الذي يتحكم في مقدار جودة نصّه يحسن انتقاء و دقة
توظيف تنويهاته . **مخضعا** إياها لمقياس لكل مقام مقال .

فحشو الاحتمالات في سياق واحد يجعلها متكلفة ، سمجة كما أن الإقلال منها يجعل النظم ذا
سبك هزيل ضامر، لأن >> الكلام المتقطع الأجزاء المنبتر التراكيب غير ملذوذ و لا
مستحلي و هو شبه الرشقات المنقطعة التي لا تروي غليلا ، و الكلام المتناهي في الطول
يشبه استقصاء الجوع المؤدي إلى الغصص <<⁹⁶⁰، إلا أننا لا يمكن أن تنكرها
لتفريقي التمويه و الاحتيال من قدرة عجيبة علي إثارة حواس المتلقي و تنبيه ذهنه ، فالشاعر
إذا حذف رام من ذلك احتفاء علة ما ، و إذا قدم عبارة فعل لاحتوائها علي معنى من شأنه أن
يحيل إلي ما تلاها من المعاني . إما إذا إخطار مادنا من مشاعر متلقيه من ذكريات و عهود
سالفة ، فتلك حيلة منه لشده أكثر بالخطاب >> فمصدر التأثير الذي يكون للكلام في السامع
إنما هو الحيلة التي تميز القول الشعري من غيره من الأقاويل العادية <<⁹⁶¹ .

وإذا كان المبدع ذكيا في استعماله الاحتيال و صياغة معانيه و كيفية إيصالها للمتلقي بحيث
يوهمه بجاذبيتها فيهتز و يتأثر فان هذا المتلقي يراوغ المعاني و هنا >> تكسب كلمة
المراوغة أهمية كبيرة ... حيث يتحول من تعداد الدلالة إلي لا نهاية الدلالة ، و حيث تكتسب
فكرة الفراغ ... و الفجوة أبعادا تمكن القارئ كل قارئ جديد للنص في الواقع من كتابة نص
جديد <<⁹⁶² .

فالمعطيات التي يضعها النص في متناول المتلقي تفرض أسئلة بديهية شكلية جلية في تقاسيم
الخطاب . و بالمقابل تطرح الكتابة أسئلة أخرى غير مباشرة تستلزم إجابات ، و >> بين
الأسئلة التي يثيرها القارئ و الأجوبة التي يقدمها النص ، و بين الإجابات التي لا يقدمها
النص و الأسئلة التي يثيرها المؤلف الجديد للنص ، وهو القارئ في محاولة كتابة نص جديد
<<⁹⁶³ ، محاولة الكتابة هذه تبني أساسا علي فك الرموز و الشفرات اللغوية ، واكتشاف
دلالاتها لتتحول إلى قناة اتصال بين المتلقي و الخطاب >> اتصال ينتج عن حقيقة وجود
فجوات في النص تمنع التناسق الكامل بين النص و القارئ <<⁹⁶⁴ .

و هو أمر منطقي إذا كان المتلقي فعلا بإمكانه صناعة الكتابة من جديد من خلال استدراج
الأفكار و استحضر المعاني التي يمكن أن تسد فجوات الخطاب و هو الفعل الذي >>
يبرر ويوجد الاتصال إذ أن الفجوات و ضرورة ملئها تعمل كحواجز و دوافع لفعل التكوين
الفكري <<⁹⁶⁵ و المراجعة القرئية تجمع بين آلتين و هما الإحالة و التأويل فلكي يصبح

⁹⁶⁰ حازم القرطاجني، المصدر السابق : 65.

⁹⁶¹ شكري المنخوت جمالية الالفة : 21.

⁹⁶² عبد العزيز حمودة المراية المحدية : 245.

⁹⁶³ عبد العزيز حمودة ، المرجع السابق : 327.

⁹⁶⁴ ميجان الرويلي، و سعد البازغي دليل الناقد الأدبي لأكثر من خمسين مصطلحا نقديا، معاصر المركز الثقافي العربي

ط 2002 : 191.

⁹⁶⁵ المرجع نفسه : 195.

النص مشبعا و كثيفا أكثر اقترح " القرطاجني " على المبدع أن يحيل المتلقي إلي تواريخ و قصص⁹⁶⁶ يستشهد بهما لإقناع السامع أكثر و الحكم نفسه ينطبق علي الحكم و الأمثال ، و هي مع القصص و التاريخ ، اجتهاد من المبدع و احتيال من جهة أخرى ، للتأثير في المتلقي >> و لا تتم جمالية هذا المتلقي إلا حينما يراعي القائل شرط السياق الفني و الجمالي التواصلي الذي يشرك فيه المقول له حينما يحيله إلى **المشترك (الجمعي)** بينهما و إلى جزء من الذاكرة الجمعية للقول أو الفن القولي >>⁹⁶⁷.

هذا الفعل من المبدع يجعل **متلقيه متحصنا نقديا** ، بل و يدفعه للتأويل بناءً علي أن كل النصوص مفتوحة للقراءة بميزة خاصة هي استحضار هذا المتلقي في حاضر الكتابة ، و ذلك ب >> تمثل دور القارئ أثناء عملية بناء النص ، و بالتالي فهو ينتج التأويل و التفسير ضمن حدود نصية معينة و مفروضة >>⁹⁶⁸.

و التأويل هو ما دعي إليه " حازم القرطاجني " عندما تطرق لقدرة الشاعر علي الأخذ⁹⁶⁹ ، مأخذا **حسنا** في مذاهب القول و تصريفه إياه في مختلف مضاربه فذكر أن >> من بعد غايات الشعراء و امتداد أمادهم في معرفة الكلام و اتساع مجالهم في جميع ذلك ، يحتاج إن يحتال في تخريج كلامهم علي وجه من الصحة ، فإنهم قل ما يخفي عليهم ما يظهر لغيرهم فليسو يقولون شيء إلا فله وجه فلذلك يجب تأويل كلامهم علي الصحة و التوقف عن تخطئهم فيما ليس يلوح له وجه >> .

و القارئ بدوره يأمل في تجاوز لغة النص الأولى إلى لغة ثانية . فالمؤول الذي يفترضه الناقد مبدع آخر يعيد تشكيل الخطاب وفق معايير التأويل السليمة من القلب كما سماه ، و هي مسؤولية كبيرة يتحملها هذا المبدع المختلف .

و إذا أردنا تشكيل الحقيقة فإننا نقول بأن المبدع الأصلي ينتج نصا يفترض أنه جيد المستوي من حيث ربط العلاقات اللغوية و توظيف ما هو مألوف في شكل غريب بالاعتماد طبعاً علي المحاكاة و التخيل و الاحتيال و التمويه و الإحالة أما المبدع الآخر فيعتمد إلى أعمال خياله أولاً في هذا الزخم اللغوي و المعنوي ثم يشغل إليه التأويل المنهجي ، و الاعتماد علي الخيال لا يعني أن هذا الفعل (التأويل) لا إرادي أو غير واع ذلك أن التأويل عملية قراءة واعية في أبعاد النص ممكناته واحتمالاته ، لأنها تهدف إلي استنباط المعنى ، و المعنى في الشعر لا يأتي مباشرة بل في صور و هيات مختلفة⁹⁷⁰ ، و إذا كانت الكتابة غير مباشرة فإن القراءة في أرقى مستوياتها غير مباشرة و تبقى العلاقة بينهما في مد و جزر جماليين >> فالشاعر يستخدم الإيهام للسيطرة و بث الخطاب و النفس بسبب القوة المتوهمة التي في الشعر **تفاد** مع هذا التوهم ، علي الرغم من أن العقل يناقضه و يرفضه و أن كان للقوة

⁹⁶⁶ انظر حازم القرطاجني المصدر السابق : 221.

⁹⁶⁷ فاطمة عبد الله الوهبي نظرية المعنى عند حازم القرطاجني : 245.

⁹⁶⁸ ميحان الرويلي ، سعد البازغي المرجع السابق : 181.

⁹⁶⁹ حازم القرطاجني المصدر السابق : 144.

⁹⁷⁰ أنظر محمد الميبارك التقبل عند العرب : 246.

العقلية القدرة علي التأليف و الجمع و التكوين فان القدرة الوهمية لها السيطرة علي جهة المتلقي <<971؛ إلا أن هذه السيطرة لا تنشأ إلا على المستوي السطحي للخطاب لأن للمتلقي أيضا قدرة عقلية تدفعه للرفض ، و مواجهة القدرة الوهمية ليتم اللجوء إلى التأويل كحل للانتقال إلى مرحلة أرقى يصبح فيها >> الخطاب ثورة لا متناهية و كنز لا يفني من المعاني و الدلالات <<972 و مثلما يحيل الشاعر إلى صور أكثر إيقاعا فان المتلقي يحيل أيضا إلى تجريجات أخرى و احتمالات في القراءة .

ومهمة المتلقي تبدأ ببدء التحدي مع الكتابة و هنا يغدو تأويل النص تأويلا سليما ، وسيلة للمتلقي للفهم و تصبح تبعا لذلك >> القراءة عملية جدلية تبادلية مستمرة ذات اتجاهين من القارئ إلى النص و من النص إلى القارئ <<973 .

فالكتابة بالشفرة المموهة و العبارات المخيطة و التي تبدو و للوهلة الأولى غامضة و التأويل كآلية فعالة تجعل القراءة النقدية أكثر مرونة و فعالية . و كما تشغل الترميمات القوة الناضجة عند المبدع فتجعله يحس الانتقاء و النظم ، فإنها تحفز خيال المتلقي كذلك لتصور هذه المعاني و إذا لم يتجل المعني في بعض المواطن تفتن ذهنه إلى حالات أخرى يتمكن من خلالها المتلقي تأويل ما غمض، و ذلك >> أولي من حمل الكلام علي القلب إذ العبارات إنما تدل على المعني بوضع مخصوص و ترتيب مخصوص فان بدل ذلك الوضع و الترتيب زالت تلك الدلالة <<974 .

و الناقد في هذه العبارة يحذر من عواقب حمل القول فيه علي العكس فيكون التأويل وان كان بعيدا اسلم لكي لا يفسد المعنى و تستنزف منه الدلالات ، و ذلك يفضي مباشرة إلى تحقيق لذة اكتشاف النص الجديد و تلك هي مغامرة البحث عن المفاهيم العميقة المضمرة في ثنايا الخطاب. وهو المبلغ الذي أراد " القرطاجني " ، أن يبلغه القارئ في تعاملته مع الخطاب الأدبي .

971 محمد المبيارك ، المرجع السابق : 72 .

972 الزواوي بغورة، منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة، مجلة آفاق الثقافة و التراث : 84 .

973 **ميحان الرويلي** ، سعد البازغي المرجع السابق :194 .

974 حازم القرطاجني ،المصدر السابق : 179 .

سادسا: الغموض و التلقى:

أن بين الغموض و تقنية التمويه - عند " القرطاجني " - صلة وثيقة >> فالمعنى الذي يوهم بأنحاء من الاحتمالات، و يدفع المقول له إلى التأويل في طرفين قد يبدوان كتناقضين معنى غامض << 975 .

و عن فكرة الغموض عموما يرى " القرطاجني " أن >> المعاني منها ما يقصد أن تكون في غاية البيان على ما تقدم، و منها ما تقصد أن تكون غاية من الإغماض و منها ما يقصد أن يقع فيه بعض غموض و منها ما يقصد أن يبان من جهة و أن يغمض من جهة << 976 .

و يقودنا هذا التصنيف إلى القول بأن البيان أو الوضوح لا يعني الرداءة إذ نجد أن هناك >> من يظن أن السهولة تبعد الشعر عن خصوصيته و أن السهولة لغة نثرية << 977 بل إن خصوصية الخطاب هي التي تفرض نفسها من خلال لغتها الخلاقة التي تأتي أن لغة عادية إذ >> تكف عن القبول بكونها مجرد أداة توصيل حيادية، و تصر على دخول النص بوصفها طرفا رئيسا فيها << 978 .

و هي اللغة عينها التي ينبغي أن يكتب بها الشعر و يقرأ ، و خاصة ما يعتمد على الجانب الفني للغة أو ما يصطلح عليه بالتعقيد الفني و هو ما يجعل ذهن المتلقي يفكر ؛ فالغموض >> يصبح أشد تحريضا لخيال المتلقي ذلك أن هذا النص (أولا و أخيرا) مجال لعمل الخيال الخلاق عند منتجه و متلقيه << 979 .

و عن سبب هذا اللبس يرى " القرطاجني " أن المناسبة بين الأشياء البعيدة تحدث >> إذ كلما كانت الأوصاف في مثل هذا مؤتلفة من أغراض الشيء البعيدة لم تنهد الأفكار إلى فهمه إلا بعد ببطء << 980 .

و الشاعر قد يلجأ إلى الغموض لحاجة فنية ف >> يضيف على نصه غلالة شفافة ليزيد من قدرته على الإثارة (...) و الدهشة (...) و المتعة و هذا هو الغموض المرغوب << 981 و نتيجة لهذه الحالة يلجأ المتلقي بدوره إلى >> تأويل ما ورد من ذلك تأويلا فيه سلامة من

975 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 251 .

976 المصدر نفسه : 177 .

977 جودت الركابي ، مقال من مجلة آفاق الثقافة و التراث، السنة 3، ع 10، ربيع 2، 1416 سبتمبر 1990 : 19 .

978 راتب الحلاق النص و الممانعة مقاربات نقدية في الأدب و الإبداع ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق

سوريا 2000م.

http://www.Awu.dam.org/book/00/stydy00/24-n-h/book00-s_d004.htm.

تاريخ السحب 2005-03-11.

979 راتب الحلاق، المرجع السابق.

980 حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 173 .

981 راتب الحلاق، المرجع السابق .

القلب >> 982 شرط أن لا يقصد بالغموض تشويش عملية الإفهام و التواصل بين المتلقي و المبدع من خلال النص، كالإخلال بوضع الكلام و إزالة ألفاظه عن مراتبها حتى يصير المتأخر متقدما و المتقدم متأخرا فتداخل الألفاظ بعضها ببعض لتشكل العبارة و لا يتحقق نظامها قبل التقديم و التأخير، و لا يعلم كيف كان [الكلام موضوعا قبلها] و هذا المذهب رديء جدا في / الكلام >> 983 * >> فالواجب على الشاعر أن **يجتنب** من هذا ما توغل من الحوشية و الغرابة ما استطاع حتى تكون دلالاته على المعاني واضحة و عباراته مستعذبة >> 984 .

و لا يعني ذلك مطلقا أن تقرأ النصوص دونما جهد أو اهتمام لأن ذلك يخرج الخطاب عن أدبيته و يجعله عاديا لا جمال فيه، و بالمقابل فإن الشاعر قد يعمد قصدا >> أن يكون المعنى في نفسه دقيقا لطيفا يحتاج إلى تأمل و فهم >> 985 .

فيكون التعقيد الحق فنيا و جماليا في قيمة محاكاته الحيدة التخيل، و بمعانيه التي تشكل حلقة مترابطة بين الألفاظ الحيدة النظم. في هذه الحالة يلجأ المتلقي إلى التأويل و لهذا فإن ما يميز بين التأويل السلبي و الايجابي عن هذا الأخير يقول بوجود >> بعض الناس [ممن] يتأول ما ورد من ذلك تأويلا فيه سلامة من القلب >> 986 .
فعندما يحسن استغلال آليه التأويل بحيث تكتسب بعدا جماليا يكون مستساغا عند المتلقين الآخرين، و بذلك >> يكون للمعنى فيه موقع من النفس و مكانة مكيمة من الفهم >> 987 و هنا يبرز القول المؤول براعة المتلقي النقدية و قدرته في ايجاد البدائل القرائية بالاعتماد على التأويل السليم .

أما الأقوال التي يكتسحها اللبس بحيث يكون الإبهام فيها غاية فإنها معابة لأنها تفتك بنشوة قراءة و تأمل الخطاب، و لذلك يفقد حقه في الانتماء لفضاء النص ف >> القارئ بما يسهم به في إنتاج دلالة النص أو دلالاته و إنما يشترك في تأليفه إلى حد ما >> 988 .

و بأسلوب آخر فإن انعدام التواصل بين المتلقي و النص يفضي **للعبثية** ، فهذا يدل على أن أحد الأطراف لم يقم بدوره إذ لا يمكن أن نلقي المسؤولية كلها على كاهل المبدع، فقد يكون المتلقي سببا في السقوط إلى هذه الهوة السحيقة، عندما تعوزه التجربة الفنية و الرؤية الجمالية في التدوق فيجد نفسه قاصرا عن استيعاب النص خاصة و أن آلية التأويل غير متاحة لكل القراء و في هذه الحالة بالذات يغدو >> الغموض مشكلة تقع على تخوم العلاقة

982 حازم القرطاجني المصدر السابق : 179 .

983 المصدر نفسه: 187 .

* في النسخة المحققة يوجد بياض مقدر بثلاث كلمات: 187 .

984 المصدر نفسه : 185 .

985 حازم القرطاجني، المصدر السابق: 177 .

986 المصدر نفسه: 179 .

987 المصدر نفسه : 179 .

988 عبد المجيد ، شبة القارئ و النص : 87 .

من جهة تلقي القارئ وإدراكه للعلاقة >>⁹⁸⁹ ، وفي كل الأحوال يكون عدم التأقلم مع الإبهام >> مشكله تشير إلى خلل أو فشل في نجاح هذه الوظيفة⁹⁹⁰ أي إحداث اللذة الجمالية .
المتلقي المحنك عندما يقرأ نصا ذا نظم متشابك الإيحاءات و الدلالات يرتكز على >>
إعمال الفكر لينفذ إلى مراد المبدع >>⁹⁹¹ و الغاية الأكثر ايجابية و جمالية هي النفاذ إلى مقصدية النص لا المبدع لأن المتلقي يقرأ بعيدا عن مقصدية و مراد المبدع الذي تلاشت مقصدية و ذوت بمجرد أن أصبح النص في متناول المتلقي.

و الجانب الفني في الغموض هو كونه أمانة على كثرة فراغات الخطاب الدلالية و هو ما يستلزم خبرات عديدة ترتقي بالمتلقي لدرجة صاحب النص و بالمقابل فإن تكشف الخطاب للمتلقي يقيد خبراته في التفكير و التركيب و بذلك لن يتلمس درجة المبدع بحيث >> يمتلك قوة فكرية تعادل قوة الفكر عند المبدع >>⁹⁹² هذا بالإضافة إلى لذة الاستمتاع بتمتع دلالات النص ف >> الشيء إذا نيل بعد الطلب له و الاشتياق إليه و معاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى و المزيه أولى، فكان موقعه من النفس **أجل و لطف**، و كانت به أضنى و أشغف >>⁹⁹³ و لـ " الجرجاني " كذلك مقارنة جد بديعة بين مشقة القراءة و >> و مشقة **الغائص** الذي يبحث عن اللؤلؤة في جوف الصدفة >>⁹⁹⁴ .

و إذا كان الأمر كذلك فإن هذا الإحساس و اللذة لا يكون صرفا لأن هذه الأخيرة من أهم مصادر المتعة و القلق في آن معا >>⁹⁹⁵ فاللذة الأصلية هي التي يصاحبها الألم الناجم عن الإحساس بتلك المتعة >> لشعور المتلقي أنه شريك سيد أعظم في عملية خلق تتحدد باستمرار.. و القلق من ممارسة التأويل.. الذي هو في النهاية اختبار... و الخوف مما يترتب عن هذا الاختبار من تتابع >>⁹⁹⁶ .

لأن تقصي الدقة في تأويل المعنى له مزالق كثيرة و تجنبنا لهذا الشطط على المتلقي كما يقول " الجاحظ " إعمال >>الفكر و الروية و القياس و الاستنباط >> و إذا أردنا إجمال القول في علاقة الغموض بالمتلقي فإننا نقول بأن الأعمال الجادة لها سماتها الخاصة ف >>الفن ... الأدب ... و الشعر ... كالحب من طبيعته العطاء ... و لكن عطاءه مغلق الأسرار دائما و هكذا يجب أن يكون >>⁹⁹⁷ هذه الأسرار التي إن تخلت عن تمنعها أصبحت عادية . و هي التعمية الفنية التي أشار إليها " الجرجاني " في حديثه .

989 فاطمة عبد الله الوهبي نظرية المعنى عند حازم القرطاجني : 147 .

990 المصدر نفسه : 247 .

991 عبد القادر هني، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني : 247 .

992 عبد القادر هني، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني : 344 .

993 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،

الطبعة الأولى 1988 م : 118 .

994 المصدر نفسه : 118.

995 راتب الحلاق ، المرجع السابق.

996 المرجع السابق:

997 المرجع السابق:

و إذا كان " الجاحظ " فيما مضى يرى >> بأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام <<⁹⁹⁸.

فلا يشترط أن يكون هذا الإفهام من مجرد ملاحظة الخطاب الشعري، بل لا بد أن يتم الارتقاء بالعملية أكثر من خلال الاستعانة بطرق فنية في التأويل ليتحقق عنصر التعجيب الذي ذكره " حازم القرطاجني " حيث يتحكم في مقدار التأثير بالنص و التفاعل معه ، الأمر الذي لا ينجر دائما عن عنصر السهولة إذ أن >>الغرابية [هي] التي تثير لفاعليتها النشوة و الهزة <<⁹⁹⁹ فيتحقق الإفهام بعد تخطي الملاحظة البسيطة، فالقراءة ثم الاستقراء ثم التأويل. أما المتلقي الذي يشاطر المسؤولية، مسؤولية النص أو يتحملها كاملة فعليه أن يكون كما أراده " القرطاجني " مولعا عارفا¹⁰⁰⁰ ف >> ليس السماع وحده كافيا للحكم على النص الجيد و لا توافر المعرفة و الثقافة و إنما هما [معا] يشكلان عدة الناقد المتذوق للنص الجيد <<¹⁰⁰¹ و هو ما سعى إلى تأصيله " حازم القرطاجني " عندما جعل ناقدته هو >> البصير الجيد الطبع <<¹⁰⁰² و هو ما يجعله يمتلك معرفة و خبرة و دربه حتى يتمكن من محاوره ظاهرة الغرابية بما تفتحه من آفاق للتأويل و القراءة المتأنية <<¹⁰⁰³.

و من هذا كله تستنتج أن الغرابية أو الغموض الفني كقيمة فنية بحتة ، غير متاحة إلا للفنان الأصيل، كما أن فك شفرات و رموز هذا التعقيد الفني و تأويله ليس في متناول كل المتلقين ، و إذ يغدو التعقيد الفني أمرا حتميا ليكون النص أكثر تمنا و جاذبية ، يصبح التأويل آلية حتمية في القراءة ن للتعامل مع هذا المعطى المتميز ن و بهذا يكتسب الشعر شعريته و القراءة النقدية ابداعيها .

998 الجاحظ البيان و التبيين ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبناننن المجلد 1 ، الجزء 1 : 55.
999 موسى ربابعة، الغرابية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة جذور، ع 5، ذو الحجة، 1412هـ - 2001 مارس : 30 .
1000 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 144 .
1001 ابتسام مرهون الصفار ، المرجع السابق: 352.
1002 حازم القرطاجني المصدر السابق: 371.
1003 موسى ربابعة، المرجع السابق: 40 .

خاتمة :

كانت هذه بعض القضايا النقدية التي تناولها " حازم القرطاجني " حول موضوع التلقي أو بالأحرى المتلقي، و نقول بعض لأن مجمل ما ورد في المؤلف كان تماشياً و مدى تقبل القارئ بمقتضاه، حاولنا من خلال هذه الفصل استكناه سرّ عمق و جاذبية هذه الآراء رغم بساطتها، بساطة المعاني الجمهورية التي دعا إليها الناقد و التي تأسست عليها جل المفاهيم الواردة في المنهاج . و من خلال هذه القضايا تلمسنا معالم هذا المتلقي . و بداية فإننا سنتوقف عند هذا القول الذي يتناول فيه الناقد الذكاء في طرق المذاهب لكسب الخطاب >> طلاوة و حسن موقع في النفس لا توجد مع وضعه على خلاف تلك الهيئة و **الاثلاج** إليه من خير ذاك المدخل << ¹⁰⁰⁴ رغم كون هذه الطريقة ليست في متناول كل المتلقين، أو أيّ متلق عادي ف >> هذا كلام لا يكاد يميزه إلا الناقد البصير الجيد الطبع << ¹⁰⁰⁵ .

و هو الأمر الذي جعلنا نعتبر متلقياً بهذا لحجم هو شاعر بالقوة لا بالفعل، لا بد أن يمتلك القوى العشر و يتشاطرها مع المبدع، و لا يعتبر ذلك تخميناً عارضاً أو مجرد تأويل خال من سلامة القلب لأقوال " القرطاجني " . ذلك أن الناقد قد لمح إلى متلق خاص مزود بتقنيات فريدة، و حتى فكرته المتعلقة بالأغراض الجمهورية لا يجب أن تأخذها بظاها **بل بجوهرها** ؛ فتنبئ الجمهور تقريب لفعل القراءة من المستمعين جميعاً لأن الخطاب يتجه دوماً >> لقارئ مجهول، و ضمناً إلى كل من يعرف كيف يقرأ، و هذا التعميم للجمهور هو إحدى نتائج الكتابة المثيرة [و بذلك يغدو] التعميم بالطبع ضمناً فقط << ¹⁰⁰⁶ و من ثم تقسيمهم إلى خاصّة و عامّة و هو أمر بديهي؛ فلا يعقل أن يكون كل الجمهور متذوقاً للشعر، فهناك صفوة من القراء يقصدهم الناقد لا ينتمون إلى النخبة، لديهم قابلية للانتماء للنخبة أو كانوا ينتمون للنخبة فأصبحت طباعهم بالفتور ، فكان لا بد من اكتسابهم قدرات إضافية في تقبل النصوص و ذلك واضح ف >> حازم يقلص الجماهير إلى مخاطب مائل و مجادل مناوّر << ¹⁰⁰⁷ .

و من جهة أخرى فإن أغلب القضايا التي طرحها الناقد ترتبط دائماً بمتلقيها، فالشعر الحقيقي لا يكتسب مصداقيته إلا بقدر تأثيره في المتلقي، و لأن هذا المقول له لا يملك كفاءات كامنة أو باستطاعته امتلاكها فعلى النص أن يشكل تحدياً له ليستعر الجدل و الحوار بين هذا النص و المتلقي .

و بالمثل فالنظم لمتلقي خاص يراعيه المبدع في مطالعه و استطراداته، أغراضه و أساليبه

¹⁰⁰⁴ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 391 .

¹⁰⁰⁵ المصدر نفسه : 371 .

¹⁰⁰⁶ بول ريكور ، نظرية التأويل الخطاب و فائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي ، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي

العربي، الطبعة الثالثة، 2003: 63 .

¹⁰⁰⁷ فاطمة عبد الله الوهبي نظرية المعنى عند حازم القرطاجني : 242 .

الشعرية ، معنى و مبنى، وزنا و قافية ... الخ، بل إن الشاعر يراعي هذا الرقيب حتى بين بيت و آخر في الترتيب تقدما أو تأخيرا و في الحذف و الزيادة و أكثر من هذا كله أن يستحضره قبل و أثناء و بعد الكتابة استعدادا و قابلية لتجلي القراءة الإبداعية. فهل يمكن لمتلق بهذا الحجم أن يكون من عامة الجمهور؟.

و كيف لمستمع عادي أن يؤول >> و لن يستطيع القارئ أن يغوص في غامض النص و لا أن يسبر أغواره ، إن لم يكن قادرا على فهم الرموز اللغوية <<¹⁰⁰⁸ و هل التأويل بمدلولاته العميقة متاح لكل المتلقين؟ خاصة إذا علمنا أن هذه الآلية فعل إجرائي يرتقي بالقراءة العادية لتسجيل إلى نقد لا يمكن وصفه إلا بالمعقد ، بالإضافة >> لأن محاولة الوصول إلى دلالة نهائية و منيعة سيؤدي إلى فتح مناهات و انزلاقات دلالية لا حصر لها <<¹⁰⁰⁹ و كيف لقارئ عادي أن يتجنب متاهات و مزلق العملية التأويلية حيث تشابك ثلاث مقصديات >> فما بين قصيدة الكاتب الصعبة الإدراك و بين قصيدة القارئ هناك القصدية الشقافة للنص التي تدحض كل تأويل هش <<¹⁰¹⁰ .

و بانسحاب المؤلف يبقى القارئ أمام هذا الكون الحاضر دوما ، و لن يصمد في ذلك حتى الناقد البصير الجيد الطبع الذي ذكره " القرطاجني " و إذا كان قد جعله بصيرا فمعنى ذلك أنه ملم بأبسط جزئيات العملية الإبداعية لكي يتسنى له بعد ذلك نقدا نتاجها لأن >> العمل الأدبي خطاب موجه من منتج مبدع إلى متلق هو الآخر مبدع (...). يجتهد في فهم الخطاب كما يراه هو أو كما يفهمه أو كما يريد أن يفهمه لا كما أراده منتجه <<¹⁰¹¹ .

هذه هي بعض معالم هذا المتلقي ، و في هذا يقول " القرطاجني " في معرض حديثه عن مجارة المتلقين للمبدعين ؛ ف >> ليس ينبغي أن لا يعترض عليهم في أقاويلهم إلا من تزامرت رتبته في حسن التأليف على قدر فضل الطبع و المعرفة بالكلام و ليس كل من يدعي المعرفة باللسان عارفا به في الحقيقة <<¹⁰¹² فإذا تسنى له معرفة >> الأغراض اللاحقة للكلام التي ليست مقصودة فيه <<¹⁰¹³ و بذلك يشترك المتلقي مع المبدع في أمور كثيرة ، و بناء على هذا كله فإن " القرطاجني " يقدم لنا منهاجا في الإبداع و تقبل النصوص كما قدم لنا آخر في نقدها و قراءتها على الصورة الحسنة، التي تخول المتلقين من مزاحمة الأدباء كما قال الناقد. صورة تقترب كثيرا من صورة " القرطاجني " نفسه فهو الشاعر العارف الناقد البصير ، و معه تصبح القراءة إبداعا ثانيا بالإضافة إلى الطبع و هؤلاء هم البلغاء الذين قصدهم الناقد .

¹⁰⁰⁸ حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة و التأويل الأدبي.
¹⁰⁰⁹ امير توايكو، التأويل و السميائيات و النفسية ، ط 1 / 200 ترو تقديم سعيد سكراد، المركز الثقافي العربي ، لبنان:

13
¹⁰¹⁰ المرجع السابق: 100.
¹⁰¹¹ السعيد خضراوي، نظريات القراءة او الوجه الآخر لجماليات التلقي ، قراءة في نقود الباقلاني و عبد القاهر الجرجاني ، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية جامعة باتنة، العدد السابع، الترقيم الدوري 5149 ، ديسمبر 2004 : 79 .
¹⁰¹² حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 144 .
¹⁰¹³ المصدر نفسه : 144 .

الخاتمة العامة

أن تراثنا النقدي مادة حساسة جدا تقتضي التعامل معها بعيدا عن كل السياقات المعاصرة، و إذا ما دعا المقام لإدراج أي نسق معاصر، فلا بد من انتقاء ما يلامس السياق الآني الذي احتوى الظاهرة النقدية القديمة كهـم أول قبل الاحتفاء بالحدث عينه و هو ما ينطبق على نظرية " حازم القرطاجني " في مؤلفه (منهاج البلغاء و سراج الأدباء) .

ينقل لنا " القرطاجني " صورة جد معاصرة لمبدع يكتب وفق أفق معرفي غني تجاوبا مع لحظة لم يخترها ، إما مرتجلا أو مترويا ، و قد حاول الناقد من رصد حالات عصية على الإمساك كتمنع القصيدة وانبثاق زمنها، هذا لأنه مزود بملكات خاصة تساهم في تشكيل الخطاب النقدي الذي تتكاثر صورته بانتظام ، و تتضاعف ثناياه متقابلة تارة و منقسمة تارة أخرى .

و انفتاح الشاعر على الماضي يكون بإطلاعه على أسلوب القول عند الشعراء السابقين و منازعهم للاستفادة منها في تقويم مذاهبهم ، لتنبثق تلك القراءات و تثبت روحها في ثنايا الخطاب الآني الذي يتكاثر كما تفعل الخلايا البيولوجية و بتنامي كما الحدث الدرامي الذي يبدأ من حالت صغري ليستحيل إلى بناء متكامل معنى و مبنى .

و بنمط جمالي تتناسب الأجزاء فيما بينها محققة سياقاً جمالياً خاصاً يتم من خلاله تجاوز المؤلف . و رغم كون هذا النص افتراضياً إلا أنه يتقاطع كثيراً مع النموذج الرائد الذي قدمه الشاعر الجاهلي .

و هو نص لا يتلقاه متلق عادي وإنما هو شاعر بالقوة، يفهم المعنى و يحس بجمالية التجاوز، ليؤول فيها بعد ما تلقاه، فالقصيدة الرائعة لا يقرأها إلا متلق غير عادي له >> مقدار فضل التأليف علي قدر فصل الطبع و المعرفة بالكلام <<¹⁰¹⁴ .

¹⁰¹⁴ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء:

و إذا نظرنا إلى هذه المكونات الثلاثة و قسناها إلى عصرها و جذنها تنتمي إلى النموذج الرائع، الذي ربا في فضاء خاص ، هو فضاء القراءة الإبداعية .

- وآراء حازم متأصلة جدا فهي منبثقة من تراث نقدي عربي هائل و لعصور عديدة، و يظهر وفاء الناقد لهذا الزخم لا في جمع المادة النقدية و تقديمها جاهزة بل في استغلالها ببراعة و ذكاء، و استثمار كل الملامح المضيئة مبرزاً جمالياتها و هو ما يتيح بالـ >> تفاعل معها تفاعلا نصيا << 1015 و هي القيمة التي أراد إيصالها للقراء و المبدعين .

- لقد اتسمت بعض آراء " القرطاجني " بالجرأة العلمية و الدقة في الطرح ، و نقصد بالجرأة، كيفية التعامل مع الوافد الأجنبي و خاصة في تطبيق بعض الأفكار الخاصة بالأدب اليوناني على الشعر العربي ، و مع كل الفوارق الجوهرية و الشكلية بين الثقافة العربية و الفكر اليوناني كانت نظرية " حازم " الشعرية .

تتقاطع بعض الآراء التي جاء بها حازم بالنقد الحديث كأساليب التواصل في الخطاب الأدبي و الأجناس المتدرجة عنها و كذلك كيفية التعامل مع التراث الإنساني ، بما يجعل تجسيد القصيدة مجرد احتمال من بين مجموعة من الاحتمالات الأخرى التي تخضع لمفهوم النسق.

- إن نص المنهاج مفتوح للدراسة و البحث فهو يضع أمامنا مشروعا كاملا و منهاجا حقيقيا في الكتابة و القراءة الإبداعيتين مما يجعله يتميز ككل النصوص المفتوحة بـ >> الحركية و التداولية و فعالية التأثير << 1016 .

- و من ثم أمكن البدء من هنا خاصة و أن " حازما " ينقد الظاهرة الإبداعية من خلال السياق و هو ما يفتح المجال واسعا أمام الدراسات المهمة بالتداول رغم أن هذا يضعنا أمام علامات الاستفهام كثيرة نجملها فيما يلي .

1015 مجدي أحمد توفيق ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى 2001 : 112 .
1016 صلاح فضل، أشكال التخيل في قنات الأدب و النقد، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى ، 1990 : 101 .

- إن فهم المبدع من خلال النص يعصف بفكرة المؤلف الميّت و يقوِّض أركانها كما أن فهم تقبل القارئ للنص و بالنص يحدد معالم حدود المتلقي، ولا يجعله صاحب عصا سحرية فمهما بلغت مكانته فلا تغدو أن تكون قراءته إلا احتمالاً لا غير .

- رغم اعتماد " حازم " لنظام التقسيم و التفريع في آرائه التي بسطها على الطريقة المنطقية في مواضع كثيرة إلا أن إحساسه الشعري و نوقه الفني جعلاه يتبنى فكرة النص الذي ينبض بالاحتمالات ، و قد يكون هذا بعض ملامح الشعرية¹⁰¹⁷ التي أراد " حازم " إيصالها إلى المتلقين باختلاف طبقاتهم.

و رغم كل ما كتب و احتوته الدراسات فإن كتاب " منهاج البلغاء و سراج الأدباء يبقى معينا لا ينضب و خاصة بالنسبة للدارس المتخصص لأن >> حازما يستحق اهتماما أكبر <<¹⁰¹⁸ لكي لا يغدو ترنيمة حزينة في ساحة النقد العربي قديمه و حديثه.

- وما دامت الكتابة في أرقى مستوياتها لا تتعدى كونها احتمالاً ، فماذا يبقى لهذا البحث من اكتساب المشروعية ، و بناء على ذلك فإن ما ورد في هذا البحث لا يتجاوز أن يكون احتمالاً و محاولة لقراءة مختلفة قراءة أتحمل كل تبعاتها و مسؤوليتها و بالله المستعان .

¹⁰¹⁷ أنظر في مجال الشعرية بنسختها العربية ، محمد لطفي اليوسفي الشعر و الشعرية.
¹⁰¹⁸ فينسينتي كانتارينو، علم الشعر العربي في العصر الذهبي، ترجمة محمد مهدي الشريف منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت : 204 .

ملخص البحث بالعربية

تعددت الدراسات التي تناولت كتاب منهاج البلغاء و سراج الأدباء لـ " أبي الحسن حازم القرطاجني " بالبحث و الدراسة، و لعل أبرزها:

- 1- كتاب مفهوم الشعر، و الصور الفنية لجابر عصفور.
- 2- كتاب نظرية المعنى عند حازم القرطاجني لفاطمة عبد الله الوهبي.
- 3- كتاب القصيدة العربية في ضوء النقد الحديث ليوستف حسين بكار .
- 4- كتاب " الأخضر جمعي " الموسوم بـ >> اللفظ و المعنى في التفكير الفني و البلاغي عند العرب بالإضافة إلى مقالات نقدية كثيرة لعدد من النقاد و الدارسين مثل .
- 5- مفهوم الشعر عند حازم القرطاجني لنوال الابراهيم .
- 6- تكوين الشعر عند حازم القرطاجني لحسن البنداري .

و غيرها من المراجع المختلفة التي حاول فيها أصحابها إبراز جماليات المؤلف .

و بعد الإطلاع على هذه المصنفات و وجدت أن هذه الدراسات قد حاولت الولوج لنص

" القرطاجني " و إبراز قيمة الكتاب فتميزت بمايلي :

5. كثرة الدراسات المهمة بـ " حازم القرطاجني " و كلها تجمع بأن المؤلف ضخم بحيث اعتبر >> قمة من قمم النقد في العربية <<¹⁰¹⁹ مقارنة ببقية النقاد .
6. تكرار بعض المواضيع المدروسة و المستنزفة في المنهاج كالمحاكاة و التخيل، و الصدق و الكذب، و المعاني، وكذا التأثير اليوناني في فكر " القرطاجني " و كذا قضيته الصدق و الكذب بالإضافة إلى تناول التأثير اليوناني في نقد " القرطاجني " ¹⁰²⁰

¹⁰¹⁹ شكري عياد، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية للنقد و البلاغة، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة، تونس، د ط، دت: 35 .

¹⁰²⁰ عباس أرحيلة، حازم القرطاجني و مسألة التأثير الأرسطي في النقد العربي القديم، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، مجلد: 32 ، أكتوبر - ديسمبر 2003 : 201-207 .

7. بعض النقاد تناولوا القضايا النقدية منفصلة - رغم لومهم لـ "حازم"، تفريعه للقضايا والآراء - و هو ما جعل طرحها غير خارج عن أسلوب السرد النقدي مثل طراد الكبيسي الذي تناول فيه قضايا الشعرية بالعودة إلى التراث النقدي.
8. كما وظف البعض الآخر معطيات الدرس المعاصر و آراءه النقدية لمقاربة الفكر النقدي عند " حازم"، لإثبات القرابة النقدية بينهما.

و رغم كثرة الدراسات النقدية إلا أن مؤلف " حازم " بقي متجاوزا لكل ما قيل ؛ فقد بقيت بعض النصوص صامتة و قد يكون ذلك إما:

- 1 - لغموض الأفكار الذي أنتج نصا متشابك الأطراف.
- 2 - قصور نقدي قد يكون راجعا إلى عدم قدرة المنهجيات النقدية .

و بناء على كل هذا كانت بداية، مسيرة البحث مع " حازم القرطاجي " و كتابه النقدي الفريد " منهاج البلغاء و سراج الأدباء " من خلال عنوان المذكرة الموسوم بـ :

الشاعر و النص و المتلقي عند حازم القرطاجي

و اهتمام " حازم " بالكون الشعري ، إبداعا و نصا و طريقة في التقبل، جعل إبراز جماليات ، ذلك من خلال الكشف عن بعض ما لم يقله الدارسون أمرا ضروريا خاصة و أن كل الدراسات تقر على أن المؤلف معين لا ينضب ، مع اختلافها في كيفية إثبات ذلك و هو ذلك بعض ما سنتركز عليه هذه المذكرة.

و قد اقتضى ذلك صياغة إشكالية على النحو التالي:

- ما هو تصور الناقد للمبدع كقوة منتجة للنص ، قوة و استعدادا، و تعاملنا مع الواقع من جهة و مع الصورة النموذجية التي يمثلها النص الافتراضي من جهة أخرى؟
- كيف تتشكل المعاني في القصيدة، و تتضافر مع نظمها و أسلوبها و كل محتوياتها بعيدا عما يضيفه لها المتلقي؟.

- و هل مازالت القراءة مع " حازم " تفسيرية شارحة أم أنها أخذت بعدا آخر؟ و إذا كانت قد تحولت ، فعلام ترتكز؟

- ما علاقة كل من المبدع و المتلقي بالنص الافتراضي من جهة و بالمنهاج من جهة أخرى؟
و قد تفرّعت عن هذه الإشكالية أسئلة و تساؤلات كثيرة احتواها بقية البحث الذي كان مخططه بمقدّمة، و ثلاثة فصول.

اهتم الفصل الأول بالشاعر إذ احتوى العناصر التالية: المهيآت – الرواية/ الثقافة-
الأدوات- بواعث الكتابة- القوى الناظمة- زمن الكتابة- تمنع القصيدة- طبقات الشعراء-
الارتجال و التروي.

أما الفصل الثاني و الموسوم بالنص فكانت عناصره كالتالي: النص الافتراضي- شكل
المعنى – الأغراض الشعرية- البناء الفني للقصيدة- السرقات الفنية/ حوار النصوص -
التصرف في المنازع الشعرية - أنواع المخاطبات.

كان الفصل الثالث الخاص بالمتلقي محتويا العناصر التالية: مقدمة- مفهوم الشعر في
ضوء علاقته بالمتلقي – المعاني الجمهورية- المحاكاة و المتلقي- التخيل و
التعجيب- المتلقي و القوى الإبداعية- الغموض و التلقي- القراءة بين الترمويه و التأويل.

و قد خصصت لكل فصل خاتمة جزئية تحمل ما يحتويه كل فصل. كما ختمت البحث بخاتمة
عامة تضمنت أبرز ما تم التوصل إليه:

-إن تراثنا النقدي مادة حساسة جدا تقتضي التعامل معها بعيدا عن كل السياقات
المعاصرة، و إذا ما دعا المقام لإدراج أي نسق معاصر، فلا بد من انتقاء ما يلامس السياق
الأنبي الذي احتوى الظاهرة النقدية القديمة كهم أول قبل الاحتفاء بالحدث عينه و هو ما
ينطبق على نظرية " حازم القرطاجني " في مؤلفه (منهاج البلغاء و سراج الأدباء) .

ينقل لنا " القرطاجني " صورة جد معاصرة لمبدع يكتب وفق أفق معرفي غني تجاوبا مع لحظة لم يخترها ، إما مرتجلا أو مترويا ، و قد حاول الناقد من رصد حالات عصية على الإمساك كتمنع القصيدة وانبثاق زمنها، هذا لأنه مزود بملكات خاصة تساهم في تشكيل الخطاب النقدي الذي تتكاثر صورته بانتظام ، و تتضاعف ثنياه متقابلة تارة و منقسمة تارة أخرى .

و انفتاح الشاعر علي الماضي يكون بإطلاعه علي أسلوب القول عند الشعراء السابقين و منازعهم للاستفادة منها في تقويم مذاهبهم ،لتنبثق تلك القراءات وتبث روحها في ثنايا الخطاب الآني الذي يتكاثر كما تفعل الخلايا البيولوجية و بتنامي كما الحدث الدرامي الذي يبدأ من حالت صغري ليستحيل إلى بناء متكامل معنى و مبنى . و بنمط جمالي تتناسب الأجزاء فيما بينها محققة سياقاً جمالياً خاصاً يتم من خلاله تجاوز المؤلف . و رغم كون هذا النص افتراضياً إلا أنه يتقاطع كثيراً مع النموذج الرائد الذي قدّمه الشاعر الجاهلي .

و هو نص لا يتلقاه متلق عادي وإنما هو شاعر بالقوة، يفهم المعنى و يحس بجمالية التجاوز، ليؤول فيها بعد ما تلقاه، فالقصيدة الرائعة لا يقرأها إلا متلق غير عادي له >> مقدار فضل التأليف علي قدر فصل الطبع و المعرفة بالكلام <<¹⁰²¹.

و إذا نظرنا إلى هذه المكونات الثلاثة و قسناها إلى عصرها و جدها تنتمي إلى النموذج الرائع، الذي ربا في فضاء خاص ، هو فضاء القراءة الإبداعية .

- و آراء حازم متأصلة جدا فهي منبثقة من تراث نقدي عربي هائل و لعصور عديدة، و يظهر وفاء الناقد لهذا الزخم لا في جمع المادة النقدية و تقديمها جاهزة بل في استغلالها ببراعة و ذكاء، و استثمار كل الملامح المضيئة مبرزاً جماليتها و هو ما يتيح بال >> تفاعل معها تفاعلاً نصياً <<¹⁰²² و هي القيمة التي أراد إيصالها للقراء و المبدعين .

¹⁰²¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء:

¹⁰²² مجدي أحمد توفيق ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى 2001 : 112 .

- لقد اتسمت بعض آراء " القرطاجني " بالجرأة العلمية و الدقة في الطرح ، و نقصد بالجرأة، كيفية التعامل مع الوافد الأجنبي و خاصة في تطبيق بعض الأفكار الخاصة بالأدب اليوناني على الشعر العربي ، و مع كل الفوارق الجوهرية و الشكلية بين الثقافة العربية و الفكر اليوناني كانت نظرية " حازم " الشعرية .

تتقاطع بعض الآراء التي جاء بها حازم بالنقد الحديث كأساليب التواصل في الخطاب الأدبي و الأجناس المتدرجة عنها و كذلك كيفية التعامل مع التراث الإنساني ، بما يجعل تجسيد القصيدة مجرد احتمال من بين مجموعة من الاحتمالات الأخرى التي تخضع لمفهوم النسق.

- إن نص المنهاج مفتوح للدراسة و البحث فهو يضع أمامنا مشروعا كاملا و منهاجا حقيقيا في الكتابة و القراءة الإبداعيتين مما يجعله يتميز ككل النصوص المفتوحة بـ >> الحركية و التداولية و فعالية التأثير<<¹⁰²³ .

- و من ثم أمكن البدء من هنا خاصة و أن " حازم " ينقد الظاهرة الإبداعية من خلال السياق و هو ما يفتح المجال واسعا أمام الدراسات المهمة بالتداول رغم أن هذا يضعنا أمام علامات الاستفهام كثيرة نجملها فيما يلي .

- إن فهم المبدع من خلال النص يعصف بفكرة المؤلف الميّت و يقوِّض أركانها كما أن فهم تقبل القارئ للنص و بالنص يحدد معالم حدود المتلقي، ولا يجعله صاحب عصا سحرية فمهما بلغت مكانته فلا تغدو أن تكون قراءته إلا احتمالا لا غير .

- رغم اعتماد " حازم " لنظام التقسيم و التفرع في آرائه التي بسطها على الطريقة المنطقية في مواضع كثيرة إلا أن إحساسه الشعري و ذوقه الفني جعلاه يتبنى فكرة النص الذي ينبض بالاحتمالات ، و قد يكون هذا بعض ملامح الشعرية¹⁰²⁴ التي أراد " حازم " إيصالها إلى المتلقين باختلاف طبقاتهم.

¹⁰²³ صلاح فضل، أشكال التخيل في فئات الأدب و النقد، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى ، 1990 : 101 .
¹⁰²⁴ أنظر في مجال الشعرية بنسختها العربية ، محمد لطفي اليوسفي الشعر و الشعرية.

و رغم كل ما كتب و احتوته الدراسات فإن كتاب " منهاج البلغاء و سراج الأدباء يبقى
معينا لا ينضب و خاصة بالنسبة للدارس المتخصص لأن >> حازما يستحق اهتماما أكبر
<<¹⁰²⁵ لكي لا يغدو ترنيمة حزينة في ساحة النقد العربي قديمه و حديثه.
- وما دامت الكتابة في أرقى مستوياتها لا تتعدى كونها احتمالا ، فماذا يبقى لهذا البحث
من اكتساب المشروعية ، و بناء على ذلك فإن ما ورد في هذا البحث لا يتجاوز أن يكون
احتمالا و محاولة لقراءة مختلفة قراءة أتحمل كل تبعاتها و مسؤوليتها .

¹⁰²⁵ فينسينتي كانتارينو، علم الشعر العربي في العصر الذهبي، ترجمة محمد مهدي الشريف منشورات محمد علي
بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت : 204 .

LE POETE ET LE TEXTE ET LE RECEPTEUR
CHEZ HAZEM EL- KARTAGANI

Le résumé Du Thèse

Les études traitant le livre de " ABOU – EL HASSAN HAZEM EL KARTGANI " minhadje el- boulaghae wa ciradje el - audbae " sont nombreuses dans le domaine de la recherche et de l'étude et notamment :

- 1) livres: la conception de la poésie, ainsi que l'image artistique du djaber ousfour.
- 2) livre: de la théorie du sens chez hazem le Karthagani de fatima abdallah el- ouahibi .
- 3) livre de lakhdar djemai : le therme et le sens dans la pensée artistique et élaquante chez les arabes ; en plus des articles critiques nombreux de plusieurs critiques comme:

A- la conception de la poésie chez hazem le cartagien de Nawal EL – ibrahim .

B – La formation poétique chez Hassen – El – bandari malgré la pluralité de ces recherches et études et leurs tentatives de pénétrer le texte du Kartagani pour faire apparaître sa beauté technique, celle-ci distinguée par: * la multitude d'ouvrages s'intéressent à Hazem et à sa méthode en comparaison avec le reste des critiques .

* la répétition de quelques sujets étudiés dans la méthode comme l'imitation, l' imagination, la sincérité claire, les idées en plus de l'influence greque.

* certains critiques ont traité les question criques séparément, malgré leur reproche à Hazem d'avoir vidé les questions et les questions et les points de vue ce qui les positionne dans le domaine de l'énumération critique comme l'a souligné " Tarad EL –kobissy" dans son traitement des questions poétiques avec le retour au patrimoine critique.

* d'autres sont invertis de données du texte contemporain et de ses idées critiques pour comparer la pensée critique chez Hazem et pour prouver le rapprochement critique comme il a ait"youcef Hassen

bakar" dans son livre " le poème ancien dans sa relation avec l'étude
contemporaine.

Et malgré ces tentatives cela n'empêche pas l'éditeur du poème critique d'être attentif à tout ce qui se dit ce qui impose aussi une plus saine aux sujets de Hazem . cela est du:

1- soit à l'obscurité des idées ; ce qui a produit l'enchevêtrement des parties du sujet.

2- soit à l'insuffisance critique due à l'incapacité des méthodes critiques.

- En basant sur toutes ces données, j'ai commencé mon projet de recherche et tout ce qui a été dit , et le titre du mémoire était:

**LE POÈTE, ET LE TEXTE ET LE RÉCEPTEUR DANS LE
LIVRE DE HAZEM EL - KARTAGANI**

Ce titre a consisté d'une problématique contenant trois éléments qui sont le auteur, le texte et le récepteur , et d'où trois questions se sont précipitées:

-quelle est l'imagination du critique au poète comme force productrice d'un sujet esthétique, force et prédisposition et interaction avec la réalité d'un côté et avec l' image modèle que représente le texte virtuel d'un autre côté.

- comment les sens se forment dans le dialogue poétique ? comment cela se passe sur le plan du format du poème, de son style, ses buts et sa musique poétique?

- quelles sont le rapport entre poète et la rencontre avec le texte virtuel d'un côté et la méthode d'un autre?

- quelles sont les repères poétiques que Hazem voulut nous transmettre autant que récepteurs?

La recherche était divisée en une introduction, trois chapitres et une conclusion générale.

Le premier chapitre contient les éléments concernant le poète, comme les outils nécessaires de l'écriture personnelle, les forces

motrices de la créativité, le temps du poème, les couches poétiques,
l'improvisation.....

Ce qui concerne le deuxième chapitre, on a fait le point sur:

La façon dont les sens sont formés dans le poème, à travers tous ses composants comme la structuration linguistique et la matière première que présente la signification républicaine, les genres des discours et des emprunts artistiques ou le dialogue des textes.

Le troisième chapitre fut consacré au séminaire et contenant les éléments suivants:

La définition de la poésie dont le cadre de sa relation avec le récepteur, les significations républicaines, la simulation et la réception et la force créative, l'ambiguïté et le récepteur, la lecture entre la dissimulation et l'interprétation.

Pour chaque chapitre on a consacré une conclusion particulière, comme nous avons conclu cette recherche par une conclusion générale, qui a contenu quelque résultat, cependant on y a intégré quelques remarques qui sont les suivantes:

-le patrimoine de la critique arabe antique est une matière excessivement sensible, pour cela il faut la traiter loin de toute idéologie moderne, mais si on doit procéder avec l'idéologie moderne, il est impératif de choisir ce qui est adéquat aux conditions de l'expérience de la critique antique, comme module principale, et ça s'applique la méthode apportée par Hazem.

-ce critique nous transmet une image très moderne d'un poète qui écrit selon une horizon culturelle très riche, en interaction avec un instant de beauté qu'il n'a pas choisis par improvisation ou par correction

-il a aussi observé des cas de difficulté comme dans le cas de la présence de poème ou de son absence.

Aussi la prolifération des significations dans le texte est faite de façon organisée et spontanée à ce que le critique occidental "grimasse" a apporté.

-son livre est vital dont lequel s'actionne des idées critiques contemporaines et surtout occidentales; ce qui fait de lui un espace fertile à l'étude .

-Hazem pose dans son livre une théorie complémentaire ,de la continuité entre le poète et le récepteur; d'après le texte .c'est ce qui met en relief la théorie de délibération contemporaine.

-il a aussi arrivait à investir des avis précédents et prématurés pour faire apparaître ses idées personnelles en plus du patrimoine grâce activé par le mouvement de la traduction.

- Hazem a vu dans l'existence de l'expérimentation poétique sans amputer ses parties c'est-à-dire entre le poète , le texte et celui qui reçoit .ceci est le sens de l'enchevêtrement de ses idées et sa complication. Ce qui rend son texte silencieux malgré la tentative et les essais de critiques.

- de plus il ne s'intéresse pas à la formation du texte poétique séparément mais considère le texte comme une partie unique malgré qu'il sont supposés et dans le quel se redoublent les sens et se divisent. et ces significations se rencontrent comme cela se passe dans la cellule biologique.Dans le cas où se déroule la propagation et la multiplication anarchique, La production du texte sera comme le qualifie Hazem de " La bousculade ou la poussée des sens ".

Ceci est le résumé de ce qui se trouve dans la thèse à travers laquelle ; j'ai lu le livre de Hazem el-Karthagani . Lecture dont j'assume l'entière responsabilité.

فهرس مصادر و مراجع البحث:

القرآن الكريم رواية ورش:

أولا : المصادر:

- القرطاجني أبو حسن حازم :
- منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: 1981.

ثانيا: المراجع:

أ- المراجع القديمة:

- * (ابن الأثير) ضياء الدين:
- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، قدمه و حققه و علق عليه الدكتور أحمد الحوفي و الدكتور بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر و مطبعتها الأجزاء : 1 ، 2 ، 3 .

* (ابن رشيق) أبو الحسن:

- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده تحقيق عبد الحميد الهنداوي الجزء الأول و الثاني الطبعة الأولى 1422 هـ / 2001 م ، المكتبة المصرية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان .

* (ابن سينا) أبو علي:

- الإشارات و التنبيهات مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق الدكتور سليمان دنيا القسم الأول و الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، د ت .

* (ابن طباطبا) محمد بن أحمد العلوي:

- عيار الشعر، تحقيق و تعليق الدكتور محمد زغلول سلام منشأة المعارف الإسكندرية مصر.

* (ابن عبد ربه):

- العقد الفريد: تحقيق أحمد الزين و أحمد أمين و إبراهيم الايباري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، د ط: 1983.
- * (ابن قتيبة) عبد الله بن مسلم:
- الشعر و الشعراء (طبقات) عالم الكتب، بيروت، لبنان .
- * (الجاحظ) أبو عثمان بحر:
- الحيوان، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت .
- * (الجرجاني) الشريف:
- التعريفات الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 م ، عالم الكتب ، د ط .
- * (الجرجاني) عبد القاهر:
- أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- * دلائل الإعجاز، تعليق و شرح محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى 1389
- 1969 مكتبة القاهرة مصر.
- * (الجمحي) محمد بن سلام:
- طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل و دراسة طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العامة، بيروت، لبنان.
- * (السجل ماسي) أبو محمد القاسم:
- المنزع البديع في تحسين أساليب البديع تقديم و تحقيق علاء الغازي، مكتبة المعارف الرباط، الطبعة الأولى 1401 هـ 1980 .
- * (القزويني) الخطيب:
- (تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي) ، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 1418 - 1997 م .
- ب - المراجع الحديثة :**
- أولا : المراجع العربية:
- * إبراهيم زكريا:

- مشكلة الفن، دار مصر للطباعة، د ط، د ت .
* أبو زيد نصر حامد:
- الخطاب و التأويل، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، الطبعة الأولى، 2000
* أحمد توفيق مجدي:
- المعرفة التاريخية للنقد العربي القديم ، دار الوفاء للطباعة و التوزيع و النشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2001.
* أدونيس (أحمد سعيد) :
- من الشعر، الطبعة الثانية، 1978، دار العودة، بيروت.
- سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت، الطبعة الأولى ، 1985.
* البحر اوي سيد:
- العروض و إيقاع الشعر العربي محاولة لإنتاج معرفة علمية، دراسات أدبية الهيئة المصرية للكتاب، د ط ، 1993 .
* البسيوني محمود:
- العلمية الابتكارية.
* بشرى صالح:
- نظرية التلقي أصول و تطبيقات، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، الدار البيضاء ، المغرب، الطبعة الأولى 2001.
* بكار حسين يوسف:
- بناء القصيدة العربية (في ضوء النقد الحديث).
- * البوشيخي الشاهد:
- مصطلحات نقدية و بلاغية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ، دار الآفاق الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، 1402 هـ - 1982 م .
* جمعي الأخضر:

- اللفظ و المعنى في التفكير النقد و البلاغي عند العرب ، إتحاد الكتاب العرب، دمشق
2001.

* الجندي علي:

- في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 1988 .

* الجوزو مصطفى :

- نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية و العصور الإسلامية) دار الطليعة ، بيروت،

الطبعة الأولى ، صفر 1402 هـ كانون الأول 1981.

* الحمداني حميد:

- القراءة و توليد الدلالة نحو تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي

العربي ، بيروت، لبنان، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 2003 .

* حمودة عبد العزيز:

- المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، منشورات عالم المعرفة ، الكويت 1418

هـ، أبريل 1998.

* خفاجي عبد المنعم:

- عبقرية الإبداع الأدبي أسبابه و ظواهره، دار الوفاء لدينا للطباعة و النشر و

التوزيع، الطبعة الثانية 2002.

* الرباعي عبد القادر:

- فن تشكل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة الأهلية ط 1 ، لبنان .

* الربيعي محمد:

- فن النقد الأدبي و ما إليه، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة د ط،

2001 .

- الروبي:

- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، الطبعة الأولى

1983، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت لبنان .

- الرويلي ميجان و البارغي سعد:

- دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من خمسين تيارا و مصطلحا نقديا معاصر، المركز الثقافي العربي لبنان المغرب، الطبعة الثانية 2000.
- الزراعي محمد محسن:
- الاستيعاب و الفن على ضوء مباحثة فينومينولوجية، دار علي الحامي العربية، الطبعة الأولى 2003 صفاقص الجمهورية التونسية.
- زوين علي:
- منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث ، الطبعة الأولى 1986. دار الشؤون الثقافية العامة بغداد العراق .
- سلوم تامر:
- نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي ، دار الحوار للنشر و التوزيع اللاذقية سوريا ، 1983 .
- سويف مصطفى:
- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة د ت.

فهرس الموضوعات

أ-د	مقدمة
05-106	الفصل الأول / الشاعر
05-12	المهيات / النسق الثقافي
12-07	الرواية / الثقافة
17-13	الأدوات
22-21	بواعث الكتابة
28-23	زمن الكتابة
66-29	القوى الناظمة
37-30	أ-القوة على التشبه
41-38	ب- القوة على تصور الكليات
45-42	ج-القوة على تصور صورة للقصيدة
50-46	د-قوة التخيل
54-51	هـ-قوة الملاحظة
57-55	و-قوة التهدي
60-58	ز-قوة التحيل
62-61	ح-قوة الإلتفات
64-63	ط-قوة التحسين
66-65	ي-القوة المائزة
71-67	الإقتباس
78-72	تمنع القصيدة
89-79	طبقات الشعراء
106-90	الارتجال والتروي
107	خاتمة
2081-108	الفصل الثاني: النص:
206-111	النص الافتراضي:

142-113	المعاني الشعرية
115-114	ماهيتها
142-116	تشكلها
129-119	التطالب
129-120	الاسناد
121-120	البيان:- التفسير
124-121	-المبالغة
128-124	-المناسبة:-المقابلة
129-128	-المشاكلة
132-130	-الإنتساب
132-130	- المتمثلات والمتشابهات
136-132	-التقسيم
139-137	-التفريغ
142-140	-المتخالفات والمتضادات
157-143	الأغراض الشعرية:
145	-كيف يحصل الغرض
156-146	-مضمون الأغراض وعلاقته بأجزاء القصيدة:
149-146	-الأغراض الشعرية والمعاني
152-150	-الغرض الشعري وطول القصيدة
157-153	-الأغراض الشعرية والأسلوب
162-158	البناء الفني للنص
160-158	-الإستهالات والمطالع
166-160	-نظام الفصول
168-166	-الخواتم/ التحجيل
174-169	-التدافع بين المعاني
177-175	المسافة الجمالية بين المتشابهات
187-178	السرقات الفنية/حوار النصوص
190-188	الإقتباس
197-191	التصرف في المنازع
206-198	أنحاء التخاطب في الشعر
208-207	خاتمة

279-209	الفصل الثالث / الملتنقى :
213-211	مقدمة
214-213	مشروع حازم القرطاجني
216-215	مفهوم الشعر في ضوء علاقته بالملتنقى
222-217	المعاني الجمهورية
235-223	المحاكاة والتلقي
234-228	شروط المحاكاة
239-236	التخييل والتعجب
250-204	الملتنقى والقوى الإبداعية
263-215	القراءة بين التمويه والتأويل
269-264	الغموض والتلقي
273-270	خاتمة
276-274	الخاتمة العامة
280-277	ملخص البحث
293-281	فهرس مصادر ومراجع البحث
296-294	فهرس الموضوعات